

تأليف

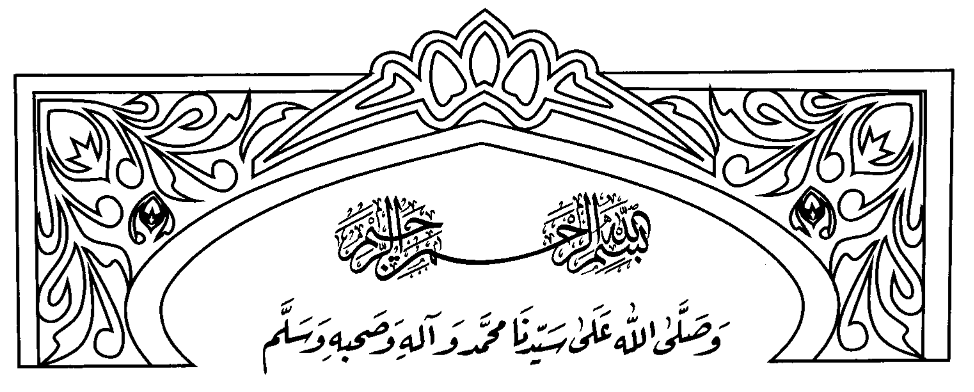
الإمام القاضي مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي

المولود سنة (٨٦٠ هـ) - والمتوفى سنة (٩٢٧ هـ)

رحمه الله تعالى

اعتنى به
تحقيقاً وضبطاً وتخريجاً

نور الدين طالب



الحمدُ للهِ الذي نزَّل الفرقانَ على عبدِه، حمداً يليقُ بجلالِ عظمتِه ورفيعِ مجدِه.

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، إلهٌ سَبَّحَ كلُّ شيءٍ بحمدِه.

وأشهدُ أن سيدَنا محمداً عبدُه ونبيُّه الذي أرسلَه رحمةً للعالمين وأيَّدَهُ بملائكةٍ من عندِه، وصلَّى اللهُ وسلَّم عليهِ وعلى آلِه وأصحابِه وأنصارِه وجندِه.

أمّا بعد:

فهذا كتابٌ لَخَّصْتُهُ مختصراً، وهَذَّبْتُ لفظَهُ محرَّراً، يتضمَّنُ نبذةً من تفسيرِ القرآنِ العظيمِ، وتأويل ما فيهِ من الآياتِ والذكرِ الحكيم.

اعتمدْتُ في نقلِه على كتبِ أئمةِ الإسلام، وانتقيتُه من فوائدِ العلماءِ الأعلام.

وذكرتُ فيه خلافَ القراءِ العشرةِ المشهورينَ الذين تواترتْ قراءتُهم، واشتهرت روايتُهم من طرقِ الرواةِ الثقاتِ، والأئمةِ الأثباتِ.

وهم: أبو رُوَيْمٍ نافعُ بنُ عبدِ الرحمنِ، وأبو جعفرٍ يزيدُ بنُ القَعْقاعِ المدنيَّان، وأبو معبدٍ عبدُ اللهِ بنُ كثيرٍ المكيُّ، وأبو عمرٍو زبانُ بنُ العلاءِ المازنيُّ، وأبو محمدٍ يعقوبُ بنُ زيدٍ الحضرَميُّ البصريَّان، وأبو عمرانَ

عبدُ اللهِ بنُ عامرٍ الشاميُّ، وأبو بكرٍ عاصمُ بنُ أبي النجودِ الأسديُّ، وأبو عمارةَ حمزةُ بنُ حبيبٍ الزيَّاتُ، وأبو الحسنِ عليُّ بنُ حمزةَ الكِسائيُّ الكوفيون.

ويدخلُ معهم أبو محمدٍ خلفُ بنُ هشامٍ البزاز؛ لموافقتِه لهم ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.

وذكرتُ فيهِ أربعةَ وقوفٍ: التامُّ، والكافي، والحسنُ، والقبيحُ مما اختارَه الإمامُ أبو عمرٍو عثمانُ بنُ سعيدٍ الداني ـ رحمه الله ـ وغيرُه. وكتبتُ لفظَ الكتابِ العزيزِ بالأحمرِ، وتفسيرَه بالأسودِ، وإشارةَ الوقوفِ بينَ الأسطرِ بالأصفرِ، فللتامِّ (ت)، وللكافي (ك)، وللحسن (ح) وللقبيح (ق)[1].

فالوقفُ التامُّ هو الذي يحسُنُ القطعُ عليهِ والابتداءُ بما بعدَهُ؛ لأنه لا يتعلَّق بشيء مما بعدَه[2].

والكافي هو الذي يحسُنُ الوقفُ عليه أيضاً، والابتداءُ بما بعدَه، غيرَ أنَّ الذي بعدَه متعلِّقٌ به من جهةِ المعنى دونَ اللفظ.

والحسنُ هو الذي يحسُنُ الوقفُ عليه، ولا يحسُنُ الابتداءُ بما بعدَه؛ لتعلُّقه به من جهةِ اللفظِ والمعنى جميعاً، ويسمَّى هذا الضربُ: صالحاً؛ إذ لا يمكنُ القارئَ أن يقفَ في كلِّ موضع على تامٍ ولا كافٍ؛ لأنَّ نَفَسَهُ ينقطعُ دونَ ذلكَ.

وأما الوقفُ القبيحُ، فهو الذي لا يُعرف المرادُ منه، وذلكَ نحوُ الوقفِ

---

(١) وهذه الرموز ظاهرة في النسخة التركية (ت)، وقد تم إغفالها في عملنا هنا، نظراً لصعوبة إدخالها على رسم المصحف الحالي، ولعل الله تعالى يهيئ لنا إدخالها بطريقة فنية معينة في الطبعات القادمة، إن شاء الله تعالى.

(٢) في «ن»: «لا يتعلق شيء مما بعده به».

على قوله: (بِسْمِ) و(مَالِكِ) و(رَبِّ) و(رُسُلِ) وشبهِه، والابتداءُ بقوله: (اللهِ) و(يَوْمِ الدِّينِ) و(الْعَالَمِينَ) و(السَّمَوَاتِ) و(اللهِ)؛ لأنه إذا وقفَ على ذلك لم يعلمْ إلى أَيِّ شيءٍ أُضيف، وهذا يسمَّى وقفَ الضرورة؛ لتمكنِ انقطاعِ النفسِ عندَه، والجُلَّةُ[1] من القراءِ وأهلِ الأداء ينهَوْنَ عن الوقفِ على هذا الضرب، وينكرونه، ويستحبُّونَ لمنِ انقطعَ نفسُه عليه أن يرجعَ إلى ما قبلَه حتى يصلَه بما بعده، وغيرُه يستسمِجون الوقفَ على القبيحِ؛ لأنَّ القارئَ يقدرُ على تفقُّدِه وتجنُّبِه.

وإذا كانَ في الآيةِ الشريفةِ حكمٌ متفَقٌ عليه، أو مختلَف فيه بينَ الأئمةِ الأربعةِ، وهم: أبو حنيفةَ، ومالكٌ، والشافعيُّ، وأحمدُ ـ رضي الله عنهم ـ ذكرتُه ملَخَّصاً، ولم ألتزم استيعابَ الأحكامِ، بل أذكرُ المهمَّ حسبَ الإمكان، ولم أتعرَّض لاختيارِ غيرِهم من الأئمةِ المتقدِّمين، وحيثُ أقولُ في الحكم: بالاتفاقِ، فالمرادُ: اتفاقُ الأربعةِ المشارِ إليهم.

وربما ذكرتُ مذاهبَهم في شيءٍ من أصولِ الدينِ والفقه على سبيلِ الاختصار في محلٍّ يناسبهُ، والله الموفق.

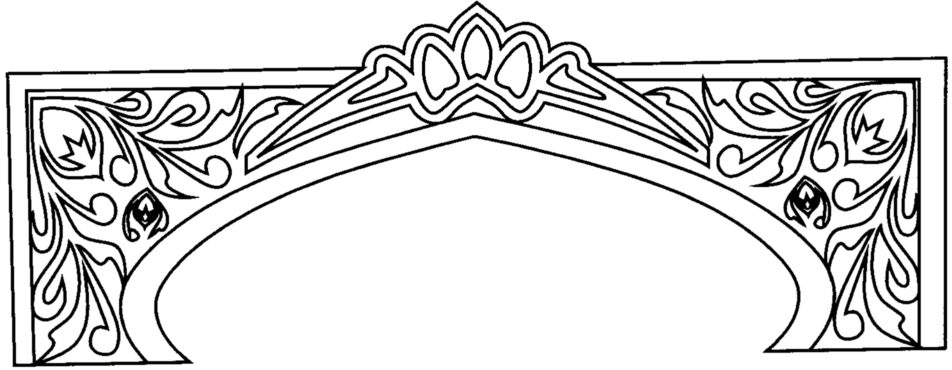
وقد جعلتُ في أولِه قبلَ الشروعِ في التفسيرِ عشرةَ فصولٍ ضَمَّنْتُها فوائدَ مما يتعلَّقُ بفضائلِ القرآنِ العظيم، وما وردَ في تفسيرِه وجمعِه وكتابتِه، وغيرِ ذلكَ مما يحسُنُ ذكرُه إنْ شاءَ الله تعالى.

واللهُ سبحانَه المسؤولُ أن يجعلَه خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعَ بهِ بمَنِّهِ وكرمِه، إنَّه مَنَّانٌ كريمٌ.

* * *

---

(١) في «ن»: «الجل».



فَصْلٌ فِي ذِكْرِ مَا وَرَدَ فِي فَضَائِلِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَتَعْلِيمِهِ وَتِلَاوَتِهِ وَوَعِيدِ مَنْ قَالَ فِيهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ

روي عن رسولِ اللهِ ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَرَأَى أَنَّ أَحَداً أُوتِيَ أَفْضَلَ مِمَّا أُوتِيَ، فَقَدِ اسْتَصْغَرَ مَا عَظَّمَ اللهُ»(١).

وعنه ﷺ أنه قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»(٢).

وعنه ﷺ أنه قال: «مَنِ اسْتَمَعَ إلى آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ، كُتِبَ لَهُ حَسَنَةٌ مُضَاعَفَةٌ، وَمَنْ قَرَأَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ، كَانَتْ لَهُ نُوراً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٣).

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (ص: ٢٧٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧/ ١٥٩ ـ «مجمع الزوائد» للهيثمي)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٥٩٠)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/ ٣٩٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٨/ ٢٢٥)، عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ. قال الهيثمي: فيه إسماعيل بن رافع، وهو متروك.

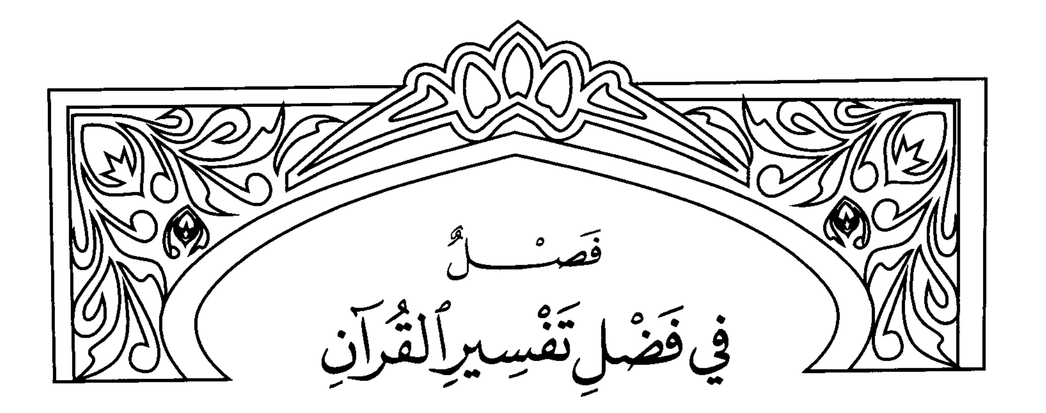
(٢) رواه البخاري (٤٧٣٩)، كتاب: فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه، عن عثمان ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٤١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٩٨١)، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

وعنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[1].

* * *

(١) رواه الترمذي (٢٩٥٠)، كتاب: التفسير، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، وقال: حسن صحيح، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٠٨٤)، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٣٣)، وغيرهم، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.



فَصْلٌ
فِي فَضْلِ تَفْسِيرِ القُرآنِ

رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قالَ: «لاَ يَفْقَهُ الرَّجُلُ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّى يَرَى لِلْقُرْآنِ وُجُوهاً كَثِيرَةً»[1].

وقالَ أبو العاليةِ في تفسيرِ قولِه ـ عز وجل ـ: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] قالَ: الحكمةُ: الفهمُ في القرآنِ[2].

وقال إياسُ بنُ معاويَةَ: مثلُ الذينَ يقرؤونَ القرآنَ وهم لا يعلمونَ تفسيرَهُ، كمثلِ قومٍ جاءَهم كتابٌ من مَلِكِهم ليلاً، وليسَ عندَهم مصباحٌ، فتداخَلَتْهم روعَةٌ و[3]لا يَدْرونَ ما في الكتابِ، ومثلُ الذي يعرفُ التفسيرَ، كَمَثَلِ رَجُلٍ جاءَهم بالمصباحِ، وقرؤوا ما في الكتابِ[4].

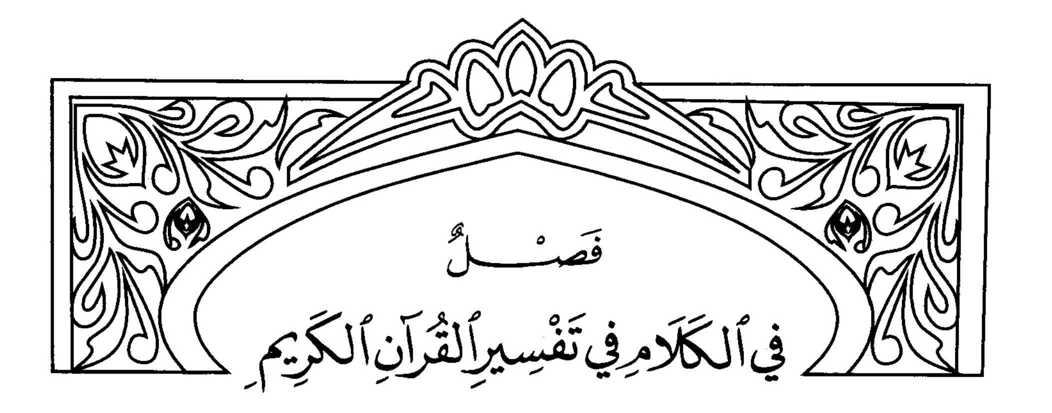
* * *

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف»، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠١٦٣)، لكن عن أبي الدرداء موقوفاً عليه من قوله.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٣/ ٩٠).

(٣) «و» سقط من «ن».

(٤) انظر: «تفسير القرطبي» (١/ ٢٦)، و«تفسير الثعالبي» (١/ ١١)، و«فتح القدير» للشوكاني (١/ ١٤).



التفسيرُ أصلُه: الكشفُ والإظهارُ، وهو علمُ نزولِ الآيةِ وشأنِها وقصتِها والأسبابِ التي أنزلَتْ فيها، والأقوامِ الذينَ أريدوا بها.

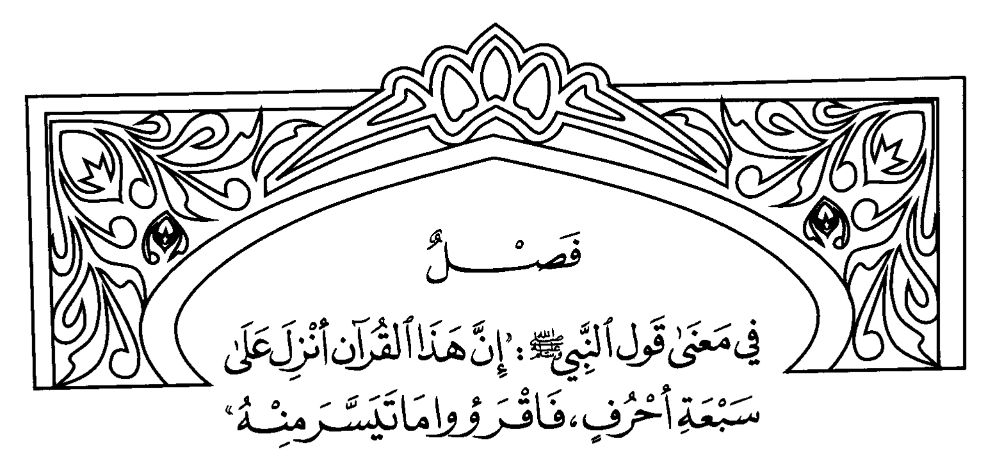
والتأويل: مِنَ الأَوْلِ، وهو الرجوعُ، يقال: أَوَّلْتُهُ فآلَ؛ أي: صرفْتُهُ فانصرَفَ، فتأويلُ الآيةِ: صرفُها إلى معنىً تحتملُه موافِقاً لما قبلَها أو ما بعدَها.

ويروى أَنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «مَنْ تَكَلَّمَ(١) فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ، فَقَدْ أَخْطَأَ»(٢).

* * *

(١) في «ن»: «من تعلم».

(٢) رواه أبو داود (٣٦٥٢)، كتاب: العلم، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، وغيره، عن جندب بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ.



فَصْــــلٌ

في معنى قول النبي ﷺ: «إنَّ هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسَّر منه»

اختلفَ العلماءُ في معنى هذا الحديثِ، وأكثرهُم على أنَّ المرادَ به: أُنزلَ على سبعِ لغاتٍ؛ أي: فيهِ عبارةُ سبعِ قبائلَ، بلغةِ جملتِها نزلَ القرآنُ، فيعبَّرُ عن المعنى فيه مرةً بعبارةِ قريشٍ، ومرةً بعبارةِ هُذَيلٍ، ومرةً بعبارةِ أسدٍ، ومرةً بغيرِ ذلكَ بحسبِ الأفصحِ والأوجزِ في اللفظِ.

وقد وَهِمَ بعضُ الناسِ فظنَّ أن المرادَ بالسبعةِ أحرفٍ الواردةِ في الحديثِ الشريفِ هي: قراءةُ الأئمةِ السبعةِ المشهورينَ، وهم: نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وعاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وهو خطأٌ؛ فإنَّ أئمةَ القراءةِ خلقٌ كثيرٌ، ومن جملتِهم هؤلاءِ السبعةُ، وأولُ من جمعَ قراءتَهم الأستاذُ الرُّحَلَةُ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ موسى بنِ مجاهدٍ التميميُّ البغداديُّ بعدَ المئةِ الثالثةِ، واقتصرَ عليهم فقط، فظنَّ مَنْ لا علمَ له أنَّ هذهِ هي السبعةُ المذكورةُ في الخبرِ النبويِّ لا غيرُ، وليسَ الأمرُ كذلكَ، بل هي لغاتٌ للعربِ متفرقَةٌ في القرآنِ، مختلفةُ الألفاظِ، متفقَةُ المعاني.

---

(١) رواه البخاري (٤٧٠٦)، كتاب: فضائل القرآن، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف، ومسلم (٨١٨)، كتاب، صلاة المسافرين وقصرها، باب: بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ.

فالقراءات السبعُ متواترةٌ بالاتفاقِ، وكذا الثلاثُ الزائدةُ عليها على الصحيح، وما لم يتواترْ، فليسَ بقرآنٍ، وهو ما خالفَ مصحفَ عثمانَ ـ رضي الله عنه ـ، وتكرهُ قراءةُ ما صحَّ منه، ولا تصح الصلاةُ به بالاتفاق، ويجوزُ عندَ أبي حنيفة أن يقرأ بالفارسيةِ إذا أدتِ المعانيَ على كمالها من غيرِ أن يخرمَ منها شيئاً، وعنهُ: لا تجوزُ القراءةُ بالفارسيةِ إلا للعاجزِ عن العربيةِ، وهو قولُ صاحبيهِ، وعليهِ الاعتمادُ، وعندَ الثلاثة: لا تجوزُ بغيرِ العربيةِ، والله أعلمُ.

ومصحفُ عثمانَ أحدُ الحروفِ السبعةِ، وهو قولُ أئمةِ السلفِ ـ رضي الله عنهم ـ.

والتواترُ لغةً: التتابُعُ بمُهْلةٍ، واصطلاحاً: خبرُ جمعٍ مفيدٌ للعلم.

والآحاد: ما لم يتواترْ.

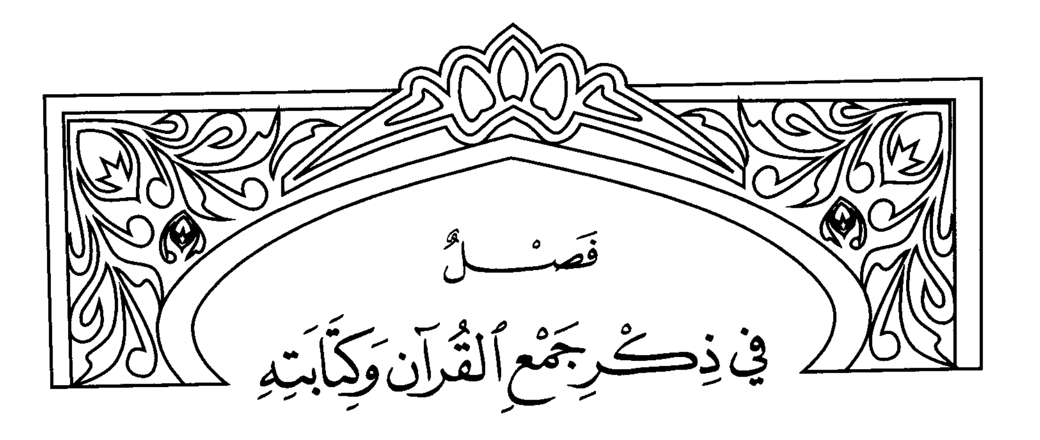
وللراوي شروطٌ منها: الإسلامُ والعقلُ والبلوغُ والضبطُ بالاتفاق، وكذا العدالةُ، وهي: صفةٌ راسخةٌ في النفس تحملُ على ملازمةِ التقوى والمروءةِ، وتركِ الكبائرِ والرذائلِ بلا بدعةٍ مغلَّظةٍ.

وعن[1] أبي حنيفةَ: تقُبَلُ روايةُ مجهولِ العدالةِ، واللهُ أعلم.

* * *

---

(١) في «ن»: «عند».



فَصْــــلٌ

فِي ذِكْرِ جَمْعِ ٱلْقُرآنِ وَكِتَابَتِهِ

كانَ القرآنُ في مدَّةِ رسولِ الله ﷺ متفرِّقاً في صدورِ الرجال، وقد كتبَ الناسُ منهُ في صُحُفٍ، وفي جَريدٍ، وفي خَزَفٍ وغيرِ ذلكَ، فلما تُوُفِّيَ رسولُ الله ﷺ، وقامَ بالأمرِ بعدَه أَحَقُّ الناسِ بهِ أبو بكرٍ الصدِّيقُ - رضي الله عنه -، وقاتل الصحابةُ - رضوانُ الله عليهم - أهلَ الردَّةِ، وأصحابَ مسيلمةَ، وقُتِلَ من الصحابةِ نحوُ الخمسِ مئةٍ، أُشير على أبي بكرٍ بجمعِ[1] القرآنِ في مصحفٍ واحدٍ خشيةَ أن يذهبَ بذهابِ الصحابةِ، فتوقَّفَ في ذلك من حيثُ إنَّ النبيَّ ﷺ لم يأمرْ[2] في ذلك بشيء، ثم اجتمعَ رأيُه ورأيُ الصحابةِ على ذلكَ، فأمرَ زيدَ بنْ ثابتٍ - رضيَ اللهُ عنهُ - بتتبُّعِ القرآنِ وجمعِهِ، فجمعَهُ في صحفٍ غيرَ مرتَّبِ[3] السُّوَرِ بعدَ تعبٍ شديدٍ منه.

وكانتِ الصحفُ عندَ أبي بكرٍ رضي الله عنه حتى تُوُفِّيَ، ثم عندَ عمرَ - رضي الله عنه - بعدَه، ثم عندَ حفصةَ - رضي الله عنها - في خلافةِ عثمانَ - رضي الله عنه -، وانتشرت في خلالِ ذلك صحفٌ في الآفاق كُتبتْ عن

(١) في «ن»: «جمع».
(٢) في «ن»: «يأمره».
(٣) في «ن»: «مرتبة».

الصحابةِ؛ كمصحفِ ابنِ مسعودٍ، وما كُتِبَ عن الصحابةِ بالشام، ومصحفِ أُبَيٍّ ـ رضي الله عنه ـ، وغير ذلك، وكان في ذلك اختلافٌ حسب السبعةِ الأحرفِ التي أُنزل القرآنُ عليها.

ولما كانَ في حدودِ سنةِ ثلاثينَ من الهجرةِ النبوية[1] الشريفةِ في خلافةِ عثمانَ ـ رضي الله عنه ـ حضرَ حذيفةُ بنُ اليمانِ فتحَ أرمينيةَ وأَذربيجانَ، فرأى الناسَ يختلفونَ في القرآنِ، ويقولُ أحدُهم للآخَرِ: قراءتي أصحُّ منْ قراءتِكَ، فأفزعَهُ ذلكَ، وقدمَ على عثمان ـ رضي الله عنه ـ، وقال: أدركْ هذه الأمةَ قبل أن يختلفوا اختلافَ اليهودِ والنصارى، فأرسلَ عثمانُ إلى حفصة؛ أن أرسلي إلينا بالصُّحف ننسخُها، ثم نردُّها إليك، فأرسلَتْها إليه، فأمرَ زيدَ بنَ ثابتٍ وعبدَ الله بنَ الزبير، وسعيدَ بنَ العاص، وعبدَ الرحمن بنَ الحارث بنِ هشام أن ينسخوها في المصاحف، وقال: إذا اختلفتم أنتم وزيدٌ في شيء، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزلَ بلسانهم، فكتب منها عدةَ مصاحفَ؛ فوجَّه بمصحفٍ إلى البصرة، ومصحفٍ إلى الكوفة، ومصحفٍ إلى الشام، وتركَ مصحفاً بالمدينة، وأمسكَ لنفسِه مصحفاً الذي يقال له: الإمام، ووجَّه بمصحفٍ إلى مكة، وبمصحفٍ إلى اليمن، وبمصحفٍ إلى البحرين، وأمرَ بما سواها من المصاحف أن تحرق ـ بحاء مهملة ـ، أو تخرق ـ بخاء معجمة على معنى، ثم تدفن[2].

---

(١) «النبوية» زيادة من «ن».

(٢) رواه البخاري (٤٧٠٢)، كتاب: فضائل القرآن، باب: جمع القرآن، عن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ نحوه.

قال ابن عطية: ورواية الحاء غير منقوطة أحسنُ[1].

ولما جمعت المصاحف وعُرضت، نظر فيها عثمان رضي الله عنه، فقال: قد أحسنتم وأجملْتم، غير أنا نرى فيها لحناً، وسنُقيمه بألسنتنا[2].

ووجه ذلك: أنه وجدهم كتبوا حروفاً على خلاف ما اقتضاه اللفظ.

ومنها ما كان على الأصل، ولو تلفظ به لكان لحناً.

ومنها ما كان من طغيان القلم بحيثُ علمَ عثمانُ أنه لا يعرض في مثله ريبٌ، من نحو ما كتبوا: (الرّبوا) بالواو في جميع القرآن، إلا ما في سورة الروم، من قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا﴾ [الروم: ٣٩] وهو في الأصل من ربا يربو، وتظهر الواو في التثنية، فيقال: رِبَوان، وكأنه كان في الأصل رِبَوٍ على وزن فِعَلٍ، فكُرهت الحركةُ على الواو، وطُلبَ منها السكون، فإذا سُكِّنت، التقَتْ مع التنوين، وهو ساكن، فتسقط الواو؛ لسكونها وسكونِ التنوين.

فكأن الكاتب حملَ ما هو الأصلُ، فخرجَ عَمَّا يطابقُه اللفظ، وكذلك: (الصلوةُ والزكوةُ) كُتبتا بالواو، وهي الأصل، والجمعُ يُظهر ذلك، إذا قيل: صلوات وزكوات، كأنها كانت في الأصل صَلَوَةً وزَكَوَةً، ولكنه لما كُرهت حركةُ الواو، وكانت قبلها فتحةٌ، انقلبتْ ألفاً، وكذلك (الحيوة) كتبت بالواو، وهي الأصل، ولكنَّ اللفظ المعروف في أهل اللسان يخالف ذلك.

وأُسقطت الألفُ في قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٩]، وحُذفت

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ٤٩).

(٢) رواه أبو داود في «المصاحف» (٢/ ٧٤٥ ـ «الدر المنثور» للسيوطي).

في قوله تعالى: ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وكُتب الحرفان بغير ألف، ولو قُرِئ به لكان لحناً، ثم أُثبتت الألف في قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿ وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَـٰلَكُمْ ﴾ [التوبة: ٤٧] بزيادة الألف بعد (لا) وكذلك كُتب[1] في بعضِ المصاحف في سورةِ النمل: ﴿ أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ ﴾ [النمل: ٢١] بزيادة ألفٍ بعد (لا)، ولو قرئ به، لكان لحناً فاحشاً.

وكتبوا في سورة الكهف: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ ﴾ [الكهف: ٢٣] بألف بين الشين والياء، ولم يكتبوا ذلك في سائر القرآن.

وكتبوا في الأنعام: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأنعام: ٣٤] بياء بعد الألف المهموزة، وفي سائر القرآن بغير ياء.

وكتبوا في النحل: ﴿ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [النحل: ٩٠] بياء بعد الألف، وفي الشورى: ﴿ أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ ﴾ [الشورى: ٥١] بالياء، وفي الأحزاب: ﴿ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾ [الأحزاب: ٥٣] بغير ياء، وكتبوا في النور: ﴿ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾ [النور: ٣٧]، وفي يونس: ﴿ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ﴾ [يونس: ١٥] بياء بعد الألف؛ وذلك كله سبقُ القلم، أو لعلَّ الكاتب قصدَ تقويةَ الهمزةِ المكسورةِ بالياء، وليسَ يحسُنُ ذلك؛ لأنه يشتبهُ بالإضافةِ إلى النفس.

وكتبوا (سَمَوتِ) بغير ألف بين الواو والتاء، إلا في موضعٍ واحد في حم السجدة قوله: ﴿ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ [فصلت: ١٢]، فهذه ونحوُها هو اللحنُ الذي قالَ عثمانُ ـ رضي الله عنه ـ: سَنُقيمه بألسنتنا.

ولا يُظن به أنه رأى لحناً يُخاف فيه الغلطُ، ثم تركَهُ في المصحف.

---

(١) في «ن»: «كتبت».

[وأما الحروف التي كُتب بعضُها على خلاف بعضٍ في المصحف][1]، وهي في الأصل واحدٌ:

فأول ذلك: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ كُتبت بحذفِ الألف التي قبل السين، وكُتبت: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ﴾ [العلق: ١]، و﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ [الأعلى: ١]، و﴿بِئْسَ الِاسْمُ﴾ [الحجرات: ١١].

و﴿مِنْهُ اسْمُهُ﴾ [آل عمران: ٤٥] بالألف، والأصلُ في ذلك كلِّه واحدٌ، وهو: أن يُكتب بالألف، وإنما حُذفت من ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ فقط؛ لأنها ألفُ وصلٍ ساقطةٌ من اللفظ، كَثُرَ استعمالُ الناس إياها في صدور الكتب، وفواتحِ السُّوَر، وعندَ كلِّ فعل يُبتدأ فيه من مأكلٍ أو مشربٍ أو ملبسٍ أو غيرِ ذلك، فأَمِنوا أن يجهلَ القارىء معناها، فحذفوها إيجازاً، ولو كُتبت: باسمِ اللهِ، بالألف، لكانَ صواباً؛ لأنهم لم يحذفوا ألفها لعلَّة موجبةٍ لحذفها، بل تخفيفاً.

ومما كتب: في سورة يوسف: ﴿لَدَا الْبَابِ﴾ [يوسف: ٢٥] بالألف، وفي الطول: ﴿لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ [غافر: ١٨] بالياء، وفي مصحف الشام في سورة البقرة [٢٢١]: ﴿ولا أمة مؤمنة﴾ بزيادة ألف، وكتب ﴿أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ في النور [٣١]، و﴿يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ﴾ في الزخرف [٤٩]، و﴿أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ في الرحمن [٣١]؛ بغير ألف، وما سواها: ﴿ياأيها﴾ و﴿ياأيتها﴾ بالألف.

ومن غرائب الهجاء ونوادره: ما كتب في الفرقان: ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٢١] بغير ألف، وفي سبأ: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْ﴾ [سبأ: ٥] بغير ألف أيضاً، وفي الحشر: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ﴾ [الحشر: ٩] بواوين من غير ألف، وفي آخر

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ن».

عم: ﴿ كُنتُ تُرَٰبًا ﴾ [النبأ: ٤٠] بغير ألف، وفي القلم: ﴿ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ﴾ [القلم: ٦] بياءين، وفي آل عمران: ﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤] بالياء، وفي الأنبياء [٣٤]: ﴿أفإن مت﴾ بغير ياء، واختلف فيه، وفي يس [١٩]: ﴿ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ ﴾ بغير ياء، وفي التوبة [٣٨]: ﴿ ٱثَّاقَلۡتُمۡ ﴾ ونحوه بالألف، وفي البقرة: ﴿ فَٱدَّٰرَٰءۡتُمۡ ﴾ [البقرة: ٧٢] ليس بين الدال والراء ولا بين الراء والتاء ألف في جميع المصاحف.

وكتب في الحاقة لبيان الحركة: (كِتَابِيَهْ، حِسَابِيَهْ، مَالِيَهْ، سُلْطَانِيَهْ)، وفي القارعة: (ما هيه) بإثبات الهاء، واختلف في قوله تعالى: (لَمْ يَتَسَنَّهْ) و(فَبِهُدَيهُمُ اقْتَدِه) أن الهاء فيهما لبيان الحركة أو لغير ذلك.

وكتب في سورة النساء: ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ ﴾ [النساء: ٧٨]، وفي الكهف: ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ [الكهف: ٤٩]، وفي الفرقان: ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ ﴾ [الفرقان: ٧]، وفي المعارج: ﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [المعارج: ٣٦] كتبت هذه الأربعةُ الأحرفِ اللامُ مع (ما) مقطوعة مما بعدها؛ وسنذكر كلَّ شيء من ذلك في محله عند تفسيره ـ إن شاء الله تعالى ـ.

واعلم أن هجاءاتِ المصاحفِ واختلافَ كتابتِها أكثرُ من أن يؤتى عليها كلِّها، وفيما ذكرتُه كفاية، وإنما كتبتْ هذه الحروفُ بعضُها على خلافِ بعض، وهي في الأصلِ واحدة؛ لأن الكتابةَ بالوجهينِ فيها كانت جائزةً عندهم، فكتبوا بعضَها على وجه، وبعضَها على وجهٍ آخرَ، إرادةَ الجمع بين الوجهين الجائزينِ فيها في الكتاب عندهم، على أنهم كتبوا أكثرها على الأصل، فالواجبُ على القرَّاءِ والعلماءِ والكتَّابِ والأدباءِ: أن يعرفوا هذا الرسْم في خط المصحف، وَيتَّبعوه، ولا يُجاوزوه؛ فإنه رسمُ زيدِ بنِ ثابتٍ ـ رضي الله عنه ـ، وكان أمينَ رسولِ الله ﷺ، وكاتبَ وحيِهِ، وعلمَ من هذا

العلم بدعوةِ النبيِّ ﷺ ما لم يعلمْهُ غيرُه، فما كتبَ شيئاً من ذلك، إلا لعلَّةٍ لطيفةٍ، وحكمةٍ بليغة.

وفي خط المصحفِ عجائبُ وغرائبُ تحيرتْ فيها عقولُ العلماء، وعجَزَتْ عنها آراءُ الرجال البلغاء، والله الموفق.

وأجمعتِ الأمةُ المعصومةُ من الخطأ على ما تضمَّنته هذهِ المصاحفُ المنسوخةُ بأمرِ عثمان ـ رضي الله عنه ـ، وتركِ ما خالفَها من زيادةٍ ونقصٍ، وإبدالِ كلمةٍ بأخرى؛ مما كان مأذوناً فيه توسعةً عليهم، ولم يثبت عندَهم ثبوتاً مستفيضاً أنه من القرآن.

وجُرِّدت هذه المصاحفُ جميعها من النقط والشكل؛ ليحتملَها ما صحَّ نقلُه، وثبتتْ تلاوتُه عن النبي ﷺ، إذ كانَ الاعتمادُ على اللفظ لا على مجرَّدِ الخطِّ، وكان من جملةِ الأحرفِ السبعةِ التي أشار إليها النبي ﷺ بقوله: «أُنْزِلَ القرآنُ على سَبْعَةِ أَحْرُفٍ»[1]، فكتبت المصاحف على اللفظ الذي استقرَّ عليه في العَرْضَةِ الأخيرة عن رسول الله ﷺ، فإن النبيَّ ﷺ كان يعرضُ القرآنَ على جبريلَ ـ عليه السلامُ ـ في كل عام مرةً، فعرض عليه القرآنَ في العام الذي قُبض فيه رسول الله ﷺ مرتين، ونُسخ منه، وغُيِّرَ فيه في العرضةِ الأخيرة، واستقرَّ منه ما كُتب في المصاحف العثمانية.

قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: لو وَلِيتُ في المصاحف ما وَلِيَ عثمانُ، لفعلتُ كما فعل[2].

---

(١) تقدم تخريجه.

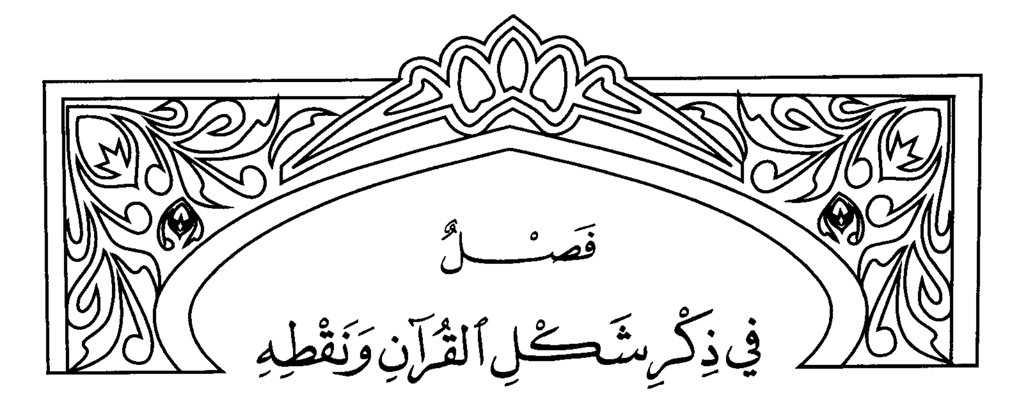
(٢) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٤٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٩/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤).

وقرأ أهلُ كلِّ مِصْر بما في مُصحفهم، وتَلَقَّوا ما فيه عن الصحابة الذين تَلقَّوه مِنْ في رسولِ الله ﷺ.

قال شيخُ الإسلام ابنُ حَجَر ـ رحمه الله ـ في «شرح البخاري»: واختلفَ هل رتَّبَ القرآنَ الصحابةُ بتوقيفٍ عن النبي ﷺ، أو باجتهاد منهم؟ قال القاضي أبو بكر: الصحيحُ: الثاني، وأما ترتيب الآيات، فتوقيفيٌّ بلا خلاف، وحكاه ابنُ عطية في «تفسيره»، والله أعلم[١].

* * *

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٢/ ٢٥٧).



فَصْلٌ
في ذِكرِ شَكلِ القُرآنِ ونَقْطِهِ

قد تقدم أن المصاحفَ العثمانيةَ كانت مجرَّدة من النَّقْطِ والشَّكْلِ، فلم يكنْ فيها إعرابٌ، وسببُ تركِ الإعرابِ فيها ـ واللهُ أعلمُ ـ: استغناؤهم عنه؛ فإنَّ القوم كانوا عَرَباً لا يعرفون اللَّحْنَ، ولم يكن في زمنهم نَحْوٌ.

وأولُ مَنْ وضعَ النحوَ، وجعلَ الإعرابَ في المصاحف: أبو الأسودِ الدُّؤَليُّ التابعيُّ البصريُّ، حُكي أنه سمع قارئاً يقرأ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٢] بكسر اللام، فأعظَمهُ ذلكَ، وقال: عزَّ وجهُ اللهِ أن يبرأَ من رسوله[١]. ثم جعلَ الإعرابَ في المصاحف، وكانتْ علاماتُه نقطاً بصبغٍ لونُه غيرُ لونِ المِداد، وهو الحُمْرَة؛ فكانت علامةَ الفتحةِ نقطةٌ فوق الحرف، وعلامة الضمة نقطةٌ في نفسِ الحرف، وعلامة الكسرة نقطةٌ تحت الحرف، وعلامة الغنة نقطتان.

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٥/ ١٩٢)، والقراءة التي سمعها أبو الأسود، هي قراءة الحسن، كما في «الكشاف» للزمخشري (٢/ ١٧٣)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (٢/ ٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨)، وقد وجَّهها بعض الأئمة بأنَّ الواو للقسم، ومع كل التوجيهات فهي غاية في الشذوذ.

ثم أحدثَ الخليلُ بنُ أحمدَ الفراهيديُّ بعد هذا هذهِ الصُّور: الشدَّةَ، والمدَّةَ، والهمزةَ، وعلامةَ السكونِ، وعلامةَ الوصل، ونقلَ الإعرابَ من صورةِ النقطِ إلى ما هو عليه الآن.

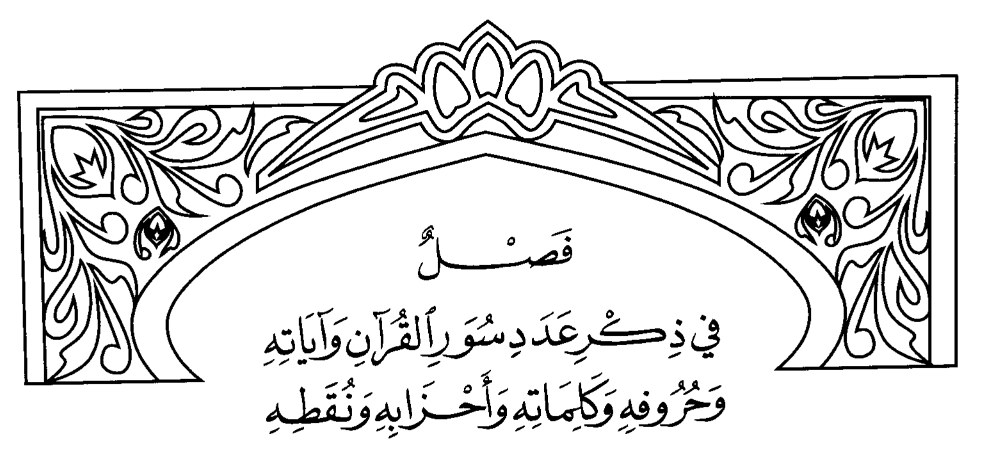
وأما النُّقط: فأولُ من وضعها بالمصحف نصرُ بنُ عاصم الليثيُّ بأمرِ الحجَّاجِ بنِ يوسفَ أميرِ العراقِ وخراسانَ، وسببُه: أن الناس كانوا يقرؤون في مُصحفِ عثمانَ نيِّفاً وأربعينَ سنةً إلى أيام عبدِ الملكِ بنِ مروانَ، ثم كَثُرَ التَّصحيفُ، وانتشرَ بالعراقِ، فأمر الحجاجُ: أن يضعوا لهذه الأحرف المشتبهةِ علاماتٍ، فقام بذلك نَصْرٌ المذكورُ؛ فوضعَ النقطَ أفراداً وأزواجاً، وخالفَ بينَ أماكنِها، وكان يقال له: نَصْرُ الحروف.

وأول ما أحدثوا النقط على الياء والتاء، وقالوا: لا بأسَ به، هو نورٌ له، ثم أحدثوا نقطاً عند منتهى الآي، ثم أحدثوا الفواتحَ والخواتمَ.

فأبو الأسودِ الدؤليُّ هو السابقُ إلى إعرابه، والمبتدىء به، ثم نصرُ بن عاصمٍ وضع النقطَ بعدَه، ثم الخليلُ بنُ أحمدَ نقلَ الإعرابَ إلى هذه الصور.

وكان مع استعمال النقط والشكل، يقعُ التصحيفُ، فالتمسوا حيلةً، فلم يقدروا فيها إلا على الأخذِ من أفواهِ الرجال بالتلقين؛ فانتدَبَ جهابذة علماء الأمة، وصناديد الأئمة، وبالغوا في الاجتهاد، وجمعوا الحروفَ والقراءات، حتى بيَّنوا الصوابَ، وأزالوا الإشكال ـ رضي الله عنهم ـ.

* * *



فَصْـــلٌ
فِي ذِكْرِ عَدَدِ سُوَرِ القُرْآنِ وَآيَاتِهِ وَحُرُوفِهِ وَكَلِمَاتِهِ وَأَحْـزَابِهِ وَنُقَطِهِ

أما عدد سور القرآن، فهو: مئة وأربعَ عَشْرَةَ سورةً.

وعدد آياته ستةُ آلافٍ ومئتان وستٌّ وثلاثون آية.

وعدد حروفه: ثلاثُ مئةِ ألفِ حرفٍ وأحدٌ وعشرون ألفَ حرفٍ، ومئتانِ وخمسون حرفاً.

روي ذلك كله عن علي بن أبي طالب ـ رضي لله عنه ـ عن النبي ﷺ، ذكره الإمام أبو عبد [الله][1] أحمدُ بنُ أبي عمر الأندراني في كتابه «الإيضاح في علم القراءات» في الباب العاشر. وعددُ كلماتِه في قولِ عَطاءِ بنِ يَسارٍ ـ رحمه الله ـ: سبعٌ وسبعونَ ألفَ كلمةٍ، وأربعُ مئةِ كلمةٍ، وتسعٌ وثلاثونَ كلمة[2].

وأحزابه: ستون حزباً.

قيل: إن الحجاج لما جدَّ في نَقْط المصحف، زاد تحزيبَهُ، وأمر الحسنَ ويحيى بن يعمرَ بذلك.

---

(١) لفظ الجلالة سقط من «ت».

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٨).

وأما وضعُ الأعشارِ فيه، فحُكي: أن المأمون العباسيَّ أمر بذلك.

وقيل: إن الحجاج فعل ذلك.

وهذا الذي ذكرتُه من العدد جملة، وأما عددُ آي كل سورة وحروفها وكلمها، فسأذكره عند أولها ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وأما عددُ كلِّ حرفٍ من حروف المعجم:

فالألف: ثمانية وأربعون ألفاً، وتسع مئة وأربعون.

والباء: أحدَ عشرَ ألفاً، وأربعُ مئة وعشرون.

والتاء: عشرة آلاف، وأربع مئة وثمانون.

والثاء: ألفٌ، وأربعُ مئةٍ وأربعةٌ.

والجيم: ثلاثةُ آلافٍ، وثلاثُ مئةٍ واثنانِ وعشرونَ.

والحاء: أربعة آلاف، ومئةٌ وثمانيةٌ وثلاثون.

والخاء: ألفانِ، وخمسُ مئةٍ وثلاثةٌ.

والدال: خمسةُ آلافٍ، وتسعُ مئةٍ، وثمانيةٌ وتسعون.

والذال: أربعةُ آلافٍ، وتسعُ مئةٍ، وأربعةٌ وثلاثون.

والراء: ألفان، ومئتان، وستة.

والزاي: ألفٌ، وستُّ مئةٍ وثمانونَ.

والسين: خمسةُ آلافٍ، وسبعُ مئة، وتسعةٌ وتسعون.

والشين: ألفان، ومئة، وخمسة عشر.

والصاد: ألفان، وسبع مئة، وثمانون.

والضاد: ألفٌ، وثماني مئة، واثنان وثمانون.

والطاء: ألف، ومئتان وأربعة.

والظاء: ثماني مئة، واثنان وأربعون.

والعين: تسعة آلاف، وأربع مئة وتسعون.

والغين: ألفٌ ومئتان، وتسعة وعشرون.

والفاء: تسعةُ آلافٍ، وثماني مئة، وثلاثة عشر.

والقاف: ثمانيةُ آلافٍ، وتسعةٌ وتسعونَ.

والكاف: ثمانية آلاف، واثنانِ وعشرون.

واللام: ثلاثةٌ وثلاثون ألفاً، وتسعُ مئة، واثنان وعشرون.

والميم: ثمانية وعشرون ألفاً، وتسع مئة، واثنان وعشرون.

والنون: تسعةٌ وعشرون ألفاً، وتسع مئة، وخمسة وخمسون.

والواو: خمسةٌ وعشرون ألفاً، وخمسُ مئةٍ وستةٌ.

والهاء: سبعةَ عشرَ ألفاً.

ولامُ الألف: أربعةَ عشرَ ألفاً، وسبعُ مئةٍ، وسبعةٌ.

والياء: خمسة وعشرون ألفاً، وسبع مئة، وخمسة عشر.

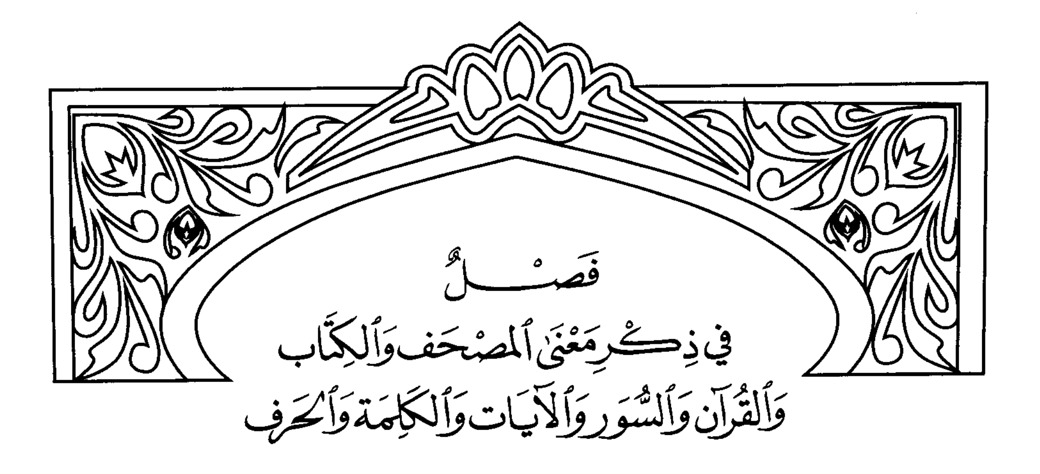
قال ذلك الإمام نجم الدين النسفي، ونظمه الشيخ شمس الدين القباقبي ـ رحمه الله تعالى ـ.

وعدد نقطه مئةُ ألفٍ، وستون ألفاً، وثلاثة آلاف، وسبع مئة، وتسع وعشرون نقطة؛ قاله القباقبي في نظمه.

وقد اختلف علماءُ القراءة في عدد الآيِ والكلماتِ والحروفِ، وليس ذلك باختلافٍ على الحقيقة، وإن كان اختلافاً في اللفظِ.

قال بعض أهل العلم: يصرف الأمل فيما اختلفوا فيه من الحروف والكلمات، إلا أن بعضهم كان يَعُدُّ كلَّ حرف مشدَّدٍ حرفين، وبعضهم لم يفعلْ ذلك؛ فصار عددُ حروفِ من لم يفعلْ ذلك أقلَّ، وعدَّ بعضهم (في خَلْقِ) كلمتين، و(في السموات) كلمتين؛ كأنه يقول: (في) كلمة، و(خلق) كلمة، وبعضهم لم يفعل ذلك، بل عدَّ (في خلق) و(في السموات) وما أشبه ذلك، كلمة كلمة؛ فصار عدد من فعل ذلك أقلَّ من عدد كلمات من لم يفعلْ ذلك، وإلى هذا يُصرف اختلافُهم في عدد الحروف والكلمات، والله أعلم.

* * *



فَصْلٌ
في ذِكْرِ مَعْنَى ٱلمصْحَف وَٱلكِتَاب وَٱلقُرآن وَٱلسُّوَر وَٱلآيَات وَٱلكَلِمَة وَٱلحَرف

* **أما معنى المصحف]**[1]: فهو مُفْعَل، من أُصْحِفَ؛ أي: جُمع فيه الصحفُ، واحدتُها صحيفة؛ كمدينة ومدن. وروي أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ لما أمر بجمع القرآن، وكتبوه، استشار الناس في اسمه، فسماه مُصْحفاً، وذلك لمعنيين:

أحدهما: أن القرآن كان في صُحف متفرقة، فلما جمعوه في موضع واحد، سموه مُصْحفاً، أي: جُمع فيه الصحف.

والآخر: أنه جُمع فيه علمُ الصحف الأولى، وأنه يَعْدِلُها، وهي: التوراةُ والإنجيلُ والزَّبورُ.

ومعنى الصحيفة: القطعةُ من جلدٍ أو رقّ، وجمعُها صُحف، فلما ضُمَّ بعضُها إلى بعض، سمي مصحفاً.

* **وأما الكتابُ**: فهو ضَمُّ الحروف الدالَّةِ على معنىً بعضها إلى بعض، لأنه مصدرُ كَتَبَ، ومعناه: جمعَ، ومنه قوله ـ عز وجل ـ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢]؛ أي: جمع، حتى آمنوا بجميع ما يجب عليهم.

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ن».

وقد سمى الله تعالى القرآنَ كتاباً، فقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة: ٢].

* **وأما القرآن**: فهو اسمُ الكتاب الذي أنزله الله تعالى على محمدٍ عبدِه ورسولِه ﷺ خاصَّةً، لم يُسَمَّ به شيءٌ غيرُه من الكتب؛ كما أن التوراةَ اسمُ الكتاب المنزلِ على موسى، والإنجيلَ اسم الكتاب المنزل على عيسى، والزبورَ اسم الكتاب المنزل على داود ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ.

وهو: منزَلٌ غيرُ مخلوقٍ بإجماعِ أهل السُّنةِ، واتفاقِ الأئمة، معجزٌ، مُتَعَبَّدٌ بتلاوتِه، مكتوبٌ في مصاحِفِنا، محفوظٌ في صدورنا، مقروءٌ بألسنتِنا.

وإنَّما سمي قرآناً؛ لأنه: جَمَعَ السُّوَرَ وضَمَّها، قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧] أي: تأليفَه، وضمَّ بعضِه إلى بعضٍ ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨] أي: إذا ألَّفناه وضَمَمْناه، فخذْهُ واعملْ به.

وسمي أيضاً: الفرقان؛ لأنه: فرقَ بينَ الحقِّ والباطلِ، والمؤمنِ والكافرِ، فَرْقاً وفُرْقاناً.

وسمي: الذكر؛ لأنه: ذَكَّرَ الناسَ آخرَتَهم وإلَهَهم، وما كانوا في غفلةٍ عنه.

* **وأما السُّورَةُ** من القرآن: فهي اسمٌ لآيٍ جُمعت، وقُرنت بعضُها إلى بعض؛ حتى تَمَّتْ، وكَمُلَتْ، وبَلَغَتْ في الطول المقدارَ الذي أرادَ الله تعالى، ثم فصلَ بينها وبين سورةٍ أخرى ببسم الله الرحمن الرحيم، ولا تكونُ السورةُ إلا معروفَ المبتدأ معروفَ المنتهى.

* **وأما الآية**: ففيها خلاف، فقيل:

معنى الآية من القرآن: كلامٌ متصلٌ إلى انقطاعه، وانقطاع معناه فصلاً فصلاً.

وقيل: معنى الآية: العلامة؛ كقوله: ﴿رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ [مريم: ١٠] أي: علامة.

وإنما سميت الآية آية؛ لأنها: علامة تدل على نفسها بانفصالها عن الآية التي تقدَّمَتْها، أو تأخَّرَتْ عنها، فكلُّ آيةٍ كأنها علامةٌ.

* **وأما الكلمةُ**: فهي الواحدةُ من جملةِ الكلام، وجمعُها كَلِم، وتجمعُ أيضاً على: كَلِمات، فالكلام: اسمُ جنس يقعُ على القليلِ والكثيرِ من جنسِه.

* **وأما الحَرْفُ**: فهو الواحد من حروف المعجم، سمي: حرفاً؛ لقلته ودقته، ولذلك قيل: حرف الشيء لطرفه؛ لأنه آخرُه، والقليلُ منه، والحرفُ أيضاً: القراءةُ بكمالها، والحرفُ أيضاً: اللغةُ، ومنه قول النبي ﷺ: «أُنْزِلَ القُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ»[1] أي: على سبعِ لغاتٍ للعرب متفرقةٍ في القرآن مختلفةِ الألفاظِ متفقةِ المعاني.

وقولهم لمكتَسَبِ الرجل وطُعْمَته: الحِرْفَة، كأنها الجهةُ التي انحرفَ إليها عما سواها.

والتحريفُ في الكلام: تغييرُه عن معناه، كأنه ميلٌ به إلى غيره، وانحرفَ عنه، كما قال الله تعالى في صفة اليهود: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣]؛ أي: يغيرون معاني التوراة بالتَّمْويهاتِ، والله أعلم.

* * *

(١) تقدم تخريجه (ص: ١٠).



فَصْـــلٌ
وَأَمَّا كَيْفَ يَقْرَأُ القُرآن؟

فإن كلام الله يقرأ: بالتَّحقيق، وبالحَدْر، وبالتَّدوير الذي هو التوسُّط بين الحالتين، مُرَتَّلاً مُجَوَّداً بلُحون العربِ وأصواتِها، وتحسينِ اللفظِ والصوتِ بحسب الاستطاعةِ.

* **أما التحقيق:** فهو المبالغةُ في الإتيان بالشيء على حَقِّه من غير زيادةٍ فيه ولا نقصان، وهو نوعٌ من الترتيل، وهذا النوعُ من القراءة ـ وهو التحقيق ـ مذهبُ حمزةَ، ووَرْشٍ، والكِسائِيِّ، وأبي بكرٍ، وحَفْصٍ، وهِشامٍ، وابنِ ذَكْوانَ.

وفرق بعضُهم بين الترتيل والتحقيق؛ إذ التحقيقُ يكون للرياضة والتعليم والتمرين، وأما الترتيلُ يكون للتدبُّرِ والتفكُّر والاستنباط، فكل تحقيقٍ ترتيلٌ، وليس كل ترتيلٍ تحقيقاً.

* **وأما الحَدْرُ:** فهو عبارةٌ عن إدراجِ القراءةِ وسرعتِها، وتخفيفِها بالقصرِ والتسكينِ والاختلاسِ، والبدلِ، والإدغامِ الكبيرِ، وتخفيفِ الهمز، ونحو ذلك مما صحَّت به الروايةُ، ووردتْ به القراءة، وهو ضدُّ التحقيق، وهذا النوعُ مذهبُ ابنِ كَثيرٍ، وأبي جَعْفَرٍ، وأبي عمرٍو، ويعقوبَ، وقالونَ، ووَرْشٍ، ورُوي عن حفصٍ، وهشامٍ.

* **وأما التَّدْويرُ**: فهو التوسُّطُ بين المقامين من التحقيق والحدر، وهو مذهبُ سائر القراء، وصحَّ عن جميع الأئمة، وهو المختارُ عن أكثر أهل الأداء.

* **وأما التَّرْتيلُ**: فهو مصدرٌ من رَتَّلَ فلانٌ كلامَه؛ إذا أتبعَ بعضَه بعضاً على مُكْثٍ وتفَهُّمٍ، من غير عَجَلةٍ، وهو الذي نزلَ به القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢].

وعن علي ـ رضي الله عنه ـ: أنه سُئل عن قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، فقال: الترتيلُ تجويدُ الحروف، ومعرفةُ الوقف[١].

والصحيحُ بلِ الصوابُ: أن الترتيلَ والتدبُّرَ مع قلةِ القراءة، أفضلُ من السرعةِ مع كثرتها.

* **والتَّجْويدُ**: هو حليةُ التلاوةِ وزينةُ القراءة، وهو: إعطاءُ الحروف حقوقَها، وترتيبَها مراتبَها، وردُّ الحرفِ إلى مخرجه وأصلِه، من غير إسرافٍ ولا تعسُّف، ولا إفراطٍ ولا تكلُّف.

قال الحبرُ العلامةُ أبو زكريا النووي ـ رضي الله عنه ـ: وإذا ابتدأ القارىء بقراءة شخصٍ من السبعة، فينبغي أن لا يزالَ على تلك القراءة، ما دام للكلام ارتباطٌ، فإذا انقضى ارتباطُه، فله أن يقرأ بقراءةِ آخرَ من السبعة، والأَوْلى دوامُه على تلكَ القراءةِ في ذلك المجلس[٢].

وقال الأستاذ أبو إسحقَ الجعبريُّ ـ رحمه الله ـ: والتركيبُ ممتنعٌ في

---

(١) انظر: «الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي (٢٢١).
(٢) انظر: «التبيان في آداب حملة القرآن» للنووي (ص: ٣٧).

كلمةٍ، وفي كلمتين؛ إن تعلَّقَ أحدُهما بالآخَرِ، وإلاَّ كُرِهَ.

وأجازها أكثرُ الأئمة مطلقاً، وجعل خطأَ مانعي ذلك مُخَفَّفاً.

قال الحافظ العلامة ابن الجزريِّ ـ رحمه الله ـ: والصوابُ في ذلك عندنا[1] التفصيلُ، والعدول بالتوسُّط إلى سواء السبيل، فنقول: إن كانت إحدى القراءتين مترتبةً على الأخرى، فالمنعُ من ذلك منعُ تحريم؛ كمن يقرأ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ٣٧] بالرفع فيهما، أو بالنصب، آخذاً رفعَ (آدَمُ) من قراءة غير ابن كثير، ورفعَ (كَلِمَاتٌ) من قراءة ابن كثير[2]، ونحو: (وكَفَّلَها زَكَرِيَّاءُ) بالتشديد مع الرفع، أو عكس ذلك[3]، ونحو: (وَقَدْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ) وشبهِه مما يُرَكَّب بما لا تجيزُه العربية، ولا يصحُّ في اللغة، وأما ما لم يكنْ كذلك، فإنا نفرِّق فيه بين مقامِ الرواية وغيرها:

فإن قرأَ بذلك على سبيل الروايةِ، فإنه لا يجوزُ أيضاً، من حيثُ إنه كذبٌ في الرواية، وتخليطٌ على أهلِ هذهِ الدراية.

---

(١) في «ن» و«ظ»: «عندنا في ذلك».

(٢) قراءة ابن كثير: ﴿فتلقى آدمَ من ربه كلماتٌ﴾، والباقون برفع آدم، انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٩٣)، و«التيسير» للداني (ص٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١١) و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٨)، ووجَّه البغوي ـ رحمه الله ـ قراءة ابن كثير بقوله: يعني: جاءتِ الكلماتُ آدمَ من ربه، وكانت سببَ توبته.

(٣) انظر: توجيه المؤلف لقراءات هذه الآية، في تفسير سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

وإن لم يكنْ على سبيلِ النقلِ والرواية، بل على سبيل القراءةِ والتلاوة، فإنه جائزٌ صحيحٌ مقبولٌ، لا منعَ منه، ولا حَظْرَ، وإن كنا نَعيب على أئمة القراءات والعارفينَ باختلافِ الروايات، من وجه تساوي العلماءِ بالعوامِّ، لا من وجهِ أنَّ ذلكَ مكروهٌ أو حَرام، إذ كلٌّ من عندِ الله نزلَ به الرُّوحُ الأمينُ على قلبِ سَيِّدِ المرسلين؛ تخفيفاً عن الأمَّةِ، وتهويناً على أهلِ هذه الملَّة، فلو أوجَبْنا عليهم قراءةَ كلِّ روايةٍ على حِدَةٍ، لَشَقَّ عليهم تمييزُ القراءةِ الواحدةِ، وانعكسَ المقصودُ من التخفيفِ، وعادَ الأمر بالسهولةِ إلى التكليف، وقد تقدَّم لفظُ الحديثِ الشريفِ: «إِنَّ هَٰذَا القُرْآنَ نَزَلَ على سبعةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَؤُوا ما تَيَسَّرَ منهُ»[1].

* * *

(١) تقدم تخريجه (ص: ١٠).



فَصْــــلٌ في ٱلاسْتِعَاذَة

قال الله تعالى ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨].

معناه: إذا أردتَ أن تقرأ، وشَرَعْتَ، فأوقعَ الماضي موقع المستقبل؛ لثبوته.

وأجمع العلماءُ على أن قول القارئ: أعوذُ باللهِ منَ الشيطانِ الرجيم ليس بآيةٍ من كتاب اللهِ تعالى، وأجمعوا على استحسانِ ذلكَ، والتزامِه في كل قراءة في غير صلاةٍ.

ويجهرُ بها عند جميع القراء قبل القراءة.

ورُوي عن حمزةَ إخفاؤها قبلُ حيث قرأ.

ورُوي عنه الإخفاء في غير الفاتحة.

وروي عن قالون إخفاءُ الاستعاذة في جميع القرآن.

ويجوز الوقفُ على الاستعاذة، ووصلُها بما بعدها، بَسْمَلَةً كانَ أوغيرَها من القرآن.

ومعنى (أعوذ بالله) أي: أستجيرُ وأمتنعُ بعظمة الله (من الشيطان) هو إبليسُ، فَيْعالٌ منْ شَطَنَ؛ أي: بَعُدَ من رحمةِ الله. (الرَّجيمِ)؛ أي:

المرجومِ بالشُّهُبِ عندَ استراقِ السمعِ، فصار المعنى: أستجيرُ وأمتنعُ بعظمة اللهِ من المرجومِ المطرودِ عن رحمةِ اللهِ.

والمختارُ لجميع القراءِ من حيثُ الروايةُ: أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم، كما ورد في سورة النحل، وهو المأخوذ به عند عامة الفقهاء؛ كالشافعي، وأبي حنيفة، وأحمد بن حنبل[1]، وغيرهم.

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قرأتُ على رسول الله ﷺ: أعوذُ باللهِ السَّميعِ العليمِ، فقالَ لي: «قُلْ أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ؛ فَإِنِّي قَرَأْتُ عَلَى جِبريلَ: أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ، فَقَالَ لِي: قُلْ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ؛ ثُمَّ قالَ لِي جِبْرِيلُ: هَكَذَا أَخَذْتُ عَنْ مِيكَائِيلَ، وَأَخَذَ مِيكائِيلُ عَنِ اللَّوْحِ المَحْفُوظِ» رواه الحافظُ ابنُ الجزريِّ في «النشر»[2].

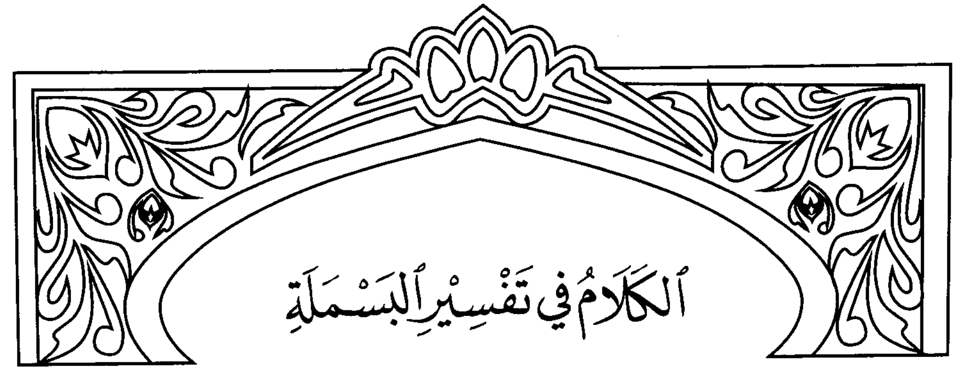
والمختار عند أئمة القراءة الجهرُ بها كما تقدَّم، ومحلُّها قبلَ القراءة إجماعاً، وهي مستحبةٌ في القراءة بكل حال، في الصلاةِ وخارجَها ندباً، وهي في الصلاة للقراءة لا للصلاة، وهو مذهب الأئمة الثلاثة، وأما الإمام مالك، فإنه قال: لا يُستعاذ إلا في قيام رمضان فقط، والله أعلم.

* * *

---

(١) «بن حنبل» ساقطة من «ش» و«ت».

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري ( ).



الكلامُ في تفسيرِ البسملةِ

رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مِفْتاحُ القُرْآنِ التَّسْمِيَةُ»(١).

وقال ابنُ عباس ـ رضي الله عنهما ـ «إجلالُ القرآن: أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ، ومفتاحُ القرآنِ: بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ»(٢).

ورُوي أن أولَ ما جرى به القلمُ في اللوح المحفوظ: بسم الله الرحمن الرحيم.

وروي أن رجلاً قال بحضرة النبي ﷺ: تَعِسَ الشيطانُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «لا تَقُلْ ذَلِكَ، فإنَّهُ يَتَعَاظَمُ عِنْدَهُ، وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؛ فَإِنَّهُ يَصْغُرُ حَتَّى يَصِيرَ أَقَلَّ مِنْ ذُبابٍ»(٣).

وقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الباءُ في محلِّ نصبٍ؛ لأنها في موضعِ

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، لكن روى الخطيب البغدادي في كتابه «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٢٦٤) عن أبي جعفر محمد بن علي معضلاً: «بسم الله الرحمن الرحيم مفتاح كل كتاب»، وأورده السيوطي في «الجامع الصغير»، والمناوي في «فيض القدير» (٣/ ١٩٢).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) رواه أبو داود (٤٩٨٢)، كتاب: الأدب، باب: (٨٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٣٨٨)، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٥٩)، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

مفعولٍ به، تقديرُه: أبدأُ بسمِ الله، أو: بدأتُ بسم الله، أو في محلِّ رفعٍ؛ لأنها في موضع خبرِ الابتداء، تقديرُه: مفتاحُ كلامي بسم الله، وكُسرت باء الجر ليناسبَ لفظُها عملَها، وحذفت الألفُ من بسم الله في الخط؛ طلباً للخفة؛ لكثرة استعمالها، وطولت الباء ليكونَ افتتاحُ كتاب الله بحرفٍ معظم.

والاسمُ: هو المسمَّى وعينُه وذاتُه، وقيل: الاسمُ غيرُ المسمَّى، وإنما هو يدلُّ على المسمَّى، وهو مشتق من السمو، وهو العلو.

والله: هو اسمٌ تَفَرَّدَ به الباري سبحانه، قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وهو اسمُ الله الأعظمُ، ومعناه: السيدُ.

واختُلف في اشتقاقه، فقال جماعةٌ من العلماء: هو غيرُ مشتق؛ كأسماءِ الأعلامِ للعباد مثل زيدٍ وعمرٍو.

و[١]قال آخرون: هو مشتقٌّ من أَلِهَ إِلاهَةً؛ أَيْ عبدَ عبادةً، معناه: أنَّهُ المستحقُّ للعبادة دون غيره.

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ صفةُ مبالغةٍ من الرحمة، معناها: أنه انتهى إلى غاية الرحمة، وهي صفةٌ تختصُّ بالله، ولا تطلق على البشر.

﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ عظيمِ الرحمةِ، والرحمةُ إرادةُ الخيرِ لأهلِه، وأصلُها الرقَّةُ والتعطُّف.

واختلف العلماءُ والقراء فيها، فقيل: هي آيةٌ من الفاتحة فقط، وهو مذهب أهل مكة، والكوفة، ومن وافقهم.

وقيل: آية من الفاتحة، ومن أول كل سورة سوى براءة، وهو الصحيح من مذهب الإمام الشافعي ومن وافقه، فيجهر بها في صلاة الجهر.

---

(١) «و» زيادة من «ن» و«ظ».

وقيل: آيةٌ فاصلةٌ بين كل سورتين سوى براءة، فيكره ابتداؤها بها، وهو مذهب الإمامين أبي حنيفة، وأحمد بن حنبل، ومن وافقهما، فتقرأ سراً في صلاة الجهر.

وقيل: ليست بآية، ولا بعض آية من الفاتحة، ولا من غيرها، وإنما كتبت للتيمُّن والتبرُّك، وهو مذهب الإمام مالك، ومن وافقه، ونقل جماعة عن أبي حنيفة كمذهب مالك، وعند مالك تكره قراءتها في صلاة الفرض، مع إجماعهم على أنها بعضُ آية من سورة النمل، وأن بعضها آية من الفاتحة. وليست من القرآن أول براءة؛ لنزولها بالقتال الذي لا تناسبه[1] البسملة المناسبة للرحمة والرفق.

وأما مذاهبُ القراءِ فيها، فقد أجمعَ القراءُ على إثبات البسملةِ أولَ الفاتحة، سواء وُصلت بسورة الناس قبلَها، أو ابْتُدِىءَ بها، واختلفوا فيها.

فأما ابنُ كثير، وعاصمٌ، والكسائيُّ، فإنهم يعتقدونها آية من الفاتحة، ومن كل سورة، وافقهم حمزةُ على الفاتحة فقط، وصحَّ عن نافع أنه قال: أشهد أنها من السبع المثاني، وأن الله أنزلها.

وقيل: إن أبا عمرٍو، وقالونَ، ومن تابعَ الثاني من قراء المدينة لا يعتقدونها آية من الفاتحة، ولم يرضَ ابنُ الجزريِّ هذا القول.

وأما الفصلُ بالبسملة بين كلِّ سورتين، فاختلف القراء في ذلك، ففصلَ بها بين كلِّ سورتين إلا بينَ الأنفالِ وبراءة: ابنُ كثير، وعاصمٌ، والكسائيُّ، وأبو جعفرٍ، وقالونُ، والأصبهانيُّ عن ورشٍ.

---

(١) في «ت»: «لا يناسبه».

ووصلَ بينَ كلِّ سورتين: حمزةُ، وكان يقول: القرآنُ عندي كسورةٍ واحدةٍ، فإذا قرأتُ: بسم الله الرحمن الرحيم في أول فاتحة الكتاب، أجزأني.

قال ابن الجزري: كلامُ حمزةَ يُحمل على حالة الوصل، لا الابتداء؛ لإجماع أهل النقل على ذلك، والله أعلم.

واختلف عن خلف في اختياره بين الوصل والسكت.

واختلف أيضاً عن الباقين وهم: أبو عمرو، وابن عامر، ويعقوبُ، وورشٌ من طريق الأزرق بين الوصل والسكت والبسملة.

ثم إن الآخذين بالوصل لمن ذُكر من حمزةَ، أو أبي عمرٍو، أو ابن عامرٍ، أو يعقوبَ، أو ورشٍ، اختارَ كثيرٌ منهم لهم السكت بين المدَّثر والقيامة، وبين الانفطار والمطفِّفين، وبين الفجر والبلد، وبين العصر والهُمَزَة، وكذا الآخذون بالسكت لمن ذُكر من أبي عمرو، وابن عامر، ويعقوبَ وورشٍ، اختار كثير منهم لهم البسملة في هذه الأربعة مواضعَ، وإنما اختاروا ذلك؛ لبشاعة وقوع مثل ذلك إذا قيل: ﴿وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦] ﴿لَآ﴾ [القيامة: ١]، أو ﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٣٠] ﴿لَآ﴾ [البلد: ١]، أو ﴿لِّلَّهِ﴾ [الإنفطار: ١٩] ﴿وَيۡلٌ﴾ [المطففين: ١]، أو ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ٣] ﴿وَيۡلٌ﴾ [الهمزة: ١] من غير فصل، ففصلوا بالبسملة للساكت، وبالسكت للواصل، ولم يمكنهم البسملة له؛ لأنه ثبت عنه النصُّ بعدمها، فلو بَسْمَلوا، لصادموا النصَّ بالاختيار، وذلك لا يجوزُ.

والأكثرون على عدم التفرقة بين الأربعة وغيرها، وهو اختيار المحققين.

والمشترَطُ في السكت أن يكون من دون تنفُّس.

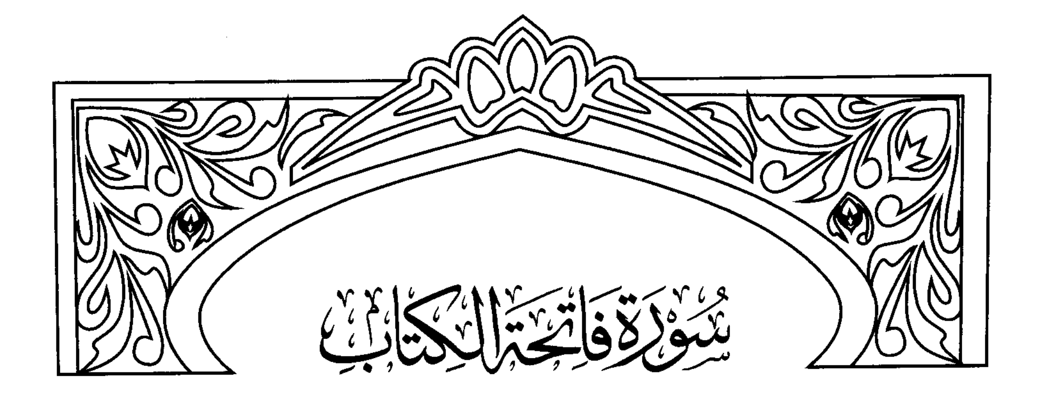
ولا خلاف في حذفها بين الأنفال وبراءة، وكذلك في الابتداء ببراءة، وأما الابتداء بالآي وسط براءة، ففيه خلاف، ولا يجوز القطع عليها إذا وصلت بآخر السورة، ويجوز بين الأنفال وبراءة كلٌّ من الوصل والسكتِ والوقفِ لجميع القراء إذا لم يقطع على آخر الأنفال.

فالقطعُ: هو قطعُ القراءة رأساً، فهو كالانتهاء.

والوقف: هو قطعُ الصوت على الكلمة زمناً يتنفس فيه عادة بنيةِ استئنافِ القراءة.

والسكتُ: هو قطعُ الصوت زمناً دون زمن الوقف عادةً من غير تنفس، والله أعلم.

* * *



سُورَةُ فَاتِحَةِ الكِتَابِ

مكيةٌ، وآيُها سبعُ آيات، وحروفُها بالبسملةِ والتشديداتِ لمن قرأ: (مَالِكِ) مئةٌ وستٌّ وخمسون حرفاً، وكلمُها تسعٌ وعشرون كلمةً، وبغير البسملةِ حروفُها مئةٌ وأربعةٌ وثلاثونَ، وكلمُها خمسٌ وعشرون.

فمن قال إنها سبعُ آيات غير البسملةِ جعلَ ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ١ آية ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ ٢ آيـة ﴿ٱلدِّينِ﴾ ٣ آيـة ﴿نَسْتَعِينُ﴾ ٤ آيـة ﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ ٥ آية ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ٦ آية ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ ٧ آية.

ومن قال: إن البسملةَ منها، وعدَّها من الآيات السَّبعِ، جعلَ البسملةَ آيةً، ولم يجعلْ ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

وليست فيها سبعةُ أحرفٍ من حروف المعجم، وهي الثاءُ والجيمُ والخاءُ والزايُ والشينُ والظَّاءُ والفاءُ.

وفي بعض الآثار: أن الحكمة فيها أن الثاءَ من الثُّبور، والجيمَ من الجحيم، والخاءَ من الخوف، والزايَ من الزَّقُّوم، والشينَ من الشَّقاوة، والظَّاء من الظُّلمة، والفاءَ من الفِراق، ومعتقِدُ هذه السورة وقارئُها على التعظيم والحرمة آمِنٌ من هذه الأشياء السبعة.

وأما أسماءُ الفاتحةِ، فهي[1] ثلاثةُ أسماءٍ معروفةٍ:

الأول: فاتحةُ الكتاب؛ لأن القرآنَ افتُتِحَ بها.

والثاني: أُمُّ القرآنِ؛ لأن القرآن يُبْدَأُ منها؛ كقولهم لمكة: أمُّ القرى، ولتقدُّمها في المصحف، وفي الصلاة.

والثالثُ: السبعُ المثاني؛ لأنها سبعُ آيات بإجماع، ولأنها تُثَنَّى في الصلاة.

واختلف الأئمةُ فيها، هل هي فرض في الصلاة؟ فقال أبو حنيفةَ: ليست فرضاً، فلو قرأ آية في كل ركعة، صحَّتْ صلاته، وقال صاحباه: ثلاثُ آيات قِصار، أو آيةٌ طويلة تَعْدِلُها؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ﴾ [المزمل: ٢٠] من غير تقييدٍ، وفرضُ القراءة عندهم إنما هو في الركعتين الأُولَيين من الرُّباعية، وأما في الأُخْرَيين، فسنةٌ، فلو سبَّحَ أو سكتَ فيهما، أجزأهُ.

وقال الأئمةُ الثلاثةُ: هي ركنٌ في كلِّ ركعةٍ من الرباعية وغيرها، وتبطل الصلاةُ بتركها عمداً أو سهواً؛ لقوله ﷺ: «لا صلاةَ إلا بفاتحةِ الكتابِ»[2]، والله أعلم.

* * *

---

(١) في «ن» و«ظ»: «فلها».

(٢) رواه البخاري (٧٢٣)، كتاب: صفة الصلاة، باب: وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها، في الحضر والسفر، ومسلم (٣٩٤)، كتاب: الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ.

التفسير:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ①﴾.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ②﴾.

[٢] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ مبتدأ وخبرٌ، كأنه يخبر أن الله هو المستحقُّ للحمدِ، وهو بمعنى الأمرِ؛ أي: احمدوه، والحمدُ: هو الثناءُ الكاملُ، وهو أعمُّ من الشكر؛ لأن الشكرَ إنما يكون على فعلٍ جميلٍ يُسْدَى إلى الشاكر، والحمدُ المجرَّدُ هو ثناءٌ بصفاتِ المحمود من غير أن يُسْدِيَ شيئاً، واللام في (لله) للاستحقاق، كما يقال: الدارُ لزيدٍ، وهو اسمٌ خاصٌّ لله ـ عز وجل ـ، وتقدم تفسيرُه مستوفىً في البسملة، واتفق القراء على تغليظ اللام من اسمِ الله تعالى إذا كان بعدَ فتحةٍ أو ضمةٍ نحو: (شَهِدَ اللهُ) و(رُسُلُ اللهِ)، فإن كان قبلَها كسرةٌ، فلا خلافَ في ترقيقها، نحو (بسمِ اللهِ) و(الحمدُ للهِ)، فإن فُصل هذا الاسمُ مما قبله، وابتُدِئَ به، فتحت همزةُ الوصل، وغُلِّظت اللامُ من أجل الفتحة.

﴿رَبِّ﴾ أي: مالك، كما يقال لمالكِ الدار: ربُّ الدار، ويقالُ لربِّ الشيء إذا ملكَه، ويكونُ بمعنى التربية والإصلاح؛ فالله سبحانَهُ مالكُ العالَمين ومُرَبِّيهم، ولا يقال للمخلوق: هو الربُّ، معرفاً، إنما يقال: ربُّ كذا، مضافاً؛ لأن الألف واللام للتعميم، وهو لا يملك الكل.

﴿ٱلۡعَـٰلَمِينَ﴾ أصنافِ الخلائق، فكلُّ موجودٍ سوى الله يقال لجملته: عالَمٌ، واشتقاقه من العَلَم، وهو العلامةُ، سُمُّوا به، لظهور أثر الصنعةِ فيهم، وعَلَمُهم وجودُ الصانعِ ـ جلَّت قدرتُه ـ.

* * *

﴿ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾.

[٣] ﴿ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ تقدم تفسيرُهما في البسملة.

* * *

﴿مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾.

[٤] ﴿مَـٰلِكِ﴾ قرأ عاصم والكسائيُّ ويعقوبُ وخلفٌ (مَالِكِ) بألف بعد الميم، والمعنى أن الله تعالى يملك ذلكَ اليومَ أن يأتيَ به كما يملكُ سائرَ الأيام، لكن خصَّصه بالذكر؛ لعظمهِ في جمعه وحوادثه. وقرأ الباقون (مَلِكِ) بغيرِ ألفٍ[١]. المعنى: أنه ملكُ الملوكِ في ذلك اليوم، لا مُلْكَ لغيره. وقرأ أبو عمرو (الرَّحِيم مَّلِكِ) بإدغام الميم في الميم[٢]، وكذلك يدغم كلَّ حرفين، سواءٌ كانا مثلين، أم جنسين، أم متقاربين، إذا لم ينون الأول نحو: ﴿وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥]، أو يشدّد نحو: ﴿فَتَمَّ مِيقَـٰتُ﴾ [الأعراف: ١٤٢]، أو تاء متكلم نحو: ﴿كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ: ٤٠]، أو مخاطَبٍ نحو:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٠٤)، و«الحُجَّة» لابن خالويه (ص: ٦٢)، و«التيسير» للدَّاني (ص: ١٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٥)، «معجم القراءات القرآنية» (١/ ٦).

﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ﴾ [يونس: ٩٩]، وشبهه، وسيُذْكَر كلُّ شيءٍ في محلِّه إن شاءَ الله تعالى.

واختلف الآخذون بوجه الإدغام فيما إذا كان الأول مجزوماً، وذلك في قوله: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، و﴿ يَخْلُ لَكُمْ ﴾ [يوسف: ٩]، و﴿ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا ﴾ [غافر: ٢٨]، وكذلك اختلفوا في ﴿ ءَالَ لُوطٍ ﴾ [القمر: ٣٤]، وفي الواو إذا وقع قبلها ضمة، نحو: ﴿ هُوَ وَٱلَّذِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، و﴿ هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [آل عمران: ١٨]، واتَّفقوا على إظهارِ ﴿ يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ﴾ [لقمان: ٢٣] من أجل الإخفاء قبلُ. ومعنى المثلين: ما اتفقا مخرجاً وصفة، نحو: ﴿ فَٱضْرِب بِّهِۦ ﴾ [صٓ: ٤٤]، و﴿ رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ ﴾ [البقرة: ١٦]، وشبهه. والجنسين: ما اتفقا مخرجاً، واختلفا صفةً، نحو: ﴿ قَالَت طَّآئِفَةٌ ﴾ [الأحزاب: ١٣]، ﴿ أَثْقَلَت دَّعَوَا ﴾ [الأعراف: ١٨٩]، وشبهه. والمتقاربين: ما تقاربا مخرجاً أو صفةً، نحو: ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، و﴿ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ ﴾ [النور: ٤٥]، وشبهه.

﴿ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ أي: الجزاء، ومنه قولُهم: كما تدينُ تُدان.

***

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾.

[٥] ﴿ إِيَّاكَ ﴾ كلمة ضمير خُصَّت بالإضافة إلى المضمر، وتستعمل مقدَّماً على الفعل، فيقالُ: إياكَ أعني، ولا تُستعمل مؤخَّراً، ولا منفصلاً، فيقالُ: ما عنيتُ إلا إياك، وتقديمُها اهتماماً، وشأنُ العرب تقديمُ الأهم.

﴿ نَعْبُدُ ﴾ أي: نوحِّدك ونُطيعك خاضعين، والعبادةُ: الطاعةُ مع التذلُّل والخضوع، وسُمِّي العبدُ عبداً؛ لذلَّته وانقياده.

﴿ وَإِيَّاكَ ﴾ كرَّرها تأكيداً للاختصاص.

﴿ نَسْتَعِينُ ﴾ نطلبُ منك المعونة على عبادتك، وعلى جميع أمورنا، تلخيصه: نخصُّك بالعبادة وطلب المعونة، وهذا كله تبرٌّ من الأصنام.

* * *

﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ﴿ ٱهْدِنَا ﴾ أي: أرشدنا، وهذا الدعاءُ من المؤمنين ـ مع كونهم على الهداية ـ بمعنى التثبيت، وبمعنى طلب مزيد الهداية.

﴿ ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ الطريقَ الواضحَ، وهو الإسلام، أو القرآن. قرأ قنبلٌ عن ابن كثير، ورويسٌ عن يعقوبَ (السِّرَاطَ) حيثُ وقعَ، وكيف أتى: بالسين، وهو أصلُ اللفظة، وأشمَّ الصادَ الزايَ حيث وقعَ: خلفٌ عن حمزة، وافقه في (الصِّرَاطَ) هنا خاصة: خلاَّدٌ عن حمزة[1]، وكلُّها لغات صحيحة، والاختيارُ الصادُ عندَ أكثرِ القراء؛ لموافقة المصحف.

* * *

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ ﴾ الذين مَنَنْتَ.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٨٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٠٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٦٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١١)، ووقع في «تفسير البغوي»: عن أويس، بدل: عن رويس. والذي ذكر قراءة الإشمام (الزراط) أبو زرعة، وابن مجاهد، والبغوي.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ عليهم بالهداية والتوفيق، وهم كلُّ من ثبته اللهُ على الإيمان من النبيين والصدِّيقين والشهداءِ والصالحين. قرأ حمزةُ ويعقوبُ (عَلَيْهُمْ) بضم الهاء حيث وقع، والباقون بكسرها، ومنهم: ابنُ كثير، وأبو جعفرٍ، وقالونُ بخلاف عنه (عَلَيْهِمُ) بضم الميم وصلتها بواوٍ حالةَ الوصل، والباقون بإسكان الميم في الحالين[(١)]، فمن ضمَّ الهاءَ، ردَّها إلى الأصل؛ لأنها مضمومة عند الانفراد، ومن كسرَ لأجلِ الياءِ الساكنةِ، والياءُ أختُ الكسرة.

﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: غيرِ صراط الذين غضبتَ عليهم، وهم اليهودُ، والغضبُ من الله تغييرُ النعمة، وغضبُ الله لا يلحقُ عُصاةَ المؤمنين، إنما يلحق الكافرين.

﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ أي: وغيرِ الضالين عن الهدى، وهم النصارى، والضلالُ: الذهابُ عن الصواب في الدين؛ لأن الله تعالى حكم على اليهود بالغضب، فقال: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠]، وحكم على النصارى بالضلالة، فقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ﴾ [المائدة: ٧٧].

ويسن للقارىء أن يقولَ بعد فراغه من قراءة الفاتحة: **آمين مفصولاً عنها**

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٢٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٠٨)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٤٣-٤٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٢).

بسكتة، وهو مخفَّف، ويجوز ممدوداً ومقصوراً، ومعناه: اللهمَّ اسمعْ واستجبْ.

روى أبو هريرةَ وغيرُه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا قالَ الإمامُ: ولا الضَّالِّينَ، فقولوا: آمين، فإنَّ الملائكةَ تقولُ في السماءِ: آمين، فمن وافقَ قولُه قولَ الملائكة، غُفر له ما تقدَّمَ من ذنبه»[1].

وليس التأمينُ من القرآن بالاتفاق، بدليل أنه لم يثبت بالمصاحف.

واختلف الأئمةُ في الجهر به في الصلاة الجهرية، فعند أبي حنيفة: يخفيه الإمامُ والمأموم، وعند مالك: لا يؤمِّنُ الإمام في الجهرية، وهو الأفضل عنده، وروي عنه: يؤمِّن ويُسِرُّ كالمأمومِ والمنفردِ، وعندَ الشافعيِّ وأحمدَ: يجهرُ به الإمامُ والمأموم، والله أعلم.

* * *

---

(١) رواه البخاري (٤٢٠٥)، كتاب: التفسير، باب: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، ومسلم (٤١٠)، كتاب: الصلاة، باب: التسميع والتحميد والتأمين، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.



مدنيةٌ، وآيها مئتان وثمانون وستُ آيات، وحروفُها خمسةٌ وعشرون ألفَ حرفٍ وخمسُ مئةِ حرف، وكلمُها ستةُ آلاف ومئةٌ وإحدى وعشرون كلمةً.

ويقال لسورة البقرة: فُسْطاطُ القرآن، وذلك[1] لعظمِها وبهائها، وما تضمنت من الأحكام والمواعظ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١﴾.

[١] ﴿الٓمٓ﴾ اختلف في سائر حروف الهجاء من فواتح السور، فقيل: هي من المتشابِه الذي انفرد الله بعلمه، وهي سرُّ القرآن، ولا يجب أن يُتكلَّم فيها، ولكن نؤمن بها، وتُمَرُّ كما جاءت، وقال الجمهور من العلماء: بل يجب أن يُتكلَّم فيها، وتُلتمس الفوائدُ التي تحتها، والمعاني التي تتخرج عليها، واختلفوا فيها، فقيل: هي اسم الله الأعظم، وقيل: أسماءٌ أقسم الله بها، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: معنى (الم):

---

(١) في «ت»: «ولذلك».

أنا الله أعلم، ومحل ذلك من الإعراب: أن (الم): ابتداء، و(ذلك) خبره، و(الكتاب) صلةُ خبرِه؛ كقولك: زيدٌ ذلكَ الرجلُ لا تشكَّ[1] فيه. قرأ أبو جعفر بتقطيع الحروف، يسكت على[2] كل حرف سكتة يسيرةً في جميع أحرف الهجاء من فواتح السور، ويلزم من سكته إظهارُ المدغَم منها، والمخفىٰ وقطعُ همزة الوصل بعدها.

***

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾.

[٢] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: هذا.

﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ هو القرآن؛ لأن الله سبحانه كان قد وعد نبيَّه ﷺ أن يُنزل عليه كتاباً لا يمحوه الماء، فلما أنزل القرآن، قال: هذا ذلك الكتاب الذي وعدتك بإنزاله، و(هذا) للتقريب، و(ذلك) للتبعيد، وأصل الكَتْبِ الضمُّ والجمع، فسمي الكتابُ كتاباً لأنه جمعُ حرف إلى حرف.

﴿لَا رَيْبَ﴾ أي: لا شك.

﴿فِيهِ﴾ أنه من عند الله تعالى، وأنه الحقُّ والصدق. قرأ حمزة: (لا ريب) بالمد بحيث لا يبلغ الإشباع، وكذلك ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧١] ﴿لَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ [الرعد: ١١] ﴿لَا جَرَمَ﴾ [هود: ٢٢] ﴿لَّا خَيْرَ﴾ [النساء: ١١٤] ﴿لَا ضَيْرَ﴾[3] [الشعراء: ٥٠]، وابنُ كثير يصلُ هاء الكناية الساكن قبلها بياء في الوصل إن كانت مكسورة، وبواو إن كانت مضمومة نحو (فيهي هُدًى)

---

(١) في «ت»: «لا شك».

(٢) في «ت»: «في».

(٣) انظر: «الإتقان» للسيوطي (١/ ١١٥)، النوع الثاني والثلاثون، المد والقصر.

و(شروهو بثمن) ونحوه حيث وقع[1]. وقرأ أبو عمرو: (فيه هدى) بإدغام الهاء في الهاء[2].

﴿هُدًى﴾ أي: هو رشد وبيان لأهل التقوى، والهدى: ما يهتدي به الإنسان.

﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي: للمؤمنين وهم من يتقي الشرك والكبائر والفواحش، وهو مأخوذ من الاتقاء، وأصله الحجزُ بين شيئين، والوقايةُ: فرط الصيانة، وتخصيصُ المتقين بالذكر تشريف[3] لهم.

* * *

﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: يصدقون، وحقيقة الإيمان: لغةً: التصديق بما غاب، وشرعاً: عند أبي حنيفة: تصديقٌ بالقلب، وعملٌ باللسان، وعندَ الثلاثة: عَقدٌ بالجنان، ونطقٌ باللسان، وعملٌ بالأركان، فدخلَ كلُّ الطاعات، ويأتي ذكرُ الخلاف في زيادته ونقصانه، والاستثناء فيه في سورة

---

(١) انظر: قراءة ابن كثير (فيهي) في «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٢٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٣٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٩٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٧).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٢٩)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ٩٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠)، و«إتحاف فضلاءالبشر» (ص: ١٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٨).

(٣) في جميع النسخ «تشريفاً»، وظاهره خطأ، لأنها خبر للمتبدأ «تخصيص».

الفتح إن شاء الله تعالى. قرأ أبو عمرٍو، وورشٌ عن نافع، وأبو جعفرٍ: (يومنون) حيث وقع بواو ساكنة بغير همز، والآخرون يهمزونه[١].

﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾ هو مصدر، وضع موضع الاسم، فقيل للغائب: غَيب، كما قيل للعادل: عَدل، والغيبُ ما كان مُغَيَّباً عن العيون؛ المعنى: يؤمنون بما غَاب عنهم مما أخبر الله عنه.

﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: يديمونها، ويحافظون عليها في مواقيتها بحدودها وأركانها وهيئاتها، والمراد بها الصلوات الخمس. والصلاة في اللغة: الدعاء. قرأ ورش عن نافع (الصَّلاَةَ) بتغليظ اللام حيث وقع[٢].

﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ﴾ أي: أعطيناهم، والرزقُ: اسم لكل ما يُنتفَع به، حتى الولدُ والعبدُ، وأصله في اللغة الحظُّ والنصيب. قرأ ابن كثيرٍ، وأبو جعفر، وقالونُ بخلافٍ عنه: (رزقناهمو) بواو بعد الميم.

﴿يُنفِقُونَ﴾ يُخرجون عن أيديهم ما فيها في طاعة الله، وأصل الإنفاق: الإخراجُ عن اليد والملك، فهذه الآية في المؤمنين من مشركي العرب.

***

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٨٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٣٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٧٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٣، ١٥-١٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي: (ص: ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٨).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٨).

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ يعني: القرآن.

﴿ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ من التوراة والإنجيل وسائر الكتب المنزلة على الأنبياء ـ عليهم السلام ـ. قرأ ابن كثير، وأبو جعفر: بقصر المد المنفصل حيث وقع[1]، واختلف عن قالون، وورش، وأبي عمرو، ويعقوبَ، وهشامٍ، وحفص، فروي عنهم القصرُ، والباقون يطولونه، وأما المتصل، فاتفق جمهورُ القراء على مده قدراً واحداً مشبَعاً من غير إفحاش، وذهب آخرون إلى تفاضل مراتبه، فأطولُهم مدّاً في نوعي المتصل والمنفصل: ورشٌ وحمزةُ، ودونهما: عاصمٌ، ودونه: ابنُ عامرٍ، والكسائيُّ وخلفٌ لنفسه، ودونهم: قالونُ، والدُّوريُّ عن أبي عمرو، ويعقوبُ، وأقلُّهم مداً: ابنُ كثير وأبو جعفرٍ، والتفاوتُ بينهم لا يكاد ينضبط، والمدُّ: هو زيادة المطِّ في حروف المدِّ، وهي الألفُ مطلقاً، والواو الساكنة المضمومُ ما قبلَها، والياءُ الساكنةُ المكسورُ ما قبلها، فالمتصلُ أن تكون الهمزة مع حرف المد في كلمة واحدة؛ نحو: (أُولَئِكَ) و(شاءَ اللهُ)، وشبهِه، والمنفصلُ أن تكونَ الهمزةُ أولَ كلمةٍ وحرفُ المد آخرَ كلمةٍ أخرى، نحو: (بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ)، و(يا أَيُّها)، و(قَالُوا آمَنَّا)، ونحو ذلك، والقَصْرُ: هو تركُ تلكَ الزيادة، وهذه الآيةُ في المؤمنين من أهل الكتاب.

﴿ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ أي: وبالدار الآخرة، وسميت بالآخرة؛

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٨٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٣٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٨-١٩).

لتأخرها عن الدار الأولى؛ كما سميت الدنيا دنيا لدنوّها من الخلق الأول.

قرأ ورشٌ عن نافع: (وبالآخرة) بنقل حركة الهمز إلى الساكن قبله، وترقيق الراء حيث وقع[1]، وحمزةُ يسكت في لام التعريف حيث أتت، نحو (الأَرْض) و(الآخِرَة) سكتةً من دون تنفُّس، وإذا وقف له النقل بخلاف عنه[2]، ويسكت رُويس على ذلك دونَ سكتِهِ. وقرأ الكسائي (وبالآخرة) بالإمالة حيث وقف على هاء التأنيث[3]، وقيل للكسائي: إنك تُميل ما قبل هاء التأنيث، فقال: هذا طباع العربية.

﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يستيقنون أنها كائنة، من الإيقان، وهو العلمُ الحاصلُ، وهو طُمأنينة القلب على حقيقة الشيء.

***

﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥)﴾.

[٥] ﴿أُولَٰئِكَ﴾ أي: أهلُ هذه الصفة، و(أولاءِ) كلمةٌ معناها الكنايةُ عن جماعة نحو: هم، والكافُ للخطاب كما في حرف ذلك.

﴿عَلَىٰ هُدًى﴾ أي: على رشد وبيان وبصيرة.

﴿مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الناجون والفائزون، فازوا بالجنة،

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٧٥)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١/ ٤١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٩).

(٢) انظر: «الكشف» لمكي (١/ ٢٣٢-٢٣٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٩).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٩).

ونجوا من النار، ويكون الفلاح بمعنى البقاء؛ أي: الباقون في النعيم، وأصل الفلاح: القطعُ والشقُّ، ومنه سمي الزرَّاع فلاحاً؛ لأنه يشق الأرض، فهم المقطوعُ لهم بالخير في الدنيا والآخرة. روي عن يعقوبَ الوقفُ بالهاء على النون المفتوحة نحو (العالمينَ)، و(الذينَ)، و(يؤمنونَ)(١)، و(ينفقونَ)، و(المفلحونَ)، وشبهِه، حيث وقع(٢).

* * *

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾.

[٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني: مشركي العرب، أو اليهود، والكفر: هو الجحود، وأصلُه، من الستر، ومنه سمي الليل كافراً؛ لأنه يستر الأشياء بظلمته، وسمي الزرَّاع كافراً؛ لأنه يستر الحبَّ بالتراب، والكافرُ يستر الحقَّ بجحوده، والكفرُ على أربعة أنواع: كفرُ إنكار، وهو ألا يعرف الله أصلاً، ولا يعترف به، وكفر جحود، وهو: أن يعرف الله بقلبه، ولا يقر بلسانه؛ كإبليس، وكفر عناد: أن يعرف الله بقلبه، ويعترف بلسانه، ولا يدين به؛ كأبي طالب، وكفر نفاق، وهو: أن يقر باللسان، ولا يعتقد بالقلب.

﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: متساوٍ عندهم، وقد تقدم في الفاتحة مذهبُ يعقوبَ في ضمِّ هاء (عَلَيْهُم)، وكذلك يضم كل هاء وقعت بعد ياء ساكنة، نحو: (إليهُم)، و(لديهُم) و(عليهُما)، و(إليهُما)، و(فيهُما)، و(عليهُن)،

---

(١) في «ت»: «والذين يؤمنون».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٨).

و(إليهُن)، و(فيهُن)، و(أبيهُم)، و(صياصيهُم)، و(بجنتيهُم)، و(ترميهُم)، و(ما نريهُم)، و(بين أيديهُم)، وشبه ذلك، وافقه حمزة في (عليهُم) و(إليهُم)، و(لديهُم) فقط، وتقدم[1] مذهبُ ابن كثير وأبو جعفرٍ وقالونُ في صلة ميم الجمع بواو في اللفظ حيث وقع، وافق ورشٌ على الصلة عند همز القطع لمن وصل الميم في نحو (عليهمو) (أأنذرتهمو أم لم)، وشبهه حيث وقع.

﴿ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ أعلمتهم محذِّراً، والإنذارُ: إعلامٌ مع تخويف وتحذير. **قرأ** أبو عمرٍو وابنُ كثير وأبو جعفرٍ وقالونُ عن نافعٍ، ورُويس عن يعقوبَ (ءأنذرتهم) بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية بين الهمزة والألف، وأبو عمرو وقالونُ وأبو جعفرٍ يفصلون بين الهمزتين بألف، وورشٌ يبدلها ألفاً خالصةً، ورُوي عنه التسهيل بينَ بينَ. **وقرأ** الباقون، وهم الكوفيون، وابن ذكوان، ورَوْحٌ بتحقيق الهمزتين[2]، من غير فصل بينهما كل القرآن. واختلف عن هشام في الفصل مع تحقيق الهمزتين، واختلف عنه أيضاً في تسهيل الثانية بينَ بينَ وتحقيقها، وزعم بعضُهم أن من قلبَ الهمزة الثانية ألفاً على أحد الوجهين لورش لاحنٌ؛ لجمعه بين ساكنين على غير حدِّه. قال الكواشيُّ: وفي زعمه نظرٌ، ثم بَيَّنَ وجهَ القراءة بذلك، وجوازَ الجمع

---

(١) انظر: (ص: ٢٣) من هذا الكتاب.

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٣٤)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ٨٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٣٤)، و«الحجة» لابن خالويه(ص: ٦٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٧٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٣١-٣٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١١/ ٢١).

بينَ ساكنين، وملخَّصه أنه يجوز الجمعُ بين ساكنين مطلقاً إذا صحَّ نقلُه، وقد صحَّ، ومتى اجتمعت همزتان في كلمةٍ الثانيةُ ساكنةٌ، والأولى متحركةٌ بأية حركة كانت، فأجمع القراء أن الأولى محققة، والثانية مسهلة تُبدل واواً إذا انضم ما قبلها، وألفاً إذا انفتح، وياء إذا انكسر؛ كآدمَ وأُوتي وإيمان.

﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ المعنى: إن الذين كفروا مستوٍ لديهم إنذارُك وعدمُه، والألف في قوله (ءأنذرتهم) ألفُ التسوية؛ لأنها ليست كالاستفهام، بل المستفهِم والمستفهَم مستويان في علم ذلك، وهذه الآية في أقوام حَقَّتْ عليهم كلمةُ الشقاوة في سابق علم الله.

ثم ذكر سبب تركهم الإيمان فقال:

* * *

﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾.

[٧] ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ﴾ أي: طبع الله.

﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ فلا تعي خيراً، ولا تفهمه، وحقيقة الختم: الاستيثاقُ من الشيء، ومنه الختمُ على الباب.

﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ أي: على موضع(١) سمعهم، فلا يسمعون الحقَّ، ولا ينتفعون به، وأراد: على أسماعهم؛ كما قال: على قلوبهم.

﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ وهذا ابتداء كلام.

﴿غِشَٰوَةٌ﴾ أي: غطاء، فلا يرون الحق. قرأ أبو عمرو، وورش عن

---

(١) في «ت»: «مواضع».

نافع، والدوريُّ عن الكسائي (أبصارهم) و(ديارهم) وشبهه بالإمالة حيث وقع[1]، والباقون بالفتح، فالفتح بلغة أهل الحجاز، والإمالة لغةُ عامةِ أهلِ نجدٍ من تميم وأسدٍ وقيسٍ، والفتحُ عبارةٌ عن فتح القارىء لفيه بلفظِ الحرف، وهو فيما بعده ألف أظهر، والإمالة: أن ينحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي: في الآخرة، والعذابُ: كلُّ ما يُعَنَّى به الإنسان ويشقُّ عليه. قرأ حمزة برواية خلف (غِشَاوَة وَّلَهُمْ) بإدغام التنوين بغير غنة[2].

* * *

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾.

[٨] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ نزلت في المنافقين: عبدِ الله بنِ أُبيٍّ ابن سلولَ، وسلولُ أُمُّهُ، وبها يُعرف، وحارثِ بنِ عمرٍو، وعمر بنِ زيدٍ، ومُعَتِّبِ بنِ قُشير، وجَدِّ بنِ قيسٍ، وأصحابِهم؛ حيثُ أظهروا كلمةَ الإسلام ليسلَموا من النبيِّ وأصحابه، واعتقدوا خلافَها، وأكثرُهم من اليهود[3]. والناسُ: جمعُ إنسان سمي به؛ لأنه عُهِد إليه فنسيَ كما قال

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٨٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٦٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٢)، حيث ذكرت عن أبي عمرو والكسائي.

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٤).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ١١٦)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٤٢)، و«الدر =

تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ ﴾ [طه: ١١٥]. قرأ أبو عمرٍو والكسائيُّ (وَمِنَ النَّاسِ) بالإمالة حيث وقعَ هذا الاسمُ مجروراً في جميع القرآن[١]. وقرأ خلفٌ عن حمزة، والدوريُّ عن الكسائي (مَن يَّقُول) بإدغام النون بغير غنة.

﴿ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ أي: بيوم القيامة، قال الله تعالى:

﴿ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ نظراً إلى معناها؛ لأن (مَنْ) لفظٌ مفردٌ للعقلاء يعمُّ الواحدَ والجمعَ، والذَّكرَ والأُنثى.

* * *

﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ⑨ ﴾.

[٩] ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ أي: يخالفون الله، أصل الخَدْع في اللغة: الإخفاءُ، ومنه المَخْدَعُ للبيت الذي يُخفى فيه المتاعُ، فالمخادعُ هو الذي يُظهر خلافَ ما يُضمر، والخدعُ من الله تعالى في قوله: ﴿ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ [النساء: ١٤٢]، أي: يُظهر لهم، ويُعَجِّل لهم من النعيم في الدنيا خلافَ ما يُغَيِّبُ عنهم من عذابِ الآخرة.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ أي: ويخادعون المؤمنين بقولهم إذا رأوهم: آمنَّا، وهم غير مؤمنين.

﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ ﴾ قرأ ابن كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو: (وَمَا يُخَادِعُونَ)

= المنثور» للسيوطي (١/ ٧٣).

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٤).

بالألف مع ضمِّ الياء وفتح الخاء وكسر الدال، على موافقة الكلمة الأولى. وقرأ الباقون: (وَمَا يَخْدَعُونَ) بغير ألف مع فتح الياء والدال وإسكان الخاء(1).

﴿ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ لأن خدعَهم أنفسَهم لا يعدُوهم. وقالَ بعضُ أهلِ اللغةِ: يقالُ: خادَعَ: إذا لم يبلُغْ مُرادَهُ، وخَدَعَ: إذا بلغَ مرادَه، فلما لم ينفذْ خداعهم فيما قصدوه، كان مخادعةً، فلما وقع ضررُ فعلِهم على أنفسهم، كان في حقِّ أنفسِهم خِداعاً، وتفسيره: فلا ينفُذُ خداعهم فيمن قصدوه، فكأنهم خدعوا أنفسَهم؛ كما يقال: فلانٌ سخرَ بفلانٍ، وما سخرَ إلا بنفسِه، والنفسُ: ذاتُ الشيء وحقيقتُه.

﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ الشعور: علمُ حِسّ؛ أي: لا يعلمون أنهم يخدعونَ أنفسَهم، وأنَّ وبالَ خداعِهم يعودُ عليهم.

* * *

﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ شكٌّ ونِفاق، والمرضُ في اللغة: العلَّة،

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٨٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٣٩)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٦٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٢٤ـ٢٢٧)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٨٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٥)، قال البغوي عن قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو: وجعلوه من المفاعلة التي تختص بالواحد.

سمي الشكُّ في الدين مرضاً؛ لأنه يُضعف الدينَ؛ كالمرضِ يضعفُ البدنَ.

﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ﴾ أي: أمدَّهم اللهُ بمرضٍ آخرَ تنميةً لمرضهم؛ لأن الآياتِ كانت تنزل تتراً آيةً بعدَ آيةٍ، فكلما[1] نزلتْ آية، فكفروا بها، ازدادوا شكاً ونفاقاً. **قرأ** حمزةُ، وابنُ ذكوان: (فَزَادَهُمْ) بالإمالة، والباقون بالفتح[2].

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ﴾ أي: مؤلم.

﴿بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ أي: بتكذيبهم اللهَ ورسولَه في السرِّ. **قرأ** أهل الكوفة: (يَكْذِبُونَ) بفتح الياء والتخفيف؛ أي: بكذبهم إذ قالوا: آمنا، وهم غير مؤمنين، والكذبُ: إخبارٌ بما لم يقع. **وقرأ** الباقون: بضم الياء والتشديد على المعنى الأول[3].

* * *

---

(١) في «ت»: «فلما».

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٨٨)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٤٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٦٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٦).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٨٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٤١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٢٧ـ٢٢٨)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٨٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٣٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٧ـ٢٠٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٦).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ يعني: قال المؤمنون للمنافقين أو لليهود. قرأ الكسائيُّ، وهشامٌ، ورويسٌ: (قِيلَ، وغِيضَ، وَجِيءَ، وَحِيلَ، وَسِيقَ، وَسِيءَ، وَسِيئَتْ) بإشمامِ الضمِّ كسر أوائِلهنَّ، وافقهم ابنُ ذكوان في (حِيلَ، وَسِيءَ، وَسِيئَتْ)، ووافقهم المدنيان في (سِيءَ وَسِيئَتْ) فقط. وقرأ الباقون بإخلاصِ الكسرِ[1].

﴿لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالكفرِ وتعويقِ الناس عن الإيمان بمحمدٍ ﷺ والقرآنِ، والفسادُ: خروجُ الشيءِ عن حالِ الاستقامة.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ يقولون هذا القول كذِباً؛ كقولِهم: آمنا وهم كاذبون.

* * *

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿أَلَآ﴾ كلمة تنبيه يُنبَّهُ بها المخاطَبُ.

﴿إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ أنفسَهم بالكفر، والناسَ بالتعويقِ عن الإيمان.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٨٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٤١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٦٩)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٢٩ـ٢٣٢)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٨٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٧).

﴿ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ أي: لا يعلمون أنهم مفسدون؛ لأنهم يظنون أنَّ الذي هم عليه من إبطانِ الكفرِ حقٌّ صلاحٌ.

* * *

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾ أي: المنافقين واليهود:

﴿ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ ﴾ عبدُ الله بنُ سلام وغيرُه من مؤمني أهل الكتاب.

﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ أي: الجهَّال، وهذا القولُ كانوا يُظهرونه فيما بينهم، لا عندَ المؤمنين، فأخبرَ الله نبيَّهُ والمؤمنينَ بذلك، وقال رَدّاً عليهم:

﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ لا يدرون أنهم كذلك، والسفيهُ: خفيفُ العقل، رقيقُ الحِلْم، من قولهم: ثوبٌ سفيهٌ؛ أي: رقيق. قرأ الكوفيون وابنُ عامرٍ، وروح: (السُّفَهَاءُ أَلَا) بتحقيق الهمزتين، والباقونَ: بتحقيق الأولى، وتسهيل الثانية، وهي أن تُبدل واواً محضةً، وما ذكر من تسهيلِ إحدى[1] الهمزتين إنما هو في حالة الوصل، فإذا وقفتَ على الكلمة الأولى، أو[2] بدأتَ بالثانية، حَقَّقْتَ الهمزَ[3] في ذلك لجميع القراء[4].

* * *

---

(١) في «ت»: «أحد».

(٢) في «ن»: «و».

(٣) في «ن»: «الهمزة».

(٤) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٣٩)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٨٤)، =

﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ﴾ يعني: هؤلاء المنافقين.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ أي: المهاجرين والأنصار.

﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا ﴾ كإيمانكم.

﴿ وَإِذَا خَلَوْا۟ ﴾ رجعوا.

﴿ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ ﴾ أي: رؤسائِهم وكَهَنَتِهم، والشيطانُ: المتمرِّدُ العاتي؛ أي: الطويلُ الجسمِ من الجنِّ والإنسِ ومن كلِّ شيء.

﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ أي: على دينِكم.

﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ ساخرون بمحمدٍ وأصحابِه بما نُظهر من الإسلام. قرأ أبو جعفر: (مُسْتَهْزُونَ، ومُتَّكُونَ) وشبهه حيثُ وقعَ بتركِ الهمزة(١).

* * *

﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ أي: يجازيهم جزاءَ استهزائِهم، وهو أن يُفْتَحَ

= و«تفسير البغوي» (١/ ٢٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٧ـ٢٨).

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٨٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢١)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/ ١٢)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١/ ٦٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٩).

لهم بابٌ من الجنة، فإذا انتهوا إليه، سُدَّ عنهم، ورُدُّوا إلى النار.

﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ يُطيلُ مدةَ غيِّهم، والمدُّ والإمدادُ واحدٌ، وأصلُه الزيادةُ، إلا أن المدَّ أكثرُ ما يأتي في الشرِّ، قال الله تعالى: ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٩]، والإمدادُ في الخير، قال الله تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ [الإسراء: ٦].

﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾ أي: ضَلالتِهم، والطُّغيانُ: الغلوُّ في الكفرِ. قرأ الدوريُّ عنِ الكسائيِّ (طغيانهم وآذانهم) بالإمالة حيثُ وقعَ[١]، وأمالَ حمزةُ والكسائيُّ وخلَفٌ جميعَ ما رُسِمَ بالياء من الأسماء، نحو: (الهُدَى، وَالهَوَى، والعَمَى)، وما أشبهَ ذلكَ[٢]، والأفعالِ نحو: (أَتَى، وَأَبَى، وَسَعَى)، وما أشبهَ ذلكَ، وافقهم[٣] أبو عمرٍو على ما كان فيه راءٌ بعدها ألفٌ ممالة بأيِّ وزنٍ كان، نحو: (ذِكْرَى، وَبُشْرَى، وَأَسْرَى)، وما أشبهَ ذلك، واختلِفَ في ذلك كلِّه عن ابنِ ذكوانَ، واختلِفَ عن وَرْشٍ فيما فيه راءٌ، فرُوِيَ عنه الإمالةُ بينَ بينَ، ورُوي عنه الفتحُ[٤]، والوجهانِ صحيحانِ عنه. وقرأ الباقون بالفتح.

﴿يَعْمَهُونَ﴾ أي: حائرون متردِّدون[٥].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٤٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٩٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٩).

(٢) انظر: «تفسير الآلوسي»، في تفسيره سورة البقرة، الآية (١٦).

(٣) في «ن»: «ووافقهم».

(٤) «الفتح» سقط من «ت».

(٥) انظر: «اللباب» لابن عادل الحنبلي، في تفسيره سورة يوسف، الآية (١٩).

﴿ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾ أي: استبدلوا الكفرَ بالإيمان. والضلالةُ: الجورُ عن القَصْدِ.

﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ ﴾ أي: فما ربحوا في تجارتهم.

﴿ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾ ناجين من الضلالة.

* * *

﴿ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ مَثَلُهُمۡ ﴾ أي: شبههم. والمثلُ: قولٌ سائرٌ في عُرْفِ الناس، يُعرف به معنى الشيء.

﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ﴾ يعني: الذين؛ بدليل سياق الآية.

﴿ ٱسۡتَوۡقَدَ ﴾ أي: أوقد.

﴿ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ ﴾ النارُ.

﴿ مَا حَوۡلَهُۥ ﴾ أي: حولَ المستوقِدِ.

﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ ﴾ أي: أزاله.

﴿ وَتَرَكَهُمۡ ﴾ طرحهم.

﴿ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴾ نزلت في المنافقين، يقول: مثلُهم في نفاقِهم كمثلِ رجلٍ أوقدَ ناراً في ليلةٍ مظلمةٍ في مفازةٍ، فاستدفأ، ورأى ما حولَه،

واتَّقى ما يخافُ، فبينا هو كذلك إذْ طُفئت نارُه، فبقيَ في ظلمة خائفاً متحيِّراً، فكذلك المنافقونَ بإظهارِ كلمةِ الإيمان أَمِنُوا على أموالهم وأولادِهم، وناكَحُوا المؤمنينَ، ووارثوهم، وقاسموهم الغنائمَ، فذلك نورُهم، فإذا ماتوا، عادوا إلى الظلمة والخوف.

* * *

﴿ صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٌ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ صُمٌّۢ ﴾ أي: هم صمٌّ عن الحق، لا يقبلونه، وإذا لم يقبلوا، كأنهم لم يسمعوا.

﴿ بُكۡمٌ ﴾ خُرْس عن الحقِّ لا يقولونه.

﴿ عُمۡيٌ ﴾ أي: لا بصائرَ لهم، ومَنْ لا بصيرةَ له كمنْ لا بَصَرَ له.

﴿ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴾ عن الضلالة إلى الحق.

* * *

﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي: كأصحابِ صَيِّبٍ؛ فهذا مثلٌ آخرُ ضربَهُ الله تعالى للمنافقين، معناه: إن شئتَ مَثِّلْهم بالمستوقِدِ، وإن شئتَ بأهلِ الصَّيِّبِ (أو) بمعنى الواو، يريد: وكصيِّبٍ من السماء. والصَّيِّبُ: المطرُ، وكلُّ ما نزلَ من الأعلى إلى الأسفلِ، فهو صيِّبٌ؛ أي: نزلَ من السماء؛ أي: من السحاب.

﴿ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ ﴾ جمع ظلمة.

﴿ وَرَعْدٌ﴾ اسم مَلَكٍ، وهو الذي يُسمع صوتُه من السحاب، وهو الذي يسوقُهُ.

﴿ وَبَرْقٌ﴾ لمعانُ سوطٍ من نورٍ يزجُرُ به الملكُ السّحاب.

﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾ جمع صاعقة، وهي الموتُ، وكلُّ عذابٍ مُهْلِكٍ. وعن رسولِ اللهِ ﷺ: أنه كانَ إذا سمعَ صوتَ الرعدِ والصواعقِ قالَ: «اللَّهُمَّ لا تَقْتُلْنا بِغَضَبِكَ، وَلا تُهْلِكْنا بِعَذَابِكَ، وَعَافِنا قَبْلَ ذَلِكَ»[1].

﴿ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: مخافةَ الهلاكِ.

﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ عالمٌ بهم، لا يفوتونه. وأصلُ[2] الإحاطةِ: الإحداقُ بالشيءِ من جميعِ جهاتهِ، ومنه الحائط. قرأ أبو عمرٍو، وورشٌ، والدوريُّ عن الكسائي ورويس: (بالكافرين) بالإمالةِ حيثُ وقعَ في محلِّ النصبِ والخفضِ[3].

***

﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾.

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٥٠)، كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا سمع الرعد، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٧٦٤)، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٠٠)، وغيرهم، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) في «ت»: «والأصل».

(٣) انظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٩٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٣٣).

[٢٠] ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ ﴾ أي: يقربُ. يُقال: كادَ يفعلُ: إذا قَرُبَ ولم يفعلْ.

﴿ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ يختلِسُها، والخطفُ: استلابٌ بسرعةٍ.

﴿ كُلَّمَآ ﴾ (كُلَّ) حرفُ جملةٍ ضُمَّ إلى (ما) الجزاء، فصار أداةً للتكرار، ومعناها: متى ما.

﴿ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ ﴾ أي: كلما أنارَ البرقُ لهم الطريقَ، ساروا في ضوئه.

﴿ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ ﴾ أي: وقفوا متحيرين، فالله تعالى شبههم في كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا في مَفازةٍ في ليلةٍ مظلمة، أصابهم مطرٌ فيه ظلماتٌ من صِفَتِها أنَّ الساريَ لا يمكنه المشيُ فيها، ورعدٌ من صفتِهِ أنه يضمُّ السامعون أصابعَهُم إلى آذانهم من هَوْلِهِ، وبرقٌ من صفتِهِ أنْ يَقْرُبَ أنْ يخطَفَ أبصارهم ويُعميها من شدَّةِ توقُّده، فهذا مثلٌ ضربَهُ اللهُ للقرآنِ وصنيعِ الكافرينَ والمنافقينَ معه، **فالمطرُ**: القرآنُ؛ لأنه حياةُ الجَنَان، كالمطرِ حياة الأبدان، **والظلماتُ**: ما في القرآنِ من ذكرِ الكفرِ والشركِ، **والرعدُ**: ما خُوِّفوا به من الوعيد، وذكرِ النار، **والبرقُ**: ما فيه من الهدى والبيانِ والوعدِ وذكرِ الجنة، فالكافرون يسدُّون آذانَهم عندَ قراءةِ القرآن مخافةَ ميلِ القلبِ إليه؛ لأن الإيمانَ عندَهُم كفرٌ، والكفرُ موتٌ، وقوله تعالى: ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾؛ أي: القرآنُ يبهَرُ قلوبهم.

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ أمالَ حمزةُ (شَاءَ، وَجَاءَ، وَخَابَ، وَطَابَ، وَخَافَ، وَحَاقَ، وَضَاقَ، وَزَالَ، وَزَاغَ) حيثُ وقع، سوى (زَاغَتْ) وافقَهُ ابنُ ذكوانَ

وخَلَفٌ في (شَاءَ، وَجَاءَ) حيثُ وقع[1].

﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ﴾ أي: بأسماعِهم وأبصارِهم الظاهرةِ كما ذهبَ بأسماعِهم وأبصارِهم الباطنةِ. قرأ أبو عمرو، ورويسٌ: (لذهب بسمعهم) بإدغامِ الباءِ في الباءِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: فاعلٌ لِما يشاء، ولا يُوصَفُ غيرُ الله تعالى بالقدير.

***

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾.

[٢١] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: يا أيُّها الناسُ خطابُ أهلِ مكَّةَ، ويا أيُّها الذينَ آمنوا خطابُ أهلِ المدينة[2]، وهو هاهنا عام إلا من حيثُ إنه لا يدخلُه[3] الصغارُ والمجانين.

﴿ٱعْبُدُوا۟﴾ وَحِّدُوا.

﴿رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ الخَلْقُ: اختراعُ الشيءِ على غيرِ مثالٍ سبقَ. قرأ أبو عمرو: (خلقكم) بإدغام القاف في الكاف، وروِيَ عن يعقوبَ إدغامُ كُلِّ ما أدغمَه أبو عمرٍو من المِثْلَين، والمتقارِبَيْن[4].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٢٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٣٥).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٨٤ ـ ٨٥).

(٣) في «ت»: «يدخل».

(٤) انظر: «الكشاف» للزمخشري (١/ ٤٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي =

﴿ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ أي: وخلقَ الذين من قبلِكُم.

﴿ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ لكي تنجو من العذاب. قال سيبويهِ: لعلَّ، وعَسَى حَرْفا تَرَجٍّ، وهما من اللهِ واجبان.

***

﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ ﴾:

[٢٢] ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ ﴾ أي: صَيَّرَ.

﴿ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا ﴾ أي: بساطاً. قرأ أبو عمرٍو: (وَجَعَل لَّكُمْ) بإدغام اللام في اللام، ورُوي عن رُويسٍ موافقتُه على ذلك.

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ ﴾ أي: سقفاً محفوظاً مرفوعاً.

﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي: من السحاب.

﴿ مَآءٗ ﴾ وهو المطر.

﴿ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ وأنواع النبات.

﴿ رِزۡقٗا ﴾ أي: طعاماً.

﴿ لَّكُمۡ ﴾ وعَلَفاً لدوابكم.

﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا ﴾ أي: أمثالاً تعبدونهم كعبادةِ الله.

﴿ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ أنه واحدٌ خالقُ هذهِ الأشياءِ.

***

= (ص: ١٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٣٦).

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ ﴾ أي: في شكٍّ. معناه: وإذْ كنتم؛ لأن الله علمَ أنَّهم شاكُّون.

﴿ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ محمدٍ، يعني: القرآن.

﴿ فَأْتُوا۟ ﴾ أمرُ تعجيزٍ.

﴿ بِسُورَةٍ ﴾ والسورةُ: قطعةٌ من القرآنِ معلومةُ الأولِ والآخِر.

﴿ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ أي: مثلِ القرآن، و(مِنْ) صِلَةٌ؛ كقوله: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ ﴾ [النور: ٣٠].

﴿ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم ﴾ جمعُ شاهدٍ؛ أي: واستعينوا بآلهتِكم التي تعبدونها.

﴿ مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أن محمداً يقولُه من تِلْقاءِ نفسِه، فلمَّا تحدَّاهم، عَجَزوا، فقال:

* * *

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ ﴾ فيما مضى.

﴿ وَلَن تَفْعَلُوا۟ ﴾ أي: لن تقدروا عليه فيما بقي أبداً، وإنما[1] قالَ ذلكَ؛

---

(١) في «ت»: «وإن».

لبيان الإعجازِ؛ فإنَّ القرآنَ كانَ معجزةً للنبيِّ ﷺ؛ حيثُ عجزوا عن الإتيان بمثله.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ أي: فآمنوا، واتقوا بالإيمان النار.

﴿ٱلَّتِي وَقُودُهَا﴾ أي: حَطَبُها.

﴿ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ يعني: حجارةَ الكبريت؛ لأنها أكثرُ التهاباً، وقيل: الأصنام، وقرنَ الناسَ بالحجارةِ؛ لأنهم نحتوها، واتَّخذوها أرباباً من دون الله. وقيل: من النار نوعٌ لا يَتَّقد إلا بالناسِ والحجارة كاتقادِ هذه النار بالحطب.

﴿أُعِدَّتْ﴾ أي: هيئت.

﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾ فبعدَ ذكرِ وعيدِ الكافرين ذكرَ وعدَ المؤمنين تطييباً لقلوبهم مخاطباً رسولَه ﷺ فقال:

* * *

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ والبشارةُ: كلُّ خبرٍ صدقٍ تتغير به بشرةُ الوجهِ، ويُستعمل في الخيرِ والشرِّ، وفي الخيرِ أغلبُ.

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: الفعلاتِ الصالحةَ، يعني: المؤمنينَ من أهل الطاعة.

﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ جمع جَنَّة، والجنةُ: البستان الذي فيه أشجارٌ مثمرةٌ،

سميت به؛ لاجتنانها وتستُّرِها بالأشجار.

﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ﴾ أي: من تحت أشجارِها ومساكنِها.

﴿ ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾ أي: المياه في الأنهار؛ لأن النهر لا يجري، والأنهارُ جمعُ نهر، سمي به لسعتِه وضيائه، ومنه النَّهارُ.

﴿ كُلَّمَا ﴾ يعني: متى ما.

﴿ رُزِقُوا۟ ﴾ أُطْعِموا.

﴿ مِنْهَا ﴾ أي: من الجنة.

﴿ مِن ثَمَرَةٍ ﴾ أي ثمرة، و(مِنْ) صلة.

﴿ رِّزْقًا ﴾ طعاماً.

﴿ قَالُوا۟ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ و(قَبْلُ) رُفِعَ على الغاية، قال الله تعالى: ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾ [الروم:٤]، فإذا رُزِقوا ثمرةً بعدَ أخرى، ظنوا أنها الأُولى.

﴿ وَأُتُوا۟ بِهِۦ ﴾ أي: بالرزق.

﴿ مُتَشَـٰبِهًا ﴾ في الألوان، مختلفاً في الطعوم.

﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ ﴾ أي: في الجنات.

﴿ أَزْوَٰجٌ ﴾ نساء وجوارٍ من الحورِ العِينِ.

﴿ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ من الأقذار.

﴿ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ دائمون، لا يموتون، ولا يخرجون.

* * *

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ ﴾ الحياءُ: تغيُّرٌ وانكسارٌ يلحقُ الشخصَ خوفاً مما يُعابُ به، واشتقاقُه من الحياة؛ فإنه انكسارٌ يعتري القوى الحيوانيةَ، ويردُّها عن أفعالها، والله سبحانه منزَّهٌ عن ذلك. وسببُ نزولِها: أن الله تعالى لما ضربَ المثلَ بالذُّبابِ والعنكبوتِ فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ ﴾ [الحج: ٧٣]، وقال: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ﴾ [العنكبوت: ٤١]، قالتِ اليهودُ ما أرادَ اللهُ بذكرِ هذهِ الأشياءِ الخسيسةِ؟ فأنزلَ اللهُ ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ ﴾(١) أي: لا يتركُ تركَ مَنْ يستحيي (أنْ يضربَ مثلاً) يذكر شَبَهاً (ما بعوضةً) (ما) صلة؛ أي: مثلاً بالبعوضة، و(بعوضةً) نصبُ بدلٌ عن المثل. والبعوضُ: صغارُ البقِّ، سميت بعوضةً كأنها بعضُ البقِّ، (فَمَا فَوْقَها) يعني: الذبابَ والعنكبوتَ.

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ بمحمد والقرآن.

﴿ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ﴾ يعني المثلَ هو(٢).

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ١٧٨)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٦٨)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/ ١٠٣).

(٢) «هو»: ساقطة من «ت».

﴿ٱلْحَقُّ﴾ والصدق.

﴿مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ أي: بهذا المثل، ثم أجابهم فقال:

﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾ من الكفار، لأنهم كانوا يكذبونه، فيزدادون ضلالاً.

﴿وَيَهْدِى بِهِۦ﴾ أي: بهذا المثل.

﴿كَثِيرًا﴾ من المؤمنين، فيصدقونه. والإضلالُ: هو الصَّرْفُ عن الحقِّ بالباطل.

﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ الكافرين. والفسقُ: الخروجُ عن أمر الله. ثم وصفهم فقال:

* * *

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

[٢٧] ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ﴾ أي: يخالفون ويتركون. وأصلُ النقضِ الكسر.

﴿عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ أمرَ اللهِ الذي عهدَ إليهم يومَ الميثاق بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

﴿مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ توكيده. والميثاقُ: العهدُ المؤكَّدُ.

﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ يعني: الإيمانَ بمحمدٍ وبجميع الرسلِ ـ عليهم السلام ـ؛ لأنهم قالوا: ﴿نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ [النساء: ١٥٠]، وقالَ المؤمنون: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

﴿وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بالمعاصي، وتعويقِ الناسِ عن الإيمانِ بمحمدٍ ﷺ، والقرآن.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ المغبونون. ثم قال لمشركي العرب على وجه التعجب:

* * *

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

[٢٨] ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ بعدَ نصبِ الدلائل ووضوحِ البراهين. ثم ذكرَ الدلائلَ فقالَ:

﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ نُطَفاً في أصلابِ آبائِكم.

﴿فَأَحْيَٰكُمْ﴾ في الأرحامِ والدنيا. قرأ الكسائيُّ: (فَأَحْيَاكُمْ، أَحْيَا، أَحْيَاهَا، فَأَحْيَا، وَأَحْيَا) بالإمالةِ حيثُ وقعَ، وافقه حمزةُ في (وَأَحْيَا) حيثُ وقع(١).

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انقضاءِ آجالِكم.

﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بالبعثِ.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ تُرَدُّون في الآخرةِ، فَيَجزيكم بأعمالِكم. قرأ يعقوبُ: (تَرْجِعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم حيثُ وقع إذا كانَ من رجوع

---

(١) انظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٠٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٠).

الآخرة، وقرأ الباقون: بضم التاء وفتح الجيم[1]، ولم يختلفوا فيما كانَ من الرجوعِ إلى الدنيا؛ كقوله: ﴿فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨]؛ ﴿وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٨]، ونحوِ ذلك أنه بفتح أوله وكسر ثالثه.

* * *

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٩﴾﴾.

[٢٩] ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ لكي تعتبروا وتستدلوا.

﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: قصد إليها؛ لأنه خلق الأرض أولاً، ثم عمدَ إلى خلقِ السماء.

﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ﴾ أي: خلقهنَّ مستوياتٍ لا فُطورَ فيها ولا صَدْعَ. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ وخلفٌ: (اسْتَوَى) (فَسَوَّاهُنَّ) بالإمالةِ[2]، ووقفَ يعقوبُ (فَسَوَّاهُنَّهْ) بزيادة هاء السكت.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، وخلفُ،

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٣١)، و«تفسير القرطبي» (١/ ٢٥٠)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١/ ١٣٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٠).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٠٩)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١/ ١٣٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٠).

ووَرْشٌ، ويعقوبُ: (وَهُوَ، وَهِيَ، فَهُوَ، فَهِيَ، لَهُوَ، لَهِيَ) بتحريكِ الهاءِ حيثُ وقعَ[1]، ووقفَ يعقوبُ على جميعِها بزيادةِ هاءِ السكتِ[2].

***

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

[٣٠] ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ أي: واذكرْ إذْ قالَ ربُّك. و(إذْ) و(إذا) حرفا توقيتٍ، إلا (إذ) للماضي، و(إذا) للمستقبل، وقد توضع إحداهما موضعَ الأخرى. قرأ أبو عمرٍو (قَال رَّبُّكَ) بإدغام اللام في الراء.

﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ جمع مَلَك. قيل: مشتقٌّ من المُلْك، وهو الشدَّةُ والقوةُ، والمرادُ: الملائكةُ الذين كانوا في الأرض، وذلك أن الله خلق السماءَ والأرضَ، وخلقَ الملائكةَ والجانَّ، وأسكنَ الملائكةَ السماءَ، وأسكنَ الجانَّ الأرضَ، فعبدوا دهراً طويلاً في الأرض، ثم ظهر فيهم الحسدُ والبغيُ، فأفسدوا، واقتتلوا، فبعث الله إليهم جُنداً من الملائكة يقال لهم: الجنُّ، وهم خُزَّانُ الجِنان، اشتقَّ لهم اسمٌ من الجنة، رأسهم إبليسُ، وكانَ رئيسَهُم، ومن أشدِّهم وأكثرِهم علماً، فهبطوا إلى الأرضِ، وطردوا الجانَّ إلى شعوبِ الجبالِ وبطونِ الأوديةِ وجزائرِ البحورِ، وسكنوا الأرضَ، وخَفَّفَ الله عنهُم العبادةَ، وأعطى اللهُ إبليسَ ملكَ الأرضِ وملكَ سماءِ

---

(١) ووافقهم عاصم في ذلك أيضاً.

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤١).

الدنيا، وخزانةَ الجنة، وكان يعبدُ الله تارةً في الأرض، وتارةً في السماء، وتارةً في الجنة، فدخلَهُ العُجْب، وقال في نفسِه: ما أعطاني اللهُ هذا الملكَ إلا لأني أكرمُ الملائكةِ عليه، فقال الله له ولجنده:

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ ﴾ أي: مُصَيِّرٌ.

﴿ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ أي: بدلاً منكم، وأرفعُكم إليَّ، فكرهوا ذلكَ؛ لأنهم كانوا أهونَ الملائكة عبادةً، والمرادُ بالخليفة هاهنا: ـ آدم عليه السلام ـ؛ لأنه خليفةُ الله في الحُكْم بينَ عبادِه بالحقِّ، ومَنْ قامَ مقامَه بعدَه من ذريته، والخليفةُ: من استُخلِفَ مكانَ مَنْ كان قبلَه، مأخوذ من أنه خَلَفٌ لغيره، يقومُ مقامَهُ في الأمر الذي أُسند إليه فيه؛ كما قيل: أبو بكرٍ خليفةُ رسول الله ﷺ. قرأ الكسائي (خليفة) بإمالةِ الفاء حيثُ وقف على هاء التأنيث[1].

﴿ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ بالمعاصي، والمراد: ذريَّتُه.

﴿ وَيَسْفِكُ ﴾ أي: ويصبُّ.

﴿ ٱلدِّمَآءَ ﴾ بغيرِ حقٍّ؛ أي: كما فعلَ بنو الجانِّ، فقاسوا بالشاهدِ على الغائبِ، وإلاَّ فَهُم ما كانوا يعلمون الغيبَ.

﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ نقول: سبحانَ اللهِ وبحمدِهِ. والتسبيحُ: تبعيدُ اللهِ من السوء. قرأ أبو عمرٍو: (وَنَحْن نُّسَبِّحُ) بإدغامِ النون في النون.

﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ أي: نثني عليك بالقُدُّوس والطهارة عما لا يليقُ بجلالك. قرأ أبو عمرٍو: (وَنُقَدِّسُ لَك قَّالَ) بإدغام الكاف في القاف،

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤١).

وكذلك: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤]، و﴿لَّكَ قُصُورًا﴾ [الفرقان: ١٠] حيثُ تحرَّكَ ما قبلَها، فلو سكن ما قبلَ الكاف، لم يدغمْها نحو: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ﴾[1] [الإسراء: ١٩] و﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [يونس: ٦٥]، وشبهه.

﴿قَالَ﴾ الله تعالى:

﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من المصلحة فيه. قرأ المدنيان، وابنُ كثير، وأبو عمرٍو (إِنِّيَ) بفتح الياء، والباقون بإسكانها، وأبو عمرٍو: (أَعْلَم مَّا) بإدغام الميم في الميم[2].

* * *

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾.

[٣١] ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ﴾ سُمِّي آدمَ؛ لأنه خُلِقَ من أديمِ الأرضِ، وهو وَجْهُها، مشتقٌّ من الأُدْمَةِ: السُّمْرَة، وكنيتهُ: أبو البَشَر، عاش تسعَ مئةٍ وثلاثين سنةً باتفاقٍ، وقبرُه في مغارةٍ بينَ بيتِ المقدسِ ومسجدِ إبراهيمَ الخليلِ، رِجْلاهُ عند الصخرة، ورأسهُ عند مسجدِ إبراهيم، وفي ذلك خلاف كثير.

---

(١) وردت هذه الآية في جميع النسخ «أولئك قال»، وهو خطأ ظاهر.

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٩٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٤)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٣٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٩٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٢).

﴿ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ لما خلقه الله ـ عز وجل ـ علمه أسماءَ الأشياء، وذلك أن الملائكة قالوا لما قال الله تعالى: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ليخلقْ ربُّنا ما يشاءُ، فلن يخلقَ خَلْقاً أكرمَ عليه منَّا، وإن كانَ، فنحنُ أعلمُ منه؛ لأنا خُلقنا قبلَه، ورأينا ما لم يَرَهُ، فأظهرَ اللهُ فضلَه بالعلمِ، وفيه دليلٌ على أن الأنبياءَ أفضلُ من الملائكة، وإن كانوا رسلاً كما ذهبَ إليه أهل السنة.

﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ أي: عرض المسمَّيات؛ لأن عرض الأسماء لا يصحُّ، والعرضُ: إظهارُكَ الشيءَ، وأن تمرَّ به عَرْضاً؛ لتعرفَ حالَه، وإنما قال: عَرَضَهم، ولم يقل: عَرَضَها؛ لأن المسمَّياتِ إذا جَمَعَتْ من يعقلُ ومن لا يعقلُ، يكنى عنها بلفظ مَنْ يعقلُ؛ كما يكنى عن الذكورِ والإناثِ بلفظ الذكور.

﴿ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي ﴾ أخبروني، أمر تعجيز.

﴿ بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أَنِّي لا أخلقُ خلقاً إلا كنتم أفضلَ وأعلمَ منه. قرأ الكوفيون، وابنُ عامرٍ، ورَوْحٌ: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ بتحقيق الهمزتين، وأبو عمرٍو بإسقاطِ الهمزةِ الأولى، وتحقيق الثانية، **وقرأ** قالون، والبزي: بتسهيل الأُولى بينَ بينَ، مع تحقيق الثانية، وأبو جعفرٍ ورويسٌ: بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، واختلف عن قنبل وورش، فروي عن الأول جعلُ الهمزةِ الثانيةِ بينَ بينَ، وروي عنه إسقاطُ الهمزة الأولى، وهو الذي عليه الجمهورُ من أصحابه، وروي عن الثاني إبدالُ الهمزةِ الثانيةِ ياءً مكسورةً، وروي عنه تسهيلُها بينَ بينَ(١).

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/١٥٩)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٠٠)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/١٧)، و«التبيان» للطوسي =

﴿قَالُوا۟﴾ يعني: الملائكة إقراراً بالعجز.

﴿سُبۡحَـٰنَكَ﴾ تنزيهاً لكَ.

﴿لَا عِلۡمَ لَنَاۤ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَاۤ﴾ معناه: أنك أجلُّ من أن نحيطَ بشيء من علمِك.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ﴾ بخلقك.

﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في أمرك. والحكيمُ له معنيان: أحدُهما: الحاكم، وهو القاضي العدلُ، والثاني: المحكِمُ لأمره كيلا يتطرَّقَ إليه الفسادُ، وأصلُ الحكمةِ في اللغة: المنعُ، وهي تمنعُ صاحبَها من الباطل، ومنها حَكَمَةُ الدابّة؛ لأنها تمنعُها من الاعوجاج. فلما ظهرَ عجزُهم:

* * *

﴿قَالَ يَـٰۤـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَاۤىِٕهِمۡۖ فَلَمَّاۤ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَاۤىِٕهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّیۤ أَعۡلَمُ غَیۡبَ ٱلسَّمَـٰوَ ٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

[٣٣] ﴿قَالَ﴾ الله سبحانه:

﴿یَـٰۤـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم﴾ أخبرهم.

﴿بِأَسۡمَاۤىِٕهِمۡۖ﴾ فسمَّى آدمُ كلَّ شيء باسمه، وذكرَ الحكمةَ التي لأجلها خُلق.

﴿فَلَمَّاۤ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَاۤىِٕهِمۡ قَالَ﴾ الله:

﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ﴾ يا ملائكتي:

= (١/ ١٤١)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١/ ١٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٥ـ١٣٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٣ـ٤٤).

﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ﴾ تقدم مذاهبُ[1] القراء في فتح الياء وإسكانها من (إنِّي) في الحرف المتقدم قريباً.

﴿غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ما كان منها، وما يكون؛ لأنه قد قال لهم: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

﴿وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ﴾ أي: تظهرون، يعني قولهم: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾.

﴿وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ تُسِرُّون، يعني قولهم: لن يخلقَ اللهُ ربُّنا خَلْقاً أكرمَ عليه منا.

* * *

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾.

[٣٤] ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا﴾ مذهب العرب أن الرئيسَ يخبرُ عن نفسِه بضمير الجمع.

﴿لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ قرأ أبو جعفر: (لِلْمَلائِكَةُ) بضمِّ التاءِ حالةَ الوصلِ إتباعاً، ورُوِيَ عنهُ إشمامُ كسرتها الضمَّ، والوجهان صحيحان عنه، ووجهُ الإشمام أنه أشارَ إلى الضمِّ تنبيهاً على أن الهمزةَ المحذوفةَ التي هي همزةُ الوصلِ مضمومةٌ حالةَ الابتداءِ، ووجهُ الضمِّ أنهم استثقلوا الانتقالَ من الكسرةِ إلى الضمة إجراءً للكسرةِ اللازمةِ مجرى العارضة، وعللها أبو البقاءِ أنه نوى الوقفَ على التاء، فسكنها، ثم حَرَّكها بالضمِّ إتباعاً لضمةِ الجيم،

---

(١) في «ت»: «مذهب».

وهذا من إجراء الوصل مجرى الوقف، وقد اعترضَ جماعةٌ على أبي جعفر في قراءته لذلك، فردَّ ابنُ الجزريِّ اعتراضَهُ، وانتصرَ لأبي جعفرٍ، وصوَّبَ قراءته، وقال: إنه لم ينفردْ بهذه القراءة، بل قرأ بها غيرُه من السَّلَف. وقرأ الباقون: بإخلاصِ كسرةِ التاءِ[1]. وهذا الخطابُ مع جميع الملائكة على الصحيح، والأصحُّ أن السجودَ كانَ لآدمَ على الحقيقة، وتضمَّنَ معنى الطاعة لله تعالى لامتثالِ أمرِه، وكانَ ذلكَ سجودَ تعظيمٍ وتحيَّةٍ، لا سجودَ عبادةٍ، ولم يكن فيه وضعُ الوجهِ على الأرض، إنما كانَ الانحناء، فلما جاء الإسلامُ أبطلَ ذلك. والسجودُ في الأصل: تذلُّلٌ مع تَطامُنٍ.

﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾ يعني: الملائكة.

﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ وكان اسمُه عزازيل بالسريانية، وبالعربية: الحارثُ، فلما عصى، غُير اسمه وصورتُه، فقيل: إبليسُ؛ لأنه أبلسَ؛ أي: يئس من رحمة الله، والأصحُّ أنه كانَ من الملائكة لا من الجنِّ، وقوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠]، أي: من الملائكةِ الذين هم خَزَنة الجنة.

﴿أَبَىٰ﴾ امتنع فلم يسجد.

﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ أي: تكبر عن السجود لآدم.

﴿وَكَانَ﴾ أي: وصار.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٦١)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٧١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٥)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/ ١٨)، و«تفسير القرطبي» (١/ ٢٦١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٥ـ٤٦).

﴿مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قال أكثر المفسرين: وكان في سابق علم الله من الكافرين الذين وجبتْ لهم الشقاوة.

* * *

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٥﴾.

[٣٥] ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ وهي جنةُ الخلد في السماء السابعة، وذلك أن آدمَ لم يكنْ له في الجنةِ مَنْ يجالسُه، فنام نومةً، فخلقَ اللهُ زوجتَهُ حَوَّاءَ من قصيراهُ من شقِّه الأيسر، وسُمِّيت حواءَ؛ لأنها خُلقَتْ من حَيٍّ، خلقها الله تعالى من غير أن أحسَّ بها آدمُ، ولا وجدَ لها ألماً، ولو وجد لها ألماً، لما عطفَ رجلٌ على امرأة قَطُّ، فلما استيقظَ من نومه، رآها جالسةً عندَ رأسِه كأحسنِ ما خلقَ الله، فقال لها: مَنْ أنتِ؟ فقالتْ زوجتُكَ، خلقني الله لكَ؛ لتسكنَ إليَّ، وأسكنَ إليكَ[١].

﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾ واسعاً كثيراً.

﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ كيف شئتما، ومتى شئتما، وأين شئتما. **قرأ** أبو عمرٍو: (حَيْث شِّيتُمَا) بإدغام الثاء في الشين، وإبدال الهمز[٢] بياء ساكنة[٣]، وافقه على الإبدال أبو جعفرٍ وورشٌ.

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ يعني: للأكل، واختُلِف في الشجرة، فقيل:

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٢٣٠).

(٢) في «ن»: «الهمزة».

(٣) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٠٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٦).

هي السنبلة، وقيل: العنب، وقيل: التين، وقيل: شجرة الكافور، وقيل: شجرة العلم، وفيها من كلِّ شيء. قال ابنُ عطية: وإنما الصوابُ أن يُعتقَدَ أن الله نهى آدمَ عن شجرة، فخالفَ هو إليها، وعصى في الأكل منها، قال: وفي حظرِه تعالى على آدمَ ما يدلُّ على أن سكناه في الجنة لا يدومُ؛ لأن المُخَلَّد لا يُحظر عليه شيءٌ، ولا يؤمرُ ولا يُنهى[١].

﴿فَتَكُونَا﴾ أي: فتصيرا.

﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: الضارِّينَ بأنفسِكما بالمعصيةِ. وأصلُ الظلم: وضعُ الشيء في غيرِ موضعه.

* * *

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾.

[٣٦] ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ يعني: استزلَّ آدمَ وحواءَ؛ أي: دعاهما إلى الزلَّة. قرأ حمزةُ (فَأَزَالَهُمَا) بألفٍ مخففاً؛ أي: نَحَّاهما عن الجنة. وقرأ الباقون: بغير ألف مشدَّداً على المعنى الأول[٢].

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ تقدم تفسيره في الاستعاذة.

﴿عَنْهَا﴾ أي: عن الجنة.

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ١٢٨).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٩٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٤)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٣٦)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٠٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١١١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٧).

﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من النعيم، وذلك أن إبليسَ أرادَ أن يدخلَ الجنةَ ليوسوسَ لآدمَ وحواءَ، فمنعَتْهُ الخزنَةُ، فأتى الحيَّةَ، وكانت صديقاً لإبليسَ، وكانتْ من أحسنِ الدوابِّ، لها أربعُ قوائمَ كقوائمِ البعيرِ، وكانتْ من خُزَّانِ الجنة، فسألها إبليسُ أن تُدخلَه في فَمِها، فأدخلَتْه، فمرَّتْ به على الخزنَةِ وهم لا يعلمون، فلما دخل الجنةَ، وقفَ بينَ يدَيْ آدمَ وحواءَ، وهما لا يعلمان أنه إبليسُ، فبكى وناحَ نياحة أحزنهما، وهو أولُ مَنْ ناحَ، فقالا له: ما يبكيك؟ فقال: أبكي عليكما، تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة، فوقع ذلك في أنفسهما، واغتمَّا، ومضى إبليسُ، ثم أتاهما فقال: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾؟ [طه: ١٢٠] فأبى أن يقبل منه، فقاسَمَهما بالله إنَّه لهما لمن الناصحين، فاغترَّا، وما ظَنَّا أن أحداً يحلفُ بالله كاذباً، فبادرتْ حواءُ إلى أكلِ الشجرةِ، ثم ناولتْ آدمَ حتى أكلها، فلما أكلا منها، فُتَّتْ عنهما ثيابُهما، وبدَتْ سوءاتهما، وأُخرجا من الجنة(١)، فذلك قوله تعالى:

﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟﴾ أي: انزلوا إلى الأرض، يعني: آدم وحواء وإبليس والحية، والهبوطُ: الانحطاطُ من عُلُوٍّ إلى سُفْلٍ، فهبطَ آدمُ بِسَرَنْديبَ من أرضِ الهندِ على جبل يقال له: نَوْد، وحواء بجدة، وإبليس بأيلةَ، والحيةُ بأصفهان.

﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ أراد: العداوة التي بين ذرية آدم والحية، وبين المؤمنين من ذرية آدم وإبليس.

﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ موضعُ قرار.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٣٥).

﴿وَمَتَٰعٌ﴾ بُلْغَةٌ ومُسْتَمْتَع.

﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ آخرِ أعمارِكم، فكلُّ إنسانٍ له مكانٌ في الأرضِ يستقرُّ فيه مدَّةَ حياتِه وبعدَ مماته.

* * *

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾.

[٣٧] ﴿فَتَلَقَّىٰٓ﴾ التلقِّي: هو قبولٌ عن فِطْنَةٍ وفَهْم؛ أي: قَبِلَ وأخذَ.

﴿ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ هي ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، وقيل غير ذلك. قرأ أبو عمرٍو، ورُويسٌ: (آدم مِّن ربِّهِ) بإدغام الميم في الميم[١]، وقرأ ابنُ كثير: بنصبِ (آدَمَ) مفعولاً، ورفعِ (كَلِمَاتٌ) على أنها استقبلته وبلَغَتْهُ، والباقون برفعِ (آدَمُ)، ونصبِ (كَلِمَاتٍ) بكسر التاءِ مفعولاً[٢]، قال ابن عباس: «بكى آدمُ وحوَّاءُ على ما فاتَهُما من نعيمِ الجنةِ مئتي سنة، ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوماً، ولم يقربْ آدمُ حواءَ مئةَ سنة»[٣]. ورُوِي أن آدم لما هبط إلى الأرض، مكثَ

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٦٤)، و«تفسير القرطبي» (١/ ٣٢٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٨).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٩٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٣٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٨).

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٣٥ ـ ٣٦)، ومن طريقه ابن عساكر في=

ثلاثَ مئة سنة لا يرفعُ رأسه حياءً من الله تعالى.

﴿فَتَابَ عَلَيْهِۚ﴾ فتجاوز عنه.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ المتفضل بقبولِ توبةِ عبادِه.

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بخلقه. قرأ أبو عمرٍو (إنَّه هُّو) بإدغام الهاء في الهاء[1].

* * *

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

[٣٨] ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ﴾ يعني: هؤلاءِ الأربعةَ قيل: الهبوطُ الأولُ من الجنة إلى السماء الدنيا، والهبوطُ الثاني إلى الأرض، وكان هبوطُهم وقتَ العصر. وبينَ هبوطِ آدمَ والهجرةِ الشريفة الإسلامية ستةُ آلافِ سنةٍ، ومئتان، وستَّ عشرةَ سنة، وبين المؤرخين في ذلك خلافٌ.

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ أي: فإن يأتِكُم يا ذريةَ آدم، فـ(إنْ) شرطٌ ضُمَّتْ[2] إليها (ما) تأكيداً للفعل، وأُدغمت (إنْ) فيها وقلَّما وقعَ فعلُ الشرطِ بعدَ إمّا إلا مؤكداً بـ«ما» والنون، فـ«ما» تؤكِّدُ أولَ الفعل، والنونُ تؤكِّدُ آخرَه. قرأ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ: (يَاتِيَنَّكُمْ) بالإبدال بغير همز، والباقون بالهمز.

﴿مِّنِّي هُدًى﴾ رشدٌ برسولٍ أبعثُه إليكم، وكتابٍ أنزله عليكم.

= «تاريخ دمشق» (٢٣/ ٢٦٨).

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٦٤)، و«تفسير القرطبي» (١/ ٣٢٦)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٩).

(٢) في «ت»: «ضمنت».

﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ ﴾ قرأ الدوريُّ عن الكسائيِّ (هُدَايَ) بالإمالة[1].

﴿ فَلَا خَوْفٌ ﴾ قرأ يعقوب: (فَلاَ خَوْفَ) بفتحِ الفاءِ وعدم التنوين حيثُ وقَع، والباقون: بالرفع والتنوين[2].

﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ فيما يستقبلُهم. وتقدَّم[3] مذهبُ حمزةَ ويعقوبَ في ضمِّ الهاء من (عليهُم)، ومذهبُ ابنِ كثيرٍ وأبي جعفرٍ وقالون في صلةِ ميمِ الجمع بواو في اللفظ.

﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ على ما خلَّفوا.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ جحدوا.

﴿ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ القرآنِ.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ يومَ القيامة.

---

(١) انظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٠٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٩).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٦٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٠)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٣٢٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٩).

(٣) عند تفسير الآية رقم (٧) من سورة الفاتحة.

﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ لا يخرجون منها، ولا يموتون فيها.

* * *

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾.

[٤٠] ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ يا أولادَ يعقوبَ! ومعنى إسرائيل: [عبدُ الله، فإسرا: عبد، وإيل: هو الله. وقيل: هو صفوة الله. قرأ أبو جعفرٍ: (إسْرَايلَ)][1] بتسهيل الهمزة حيث وقع[2].

﴿ٱذۡكُرُواْ﴾ احفظوا، والذكرُ يكونُ بالقلب، ويكونُ باللسان.

﴿نِعۡمَتِيَ﴾ أي: نعمي، لفظُها واحد، ومعناها جَمْعٌ.

﴿ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: على أجدادِكم وأسلافِكم، وهي النعم التي خُصَّت بها بنو إسرائيل؛ من فلقِ البحرِ، وإنجائهم من فرعون، وإغراقه، وتظليلِ الغمامِ عليهم في التيه، وإنزالِ المنِّ والسَّلْوى، وإنزالِ التوراةِ، في نعمٍ كثيرةٍ لا تُحصى.

﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ﴾ بامتثالِ أمري، وقيل: بعثِ محمدٍ والإيمانِ به.

﴿أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ بالقبول والثواب.

﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ أي: فخافونِ في نقض العهد. قرأ يعقوبُ: (فَارْهَبُونِي) بإثباتِ الياء، والباقونَ: بحذفها[3].

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٤١)، و«تفسير القرطبي» (١/ ٣٣١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٥٠).

(٣) المصادر السابقة

﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ ﴾ يعني: القرآنَ.

﴿ مُصَدِّقًا ﴾ موافقاً.

﴿ لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ يعني: التوراةَ، في التوحيدِ والنبوَّةِ والأخبارِ، ونعتِ النبيِّ ﷺ. نزلتْ في كعبِ بنِ الأشرفِ وأصحابه من علماءِ اليهود ورؤسائهم.

﴿ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ﴾ أي: بالقرآنِ، يريد: أهلَ الكتاب؛ لأن قريشاً كفروا قبلَ اليهود بمكة، معناه: ولا تكونوا أولَ مَنْ كفر بالقرآن، فتتابعكم اليهودُ على ذلك، فتبوؤوا بآثامكم وآثامهم. قرأ حمزة: (ولا تكُونُوا) بالمدِّ بحيثُ لا يبلغُ الإشباعَ.

﴿ وَلَا تَشْتَرُواْ ﴾ أي: ولا تستبدلوا.

﴿ بِـَٔايَٰتِى ﴾ بالقرآنِ والإيمانِ بمحمدٍ ﷺ.

﴿ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ أي: عَرَضاً يسيراً من الدنيا، وذلك أن رؤساءَ اليهود وعلماءهم كانت لهم مآكلُ يُصيبونها من سَفَلَتِهم وجُهَّالهم، يأخذون منهم[١] كلَّ عامٍ شيئاً معلوماً من زَرْعِهم وضُروعِهم ونُقودهم، فخافوا إن هُمْ بيَّنوا صفةَ محمد ﷺ، وتابعوه، أن تفوتهم تلكَ المآكلُ، فغيَّروا نعتَهُ، وكتموا اسمَهُ، واختاروا الدنيا على الآخرة.

﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾ أي: فاخْشَونِ، والوقاية لغةً: حفظُ الشيءِ مما يؤذيه،

---

(١) في «ت»: «من».

وشرعاً: حفظُ النفس عَمَّا يُؤْثمها. قرأ يعقوبُ: (فَاتَّقُونِي) بإثباتِ الياء كما تقدَّم في قوله تعالى: (فارهبونِ)[1].

* * *

﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

[٤٢] ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا ﴾ أي: لا[2] تَخْلِطوا.

﴿ الْحَقَّ ﴾ الذي أُنزل عليكم من صفةِ محمدٍ ﷺ.

﴿ بِالْبَاطِلِ ﴾ الذي تكتبونه بأيديكم من غير تغيير صفته.

﴿ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ ﴾ أي: لا تكتموه يعني: محمداً ﷺ.

﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أنه نبيٌّ مرسَلٌ.

* * *

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ أي: أديموا الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودِها.

﴿ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ وأَدُّوا زكاةَ أموالكم المفروضةَ، مأخوذٌ من زكا الزرعُ: إذا نما وكثر.

﴿ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ أي: صَلُّوا مع المصلينَ محمدٍ وأصحابِه، وذُكر بلفظِ الركوعِ؛ لأن الركوعَ ركنٌ من أركان الصلاة، وكذا السجودُ

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٤١)، و«تفسير القرطبي» (١/ ٣٤٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٥٢).

(٢) «لا» سقطت من «ت».

بالاتفاق، وصلاةُ اليهودِ لم يكن فيها ركوعٌ، فكأنه قال: صَلُّوا صلاةً ذاتَ رُكوعٍ، وأصلُ الركوعِ: الانحناءُ.

* * *

﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٤٤) ﴾.

[٤٤] ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ ﴾ بالطاعة. نزلت في علماء اليهود، وذلك أن الرجل منهم كان يقولُ لقريبِهِ وحليفِهِ منَ المسلمين إذا سألَهُ عن أمرِ محمدٍ: اثبُتْ على دينه؛ فإن أمرَهُ حقٌّ، وقولَه صدقٌ[١].

﴿ وَتَنسَوْنَ ﴾ أي: وتتركون.

﴿ أَنفُسَكُمْ ﴾ فلا تتبعونه.

﴿ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ ﴾ تقرؤون التوراةَ فيها نعتُه وصفتُه.

﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أنه حَقٌّ، فتتبعونه، والعقلُ يمنعُ صاحبَه من الكفر والجحود.

* * *

﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ (٤٥) ﴾.

[٤٥] ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ ﴾ أي: اطلبوا في قضاء حوائجكم المعونة.

﴿ بِٱلصَّبْرِ ﴾ أراد: حبسَ النفس عن المعاصي.

﴿ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ ﴾ أي: وبالصلاة على نَيْل الرضوان وحَطِّ الذنوب.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٢٥٨)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/ ١٥٦).

﴿وَإِنَّهَا﴾ ولم يقل: وإنهما ردَّ الكناية إلى كلِّ واحدٍ منهما؛ أي: وإنَّ كلَّ خَصْلَةٍ منهما.

﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ أي: ثقيلة.

﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ﴾ يعني: المؤمنين المتواضعين، وأصلُ الخشوع: السكون.

* * *

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

[٤٦] ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يستيقِنون، والظنُّ من الأضداد، يكونُ شكّاً ويَقيناً؛ كالرجاء يكونُ أمناً وخوفاً.

﴿أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟﴾ معاينوا.

﴿رَبِّهِمْ﴾ في الآخرة، وهو رؤيةُ الله تعالى، ويأتي الكلام على رؤيته سبحانه في الآخرة في سورة الأنعام.

﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ فيجزيهم بأعمالهم.

* * *

﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

[٤٧] ﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ﴾ أي: ميزتكم؛ أي: اذكروا نعمتي وتفضيلي إياكم.

﴿عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ أي: عالَمَيْ زمانِكم، وذلك التفضيلُ وإن كانَ في حقِّ الآباء، ولكن يحصل به الشرفُ للأبناء.

﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

[٤٨] ﴿ وَاتَّقُواْ ﴾ واخشوا.

﴿ يَوْمًا ﴾ أي: عذاب يومٍ.

﴿ لَّا تَجْزِى ﴾ أي: تقضي.

﴿ نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا ﴾ أي: حقاً لزمَها.

﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ (تُقْبَلُ) بالتاء؛ لتأنيث الشفاعة، وقرأ الباقون: بالياء[1]؛ لأن الشفيع والشفاعة بمعنى واحد؛ أي: لا تقبل منها شفاعة إذا كانت كافرة.

﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا ﴾ أي: من المشفوع لها.

﴿ عَدْلٌ ﴾ أي: فداء، سُمِّي به؛ لأنه مثلُ العدلِ، والعدلُ: المِثْلُ.

﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ يُمنعون من عذاب الله.

* * *

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٧١)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ٩٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٦)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١١٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٣) و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٥٤).

﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم ﴾ يعني: أسلافكم وأجدادكم، عدَّها مِنَّةً عليهم؛ لأنهم نَجَوا بنجاتهم.

﴿ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ قومِه وأتباعِه وأهلِ دينه، وهو الوليدُ بنُ مُصْعَبِ بنِ الريَّانِ، وكانَ من القِبْطِ من العمالقةِ، وكان قصيراً طويلَ اللحية، أشهلَ العينين، صغيرَ العينِ اليسرى، أعرجَ، وكان شجاعاً ساحراً كاهناً كاتباً حكيماً، متصرفاً في كلِّ فنٍّ، واسمُه عندَ القِبْطِ ظُلْما، وعُمِّر أكثرَ من أربعِ مئةِ سنةٍ، وفرعونُ عَلَمٌ لمن ملكَ مصر.

﴿ يَسُومُونَكُمْ ﴾ يذيقونكم.

﴿ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ أَشَدَّهُ وأَسْوأَهُ، وذلك أنَّ فرعونَ جعلَ بني إسرائيل خَدَماً وخَوَلاً، وصَنَّفَهم في الأعمال، فصنفٌ يبنون، وصنف يحرثون، وصنف يخدمونه، ومن لم يكنْ منهم في عمل، وضعَ عليه الجزية.

﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ ﴾ أصل الذبح: الشقُّ، والتشديدُ للتكثير.

﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ يتركونَهُنَّ[1] أحياءً، وذلكَ أن فرعونَ رأى في منامِه كأن ناراً أقبلتْ من بيتِ المقدسِ، وأحاطَتْ بمصرَ، وأحرقَتْ كلَّ قبطيٍّ بها، ولم تتعرضْ لبني إسرائيل، فهالَهُ ذلكَ، وسألَ الكَهَنَةَ عن رؤياه، فقالوا: سيولَد في بني إسرائيل غلامٌ يكونُ على يده هلاكُكَ، فأمر فرعونُ بقتل كلِّ غلامٍ يولَد في بني إسرائيل، ووكل بالقوابِل، فكنَّ يفعلْنَ ذلك.

---

(١) في جميع النسخ «يتركوهن»، والصواب ما أثبت.

قيل: إنه قتلَ في طلب موسى اثني عشرَ ألفَ صبيٍّ، وقيل: تسعين ألفَ وليدٍ. وأسرعَ الموتُ في مشيخةِ بني إسرائيلَ، فدخل رؤوسُ القبطِ على فرعونَ، وقالوا: إنَّ الموتَ وقعَ في بني إسرائيل، فتذبح صغارُهم، ويموت كبارُهم، فيوشك أن يقعَ العملُ علينا، فأمرَ فرعونُ أن يُذبحوا سنة، ويُتركوا سنة، فوُلِدَ هارونُ في السنة التي لا يُذْبحون فيها، ووُلِدَ موسى في السنة التي يُذْبحون فيها(١). قرأ أبو عمرٍو (ويستحيون نساءكم) بإدغام النون في النون.

﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ﴾ اختبار.

﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ قيل: البلاء: المحنة؛ أي: في سومهم إياكم سوءَ العذاب محنةٌ عظيمة، وقيل: البلاء: النعمة؛ أي: وفي إنجائي إياكم منهم نعمةٌ عظيمة، والبلاء يكون بمعنى النعمة، وبمعنى الشدة، والله تعالى قد يختبرُ على النعمة بالشكر، وعلى الشدة بالصبر.

* * *

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٠﴾.

[٥٠] ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ معناه: فرقنا البحرَ بدخولكم إياه، والفَرْقُ: الفصلُ؛ أي: اذكروا أيضاً مِنَّتي عليكم بأنْ جعلتُ لكمُ البحرَ أفراقاً؛ أي: اثني عشر فِرْقاً، و(بكم) للباء وجهان: أحدهما: لكم، والباء قد تجيء بمعنى اللام، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الحج: ٦٢]؛

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٠٦)، عن السدي.

أي: لأن الله، والثاني: أي: بدخولِكم، فتكون الباءُ على حقيقتها. وسُمِّي البحرُ بحراً؛ لاستبحاره؛ أي: اتساعِه وانبساطِه، ومنه قيلَ للفرس: بحرٌ، إذا اتَّسَعَ في جَرْيه، وذلك أنه لما دنا هلاكُ فرعونَ، أمر الله تعالى موسى أن يسريَ ببني إسرائيل من مصرَ ليلاً، فأمر موسى قومَهُ أن يُسْرِجوا في بيوتهم إلى الصُّبح، وأخرجَ الله كُلَّ ولدِ زِناً في القبطِ من بني إسرائيل إليهم، وكلَّ ولدِ زِناً في بني إسرائيل من القِبْطِ إلى القبطِ، حتى رجعَ كُلٌّ إلى أبيه، وألقى الله الموتَ على القبط، فمات كلُّ بِكْرٍ لهم من شابٍّ وشابة، فاشتغلوا بدفنهم حتى أصبحوا، وخرج موسى في ستِّ مئةِ ألفٍ وعشرينَ ألفَ مقاتلٍ، لا يعدُّونَ ابنَ العشرينَ لصغره، ولا ابنَ الستين لكبره، وكانوا يومَ دخلوا مصرَ مع يعقوب اثنين وسبعين إنساناً ما بينَ رجلٍ وامرأة، فلما أرادوا السيرَ، ضُرب عليهم التيهُ، فلم يَدْروا أين يذهبون، فدعا موسى مشيخةَ بني إسرائيل، وسألهم عن ذلك، فقالوا: إن يوسف ـ عليه السلام ـ لما حضره الموتُ، أخذ على إخوته عهداً ألا يَخرجوا من مصر حتى يُخْرجوه معه، فلذلك استدَّ عليهم الطريقُ، فسألهم عن موضع قبره، فلم يعلموا، فقام موسى ينادي: أنشد الله كُلَّ من يعلمُ أينَ موضعُ قبر يوسفَ إلا أخبرني به، ومن لم[1] يعلم به، فَصُمَّتْ أُذناه عن قولي، فكان يمرُّ بين رجلين ينادي، فلا يسمعان صوته حتى سمعَتْهُ عجوزٌ لهم، فقالت: أرأيتكَ إن دللتُكَ على قبره، أتعطيني كلَّ ما سألتُكَ؟ فأبى عليها وقال: حتى أستأذِنَ ربِّي، فأمره الله ـ عز وجل ـ بإيتاء سؤلها، فقالت: إني عجوزٌ كبيرةٌ لا أستطيعُ المشيَ، فاحملْني وأخرجْني من مصر، هذا في الدنيا، وأما في

---

(١) في «ت»: «لا».

الآخرةِ فأسألك ألاَّ تنزل غرفةً من الجنة إلا نزلتُها معكَ، قال: نعم، قالتْ: إنه في جوفِ الماء في النيل، فادعُ اللهَ حتى يحسرَ عنه الماء، فدعا الله، فحسر عنه الماء، ودعا الله أن يؤخر طلوعَ الفجرِ إلى أن يفرغ من أمر يوسفَ، فحفر موسى ذلك الموضعَ، واستخرجه من صندوق من مَرْمَرٍ، وحمله حتى دفنه بحبرون[1] بجوارِ قبرِ أبيه يعقوب، ففتح لهم الطريقُ، فساروا وموسى على ساقَتِهِمْ وهارونُ على مقدِّمَتِهم، وندر بهم فرعونُ، فجمعَ قومَه، وأمرَهم ألاَّ يخرجوا في طلبِ بني إسرائيلَ حتى يصيحَ الديكُ، فلم يَصِحِ الديكُ تلكَ الليلة، فخرج فرعونُ في طلب بني إسرائيلَ وعلى مقدمته هامانُ في ألفِ ألفٍ وسبعِ مئةِ ألفٍ، وكان فيهم سبعون ألفاً من دُهْم الخيل، سوى سائرِ الشِّيآتِ، وكان فرعونُ يكون في الدُّهم، فسار بنو إسرائيلَ حتى وصلوا إلى البحر، والماء في غاية الزيادة، ونظروا فإذا هم بفرعونَ حين أشرقتِ الشمسُ، فبقُوا متحيِّرين، وقالوا: يا موسى! كيف نصنعُ؟ وأينَ ما وعدتَنا؟ هذا فرعونُ خلفَنا، إن أدركَنا قتلَنا، والبحرُ أمامَنا، إنْ دخلناه غرقْنا، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]، فأوحى الله تعالى إليه أَنِ اضربْ بعصاكَ البحر، فضربَهُ فلم يُطِعْه، فأوحى الله إليه أنْ كَنِّهِ؛ أي: كلِّمْهُ بالكُنية، فضربهُ وقالَ: انفلِقْ يا[2] أبا خالدٍ بإذن الله ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣]، وظهر فيه اثنا عشَر طريقاً، لكل سِبْطٍ طريقٌ، وارتفعَ الماءُ بينَ كلِّ طريقينِ كالجبلِ، وأرسلَ اللهُ الريحَ والشمسَ

---

(١) في «ن» «بجهرون».

(٢) «يا» سقطت من «ظ».

على قَعْرِ البحرِ حَتَّى صارَ يَبَساً، فخاضَتْ بنو إسرائيلَ البحرَ، كلُّ سبطٍ في طريقٍ، وعن جانبيهم الماءُ كالجبلِ الضَّخم، ولا يرى بعضُهم بعضاً، فخافوا، وقالَ كلُّ سبطٍ قد قُتل إخوانُنا، فأوحى الله تعالى إلى جبالِ الماءِ أنْ يتشبَّكْنَ، فصارَ الماءُ شبكاتٍ كالطَّاقاتِ يرى بعضُهم بعضاً، ويسمعُ بعضُهم كلامَ بعضٍ حتى عبروا البحرَ سالمين، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾[1].

﴿ فَأَنجَيْنَـٰكُمْ ﴾ من آلِ فرعونَ ومن الغرقِ.

﴿ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ﴾ أي: فرعونَ وجيوشَه، وذلك أنَّ فرعونَ لما وصل إلى البحر، فرآه منفلِقاً، قالَ لقومِه: انظُروا إلى البحرِ انفلقَ من هَيْبَتي حتى أُدرِكَ عَبيدي الذين أَبَقُوا، ادخُلوا البحرَ، فهاب قومُه أن يدخلوه، وقالوا له: إن كنتَ ربّاً، فادخلِ البحرَ كما دخلَ موسى، وكانَ فرعونُ على حصانٍ أَدْهَمَ، ولم يكنْ في خيلِ فرعونَ فرسٌ أُنثى، فجاء جبريلُ في صورة هامانَ على أُنثى وَدِيقٍ؛ أي: شَهِيٍّ، وهي التي في فرجِها بَلَلٌ، فتقدَّمَهُ وخاضَ البحرَ، فلما شمَّ أدهمُ فرعونَ ريحَها، اقتحمَ البحرَ في أثرِها، ولم يملكْ فرعونُ من أمره شيئاً، وهو لا يرى فرسَ جبريلَ، واقتحمتِ الخيولُ خلفَه في البحر، وجاء ميكائيلُ على فرسٍ خلفَ القوم يشحذُهم ويسوقُهم حتى لا يشذَّ رجلٌ منهم، ويقولُ لهم: الحقوا بأصحابِكم، حتى خاضوا كلُّهم البحرَ، وخرجَ جبريلُ من البحر، وهمَّ أولُهم بالخروج، أمرَ اللهُ البحرَ أن يأخذَهم، فالتَطَمَ عليهم، وغرَّقَهم أجمعينَ، وكان بينَ طرفي البحرِ أربعةُ فراسخَ، وهو بحر قُلْزُم طرف من بحر فارس، والقُلْزُمُ ـ بضم القاف

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨)، عن السدي وابن زيد.

وسكون اللام وضمِّ الزاي وميم ـ: بُلَيدةٌ كانت على ساحل البحر من جهةِ مصرَ، وبينها وبين مصرَ نحوُ ثلاثةِ أيام، وقد خَرِبَت، ويعرف اليوم موضُعها بالسُّوَيس تجاه عجرود، منزلٍ ينزلُه الحاجُّ المتوجِّه من مصرَ إلى مكة، وبالقربِ منها غرقَ فرعونُ، وذلك بمرأى من بني إسرائيل[1]، فذلك قوله عز وجل.

﴿ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ إلى مصارعهم.

***

﴿ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ﴾.

[٥١] ﴿ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا ﴾ قرأ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ: (وَعَدْنَا) بقصرِ الألفِ من الوعدِ، والباقون: (وَاعَدْنَا) بألفٍ[2]، منَ المواعدة.

﴿ مُوسَىٰٓ ﴾ اسم عبري عُرِّب، سُمِّي به لأنَّ تابوتَه وُجد بينَ الماءِ والشجر، والماءُ في لغتِهم مو، والشجرُ شا، ثم قلبتِ الشينُ المعجمةُ سيناً في العربية. قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ (مُوسَى) بالإمالة

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٢٧٦)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦١/ ٧٩).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٧٣)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ٩٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٩٣، ٢٤٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٥٥).

حيث وقع[1]، وهو موسى بنُ عمرانَ بنِ يصهر بنِ قاهث بنِ لاوي بنِ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ ـ عليهم السلام ـ، عاش موسى مئةً وعشرين سنةً، ومات في سابعِ آذارَ لمضيِّ ألفٍ وستِّ مئةٍ وستٍّ وعشرينَ سنةً من الطوفان، وبينَ وفاتِه والهجرةِ الشريفةِ الإسلامية ألفان، وثلاثُ مئةٍ، وثمانٍ وأربعون سنةً، وقبرُه شرقيّ بيتِ المقدس، بينهما مرحلة.

﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ أي: انقضاءها. قرأ الكسائيُّ (لَيْلَةً) بإمالة اللام حيثُ وقفَ على هاءِ التأنيثِ، وقُرن بالليلِ دونَ النهار؛ لأن شهورَ العرب وُضِعَتْ على سيرِ القمر، وذلك أن بني إسرائيل لما أَمِنوا من عدوِّهم، ودخلوا مصرَ، لم يكن لهم كتابٌ ولا شريعةٌ ينتهون إليها، فوعدَ الله موسى أن يُنزل عليهِ التوراةَ، فقال موسى: إني ذاهبٌ لميقات ربي آتيكُم بكتابٍ فيه بيانُ ما تأتونَ به وما تَذَرون، وواعدَهم أربعين ليلةً: ثلاثينَ من ذي القعدة، وعشراً من ذي الحجَّة، وقيل: ذو الحجة، وعشرٌ من المحرَّم، واستخلفَ عليهم أخاه هارون، فلما أتى الوعدُ، جاء جبريل ـ عليه السلام ـ على فرس يقال له: فرسُ الحياة، لاتُصيب شيئاً إلا حَيِيَ؛ ليذهبَ بموسى إلى ربه، فلما رآه السامريُّ، وكان رجلاً صائغاً من بني إسرائيل من قبيلة يقال لها: سامُرَّة، واسمه مِيْخَا ـ بكسر الميم وسكون الياء آخر الحروف، وفتح الخاء المعجمة وبعدها ألف ـ، وكان منافقاً، أظهرَ الإسلام، وكان من قوم يعبدون البقرَ، فلما رأى جبريلَ على تلكَ الفرس، ورأى موضعَ قدمِ الفرس يخضَرُّ في الحال، قال: إن لهذا شأناً، وأخذ قبضةً من تربةِ حافرِ فرسِ

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١١٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٥٦).

جبريلَ. قال عِكْرمة: ألقي في رُوعِهِ أنه إذا أُلقي في شيءٍ، غيَّرهُ، وكان بنو إسرائيل قد استعاروا حُلِيّاً كثيرةً من قوم فرعون؛ حين أرادوا الخروج من مصرَ بعلَّة عرسٍ لهم، فأهلكَ الله فرعونَ، وبقيت تلك الحليُّ لهم في أيدي بني إسرائيل، فلما فصل موسى، قال السامري لبني إسرائيل: إن الحليَّ التي استعرتموها من قومِ فرعونَ غنيمةٌ لا تَحِلُّ لكم، فاحفِروا حفرةً وادفنوها فيها حتى يرجعَ موسى، فيرى فيها رأيه، فلما اجتمعتِ الحليُّ صاغها السامريُّ عِجْلاً في ثلاثة أيام، ثم ألقى فيها القبضةَ التي أخذها من ترابِ فرسِ جبريلَ، فخرج عجلاً من ذهبٍ مُرَصَّعاً بالجواهر كأحسنِ ما يكونُ، وخار خَوْرَةً، فقال السامري: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾ [طه: ٨٨]، أي: فتركه هاهنا، وخرج يطلبه، وكان بنو إسرئيل قد اختلفوا الوعد، فعدوا اليومَ مع الليلة يومين، فلما مضى عشرون يوماً، ولم يرجعْ موسى، وقعوا في الفتنة، وعبدوا العجلَ كلُّهم إلا هارونَ مع اثني عشرَ ألفَ رجل[١]، فذلك قولُه تعالى:

﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ إلهاً.

﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: بعد ذهابه إلى الطور. قرأ ابنُ كثيرٍ، وحفصٌ، ورويسٌ: (اتَّخَذْتُم) حيث وقع بإظهار الذال، والباقون بإدغامها.

﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ ضارُّون لأنفسِكم بالمعصيةِ، واضعونَ العبادةَ في غير موضعها.

* * *

---

(١) وانظر: «تفسير الطبري» (١/ ٢٨٢).

﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

[٥٢] ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا ﴾ محونا .

﴿ عَنكُمْ ﴾ ذنوبَكُم .

﴿ مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ من بعد عبادتكم العجلَ لمَّا تبتم . قرأ أبو عمرٍو : (مِنْ بَعْد ذَّلِكَ) بإدغام الدال في الذال[١] ، وشبهه حيث وقع .

﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ لكي تشكروا ، وشكرُ كلِّ نعمةٍ أَلاَّ يُعصى اللهُ بعدَ تلك النعمة[٢] .

* * *

﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

[٥٣] ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ يعني : التوراةَ .

﴿ وَٱلْفُرْقَانَ ﴾ هو التوراةُ أيضاً ، ذكرَها باسمينِ ، وكرَّر المعنى لاختلافِ اللفظ ، ولأنه زاد في معنى التفرقة بينَ الحقِّ والباطل ، ولفظة الكتابِ لا تُعطي ذلك .

﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ بالتوراةِ .

* * *

(١) انظر : «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٧٤) ، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٤) ، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٧) ، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٠) ، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١١٧) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٥٦) .

(٢) انظر : «تفسير البغوي» (١/ ٥٠) .

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾.

[٥٤] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ الذين عبدوا العجل:

﴿يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ﴾ أي(١): أضرَرْتم(٢).

﴿أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ إلهاً، قالوا: فما نصنعُ؟ قال:

﴿فَتُوبُوٓا۟﴾ أي: فارجعوا.

﴿إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ خالِقِكم. قرأ الدوريُّ عن الكسائيِّ: (بارِيكُم) بإمالة الألف في الموضعين، واختُلِفَ عن أبي عمرو في اختلاس كسرة الهمزة، وإسكانها من (باريكم) في الحرفين، فقرأ الدوريُّ عنه بالاختلاس، وقرأ السوسيُّ بالإسكان، وقرأ الباقونَ بإشباع الحركة(٣). قالوا: كيف نتوب؟ قال:

﴿فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ يعني: ليقتلِ البريءُ منكم المجرمَ.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي: القتلُ.

---

(١) «أي»: سقطت من «ن».

(٢) في «ط»: «صررتم».

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٧٦)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ٩٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٥)، و«الكشف» لمكي (٢٤٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١١٤، ١١٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٥٧).

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ فلما أمرهم موسى بالقتل، قالوا: نصبرُ لأمر الله، فجلسوا بالأَفْنِيَة مُحْتَبِين؛ أي: مُنْتَصبين رُكَبَهم، وقيل لهم: من حَلَّ حبوتَهُ، أو مَدَّ طَرْفَه إلى قاتله، أو اتَّقى بيدٍ أو رجلٍ، فهو ملعونٌ مردودةٌ توبتهُ، وأصلتَ القومُ عليهم الخناجرَ، فكان الرجلُ يرى ابنَه وأخاه وأباه وقريبَه وصديقَه وجارَه، فلم يمكِنْهم إلا المضيُّ لأمر الله، قالوا: يا موسى! كيف نفعل؟ فأرسل اللهُ عليهم ضبابةً وسحابةً سوداءَ لا يُبصر بعضُهم بعضاً، وكانوا يقتلونهم إلى المساء، فلما كثر القتلُ، دعا موسى وهارونُ، وبَكَيا وتضرَّعا، وقالا: يا ربّ! هلكتْ بنو إسرائيل البقيةَ البقيةَ، فكشف الله السحابةَ، وأَمرهم أن يَكُفُّوا عن القتل، فتكشَّفَتْ عن ألوفٍ من القتلى، فاشتدَّ ذلك على موسى، فأوحى الله إليه: أما يرضيكَ أن أُدخلَ القاتلَ والمقتولَ منهم الجنة؟ فكان من قُتل منهم شهيداً، ومن بقي منهم مُكَفَّراً عنه ذنوبُه[1]، فذلك قوله تعالى:

﴿فَتَابَ﴾ أي: إن فعلتم ذلك فقد تاب.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ تجاوزَ عنكم.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ القابل للتوبة.

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ قرأ أبو عمرٍو: (إنَّهْ هُّو) بإدغام الهاء في الهاء.

* * *

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

---

(١) وانظر: «تفسير الطبري» (١/ ٢٨٦)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ١١١).

[٥٥] ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ أي: لأجل قولك.

﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ وذلك أن الله ـ عز وجل ـ أمرَ موسى ـ عليه السلام ـ أنْ يأتيَه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادةِ العجل، فاختار موسى سبعينَ رجلاً من قومِه من خيارِهم، وقال لهم: صوموا، وتَطَهَّروا، وطَهِّروا ثيابَكُم، ففعلوا، فخرج بهم موسى إلى طورِ سيناءَ لميقاتِ ربِّه، فقالوا لموسى: اطلبْ لنا نسمع كلامَ رَبِّنا، فقال: أفعلُ، فلما دنا موسى إلى طورِ سيناءَ من الجبل، وقع عليه عمودُ الغمام، وتغشى الجبلَ كلَّه، فدخلَ في الغمام، وقال للقوم: ادنو، فدنا القوم حتى دخلوا في الغمامِ، وخروا سُجَّداً، وكان موسى إذا كلَّمه ربُّه، وقعَ على وجهه نورٌ ساطعٌ لا يستطيعُ أحدٌ من بني آدمَ أن ينظرَ إليه، فضُربَ دونَه الحجابُ، وسمعوه وهو يكلم موسى، يأمره وينهاه، وأسمعَهُم اللهُ: إني أنا اللهُ لا إلهَ إلا أنا ذو بَكَّةَ؛ أي: صاحبُ مكةَ، أخرجتُكم من أرضِ مصرَ بيدٍ شديدةٍ، فاعبدوني ولا تعبدوا غيري، فلما فرغَ موسى، وانكشفَ الغمامُ، أقبلَ إليهم، فقالوا له: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ معايَنَةً[١]، وذلك أن العربَ تجعلُ العلمَ بالقلبِ رؤيةً، فقال: جهرةً؛ ليُعلم أنَّ المرادَ منه العيانُ.

﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ أي: الموتُ، وقيل: جاءت نارٌ من السماء فأحرقتهم.

﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ أي: ينظر بعضُكم إلى بعض حينَ أخذَكُم الموتُ، فلما هَلَكوا، جعل موسى يبكي ويتضرَّع ويقولُ: ماذا أقولُ لبني إسرائيل إذا

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٥١).

أتيتُهم، وقد أهلكتَ خيارَهم، ﴿ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، فلم يزلْ يناشدُ ربَّه حتى أحياهم الله رجلاً بعدَ رجل بعد ما ماتوا يوماً وليلة، ينظرُ بعضُهم إلى بعضٍ كيف يُحْيون، وذلك قوله:

* * *

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم ﴾ أحييناكم، والبعثُ: إثارةُ الشيءِ عن مَحَلِّه، يقال: بعثتُ البعيرَ، وبعثتُ النائمَ فانبعثَ.

﴿ مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ قال قتادة: أحياهم ليستوفوا بقية آجالهم وأرزاقِهم(١)، ولو ماتوا بآجالهم، لم يبعثوا.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ فِعَالي.

* * *

﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ ﴾ في التيه يَقيكم حرَّ الشمسِ، والغَمامُ جمعُ غمامةٍ، من الغَمِّ، وأصلُه التَّغْطِيَةُ والسَّتْرُ، سُمِّي السحابُ غماماً؛ لأنه يغطِّي وجهَ الشمس، وذلك أنه لم يكنْ لهم في التيه كِنٌّ يسترُهم، فشكَو إلى موسى ـ عليه السلام ـ، فأرسل الله غماماً أبيضَ رقيقاً أطيبَ من غمام

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٩٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١١٢).

المطر، وجعل لهم عموداً من نور يضيء لهم الليلَ إذا لم يكنْ قمرٌ.

﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾ أي: في التيه، والأكثرون على أن المنَّ هو التَّرَنْجَبينُ، وقيل: هو شيءٌ يتساقطُ على الشجر كالصَّمغ، حلوُ الطعم، فكان هذا المنُّ كل ليلةٍ يقعُ على أشجارهم مثلَ الثلج، لكلِّ إنسانٍ منهم صاعٌ، فقالوا: يا موسى! قتَلَنا هذا المنُّ بحلاوته، فادعُ لنا ربك أن يطعِمَنا اللَّحْمَ، فأنزل الله عليهمُ السَّلوى، وهو طائرٌ يشبه السُّمَّانَ، فكان الله يُنزل عليهم المنَّ والسلوى كلَّ صباحٍ من طلوع الفجر إلى طلوعِ الشمسِ، فيأخذُ كلُّ واحدٍ منهم ما يكفيه يوماً وليلة، وإذا كان يومُ الجمعة، أخذَ كلُّ واحد منهم ما يكفيه ليومين؛ لأنه لم يكنْ ينزلُ يومَ السبت.

﴿كُلُوا﴾ أي: وقلنا لهم: كلوا.

﴿مِن طَيِّبَاتِ﴾ أي: حلالات.

﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ولا تدَّخروا لغدٍ، ففعلوا، فقطع الله ذلك عنهم، ودَوَّدَ وفسدَ ما ادَّخروا، فقال الله تعالى:

﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ وما بَخَسوا حقنا.

﴿وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ باستيجابهم عذابي، وقطعِ مادة الرزقِ الذي كان ينزلُ عليهم بلا مُؤْنة في الدنيا، ولا حسابٍ في العقبى.

***

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

[٥٨] ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ لهم لما رجعوا من التيه:

﴿ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ سميت القرية قريةً؛ لأنها تجمعُ أهلَها، ومنه: المِقْراةُ للحَوْض؛ لأنها تجمعُ الماء، والقريةُ: بيتُ المقدس، وقيل غيره.

﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ موسَّعاً عليكم. قرأ أبو عمرٍو (حَيْث شِّئْتُمْ) بإدغام الثاء في الشين، وقرأ أيضاً هو وأبو جعفرٍ وورشٌ: (شِيتُمْ) بياء ساكنة بغير همز.

﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ﴾ يعني: باباً من أبواب القرية، وكان لها سبعة أبواب، وقيل: باب المسجد.

﴿سُجَّدًا﴾ أي: رُكَّعاً خُضَّعاً مُنْحَنين.

﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ أي: حُطَّ عنا خطايانا، أُمروا بالاستغفار.

﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ من الغَفْر، وهو السَّتْر، فالمغفرةُ تسترُ الذنوب. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (يُغْفَرْ) بالياء آخر الحروف مضمومة، وابنُ عامر: (تُغْفَرْ) بتاء مضمومة، واتفقوا على فتح الفاء، والباقون: بنون مفتوحة وكسر الفاء[(١)]، ورُوي عن أبي عَمْرٍو إدغامُ الراء في اللام من (نَغْفِر لَّكُمْ)[(٢)]، وروي عنه إظهارُها، والوجهان عنه صحيحان، وقرأ الكسائي:

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٨٠)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ٩٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٦)، و«الكشف» لمكي (٢٤٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢١٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٥٩).

(٢) انظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٠)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٤٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١١٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: =

(خَطَايَاكُمْ، وَخَطَايَانَا) بإمالةِ فتحةِ الياء حيث وقع[1].

﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ثواباً من فضلنا.

***

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

[٥٩] ﴿فَبَدَّلَ﴾ فغيَّر.

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أنفسَهم وقالوا:

﴿قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ فدخلوا يزحفون على أستاههم، وقالوا بلغتهم حِطَاءُ سمقاثاً استهزاءً؛ أي: حنطةً حمراءَ، وروي أنهم قالوا: حبَّة في شَعْرَة. قرأ أبو جعفر: (قَوْلاً غَيْرَ) بإخفاء التنوين عند الغين، وأبو عمرٍو (قِيل لَّهمْ) بإدغام اللام في اللام[2]، وتقدَّم[3] ضمُّ الهاء وصلةُ الميم من (عَلَيْهُم وإِلَيْهُمْ) ونحوِهما.

﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا﴾ أي: عذاباً.

﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ قيل: أرسلَ اللهُ عليهم طاعوناً، فهلك منهم في ساعةٍ واحدةٍ سبعون ألفاً.

= ١٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٦٠).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٦)، و«تفسير الرازي» (١/ ٣٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٦٠).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٦١).

(٣) عند تفسير الآية (٧) من سورة الفاتحة.

﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَفۡسُقُونَ ﴾ يعصون ويخرجون من أمر الله تعالى.

* * *

﴿ ۞ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُوا۟ وَٱشۡرَبُوا۟ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡا۟ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾.

[٦٠] ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ ﴾ طلبَ السُّقيا.

﴿ لِقَوۡمِهِۦ ﴾ وذلك أنهم عطشوا في التيه، فسألوا موسى أن يستسقيَ لهم، ففعلَ، فأوحى الله إليه كما قال:

﴿ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ ﴾ وكانت العصا من آسِ الجنة، طولُها عشرةُ أذرع على طولِ موسى، ولها شُعْبتان تتَّقِدان في الظلمة نوراً، واسمها عُلَيْق، حملها آدمُ من الجنة، فتوارثها الأنبياءُ حتى وصلت إلى شُعيب، فأعطاها موسى. وأما الحجرُ، فقال ابنُ عباس: كانَ حجراً خَفيفاً مربَّعاً على قدرِ رأس الرجل، كان يضعُهُ في مِخْلاته، فإذا احتاجوا إلى الماء، وضعَه وضربَه بعصاته، فإذا فرغوا، وأراد موسى حملَهُ، ضربه بعصاته، فيذهبُ الماء، وكان يسقي كلَّ يومٍ ستَّ مئةِ ألفٍ. وقال سعيد بن جبير: هو الحجرُ الذي وضعَ موسى ثوبَهُ عليه ليغتسلَ، ففرَّ بثوبه، ومرَّ به على ملأٍ من بني إسرائيل حينَ رَمَوْهُ بالأُدْرَةِ، فلما وقف، أتاه جبريلُ فقالَ: إن الله تعالى يقولُ لكَ: ارفعْ هَذَا الحجرَ؛ فإنَّ لي فيه قدرةً، ولك فيه معجزةٌ، فرفعَهُ ووضعَهُ في مِخْلاته(١).

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٧٧).

﴿فَٱنفَجَرَتۡ﴾ أي: سالت.

﴿مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ﴾ على عدد الأسباط.

﴿قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ﴾ لا يدخلُ سبطٌ على غيرِه في شربه.

﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾ أي: وقلنا لهم: كلوا من المنِّ والسلوى، واشربوا من الماء، فهذا كله:

﴿مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ﴾ الذي يأتيكم بلا مشقة.

﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ والعُثِيُّ(1): أشدُّ الفساد.

* * *

﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾.

[٦١] ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ﴾ وذلك أنهم كرهوا وسئموا من أكل المنِّ والسَّلوى، وإنما قال: طعام واحد، وهما اثنان؛ لأن العربَ تُعَبِّرُ عن الاثنين بلفظ الواحد، كما تعبِّرُ عن الواحدِ بلفظِ الاثنين؛ كقوله: ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢]، وإنما يخرجُ من المالح دونَ العذب.

---

(1) في «ت» و«ط»: «العيث»، وجاء على هامش «ظ»: «وصوابه: العثي».

﴿ فَٱدۡعُ لَنَا ﴾ فاسأل لأجلنا.

﴿ رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا ﴾ والفوم: الخبز، أو الحنطة، وقيل: الثوم.

﴿ وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ ﴾ لهم موسى:

﴿ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ ﴾ أَخَسُّ وَأَرْدأُ.

﴿ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ﴾ أشرفُ وأفضلُ، وجعل الحنطةَ أدنى في القيمةِ، وإن كانَ هو خيراً من المنِّ والسلوى، وأرادَ بهِ أسهلُ وجوداً على العادة.

﴿ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرًا ﴾ يعني: وإن أبيتُم إلا ذلكَ، فانزلوا مصراً من الأمصار.

﴿ فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ ﴾ من نبات الأرض.

﴿ وَضُرِبَتۡ ﴾ جُعِلَتْ.

﴿ عَلَيۡهِمُ ﴾ وأُلزموا.

﴿ ٱلذِّلَّةُ ﴾ الذُّلُّ والهوَان بالجِزْية، وهو ضِدُّ العزِّ.

﴿ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ ﴾ الفقر، سُمِّيَ الفقيرُ مسكيناً؛ لأن الفقرَ أسكنَهُ وأقعدَهُ عن الحركةِ، فترى اليهودَ ـ وإن كانوا أغنياءَ ـ كأنَّهم فقراءُ، فلا يُرى في أهل المالِ أذلُّ وأحرصُ على المالِ من اليهود. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (عَلَيْهُمُ الذِّلَّةُ) و﴿ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ﴾ [البقرة: ١٦٦] وشبهَه: بضم الهاء والميم في الوصل حيث وقع، ووافقَهم يعقوبُ في (عَلَيْهُمُ الذِّلَّةُ) وشبهه، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ يكسرون الهاء، ويضمون الميمَ، وأبو عمرو

يكسرهما، ووافقه يعقوبُ في ﴿ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة: ١٦٦] وشبهه[١].

﴿ وَبَآءُو ﴾ رجعوا.

﴿ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ ولا يقال: باءَ إلا إذا رجعَ بشر.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الغضب.

﴿ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ بصفة محمدٍ ﷺ، وآيةِ الرجم في التوراةِ، ويكفرون بالإنجيلِ والقرآنِ.

﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ كشعيا وزكريا ويحيى. قرأ نافعٌ (النَّبِيئِينَ، وَالنَّبِيؤون، ونَبِيئُهُمْ، وَٱلأَنْبِئَاء، والنُّبُوءَة، والنَّبِيء) بالمدِّ والهمز حيث وقع، فيكون معناه المخبر من أنبأ ينبىءُ؛ لأنه إنباءٌ عن الله، وخالفَه قالونُ في حرفين في الأحزاب يأتي ذكرُهما في محلِّهما ـ إن شاء الله تعالى ـ. وقرأ الباقون: بترك الهمز[٢]، وله وجهان: أحدهما: هو أيضاً من الإنباء، تُركتِ الهمزةُ فيه تخفيفاً؛ لكثرةِ الاستعمال، والثاني: هو بمعنى الرفع، مأخوذٌ من النَّبْوَةِ، وهو المكانُ المرتفع.

﴿ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ أي: بلا جرم.

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ يتجاوزون أمري، ويرتكبون مَحارِمي.

---

(١) انظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١١٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٦٤ـ٦٥، ١٣٣).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٩٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٠ـ٨١)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٤٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١١٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٦٥).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

[٦٢] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ على الحقيقة.

﴿ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ يعني: اليهود، سموا به[١] لقولهم: ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]؛ أي: ملنا إليك، وقيل[٢]: لأنهم هادوا؛ أي: تابوا عن عبادةِ العجل، وقال أبو عمرِو بنُ العلاء: لأنَّهم يتهوَّدون؛ أي: يتحرَّكون عندَ قراءةِ التوراةِ، ويقولون: إنَّ السمواتِ والأرضَ تحرَّكت حينَ آتى الله موسى التوراةَ.

﴿ وَٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾ سُمُّوا بهِ؛ لقولهم: ﴿ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ [الصف: ١٤]، وقيل: لأنَّهم نزلوا قريةً، وقالوا لها: ناصِرَة، وقيل: لاعتزائِهم إلى نَصْرَةَ، وهي قريةٌ كان يَنْزِلها عيسى ـ عليه السلام ـ[٣].

﴿ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ ﴾ جمع صابىء، أصلُه الخروجُ، يقال: صَبَأَ فلانٌ: إذا خرجَ من دينٍ إلى دينٍ آخَرَ، وهم قومٌ عدلوا عن اليهوديةِ والنصرانيةِ، وعبدوا الملائكةَ، ويستقبلون القبلةَ، ويوحِّدون اللهَ، ويقرؤون الزَّبورَ. قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ (والنَّصَارَى) حيث وقعَ بالإمالة، والباقونَ بالفتح، فمن قرأ بالإمالة رَقَّق الراءَ، ومن قرأ بالفتح، فَخَّمَها[٤]،

---

(١) في «ت»: «بهم».

(٢) «وقيل» سقطت من «ت».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٧٩).

(٤) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي =

وقرأ أبو جعفرٍ، ونافعٌ: (الصَّابِينَ وَالصَّابُونَ) بغير همزٍ، والباقون بالهمز(١).

﴿مَنْ﴾ شرطٌ محلُّه رفع مبتدأ، خبره:

﴿ءَامَنَ﴾ أي: من الكفار.

﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ بالقلب واللسان.

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ وجواب الشرط.

﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ الذي يستوجبونه امتناناً.

﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة. تلخيصُه: من أخلصَ إيمانَه، وأصلحَ عملَه، دخلَ الجنَّةَ.

* * *

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣)﴾.

[٦٣] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ أي: عهدكم يا معشرَ اليهود.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ وهو الجبل بالسريانية، رفع الله فوقَ رؤوسهم الطورَ، وذلك أن الله تعالى أنزلَ التوراةَ على موسى، فأمرَ موسى قومَهُ أن

= (ص: ١٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٦٥).

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١١٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٤٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٦٦).

يَقْبلوها ويَعْملوا بأحكامها، فَأَبَوْا؛ لما فيها من الآصارِ والأثقالِ، وكانتْ شريعةً ثقيلةً، فأمر اللهُ جبريلَ ـ عليه السلام ـ فقلعَ جبلاً على قدرِ عسكرهم، وكان فَرْسَخاً في فرسخ، فرفعه فوقَ رؤوسهم مقدارَ قامةِ الرجل كالظُّلَّة؛ أي: كالسحابة، وقال لهم: إن لم تقبلوا التوراة، أرسلتُ هذا الجبلَ عليكم، وبعثَ ناراً من قِبَل وجوههم، وأتاهم البحرُ المالح من خلفِهم.

﴿خُذُواْ﴾ أي: وقلنا لهم: ﴿خُذُواْ﴾.

﴿مَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾ أعطيناكم.

﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ومواظبة.

﴿وَٱذْكُرُواْ﴾ واعلموا وادرسوا.

﴿مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لكي تَنجو من الهلاك في الدنيا، والعذاب في العقبى، فإن قبلتم، وإلا رَضَخْتُكم بهذا الجبلِ، وَغرَّقْتُكم في البحر، وأحرقْتُكم بهذه النار، فلما رأوا أنْ لا مهربَ لهم منها، قبلوا، وسجدوا، وجعلوا يلاحظون الجبلَ وهم سجود، فصارَتْ سُنَّةً في اليهود، لا يسجدون إلا على أنصاف وُجوههم، ويقولون: بهذا السجودِ رُفع العذاب عنا[1].

* * *

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

[٦٤] ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم﴾ أي: أعرضتم.

﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: من بعد ما قَبلتم التوراة.

---

(١) «عنا» سقطت من «ن».

﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ بالإمهال وتأخير العذاب عنكم.

﴿ لَكُنتُم﴾ أي: لصرتم.

﴿ مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ أي: المغبونين بالعقوبة، وذهابِ الدنيا والآخرة، كأنه رحمَهُم بالإمهال.

* * *

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾.

[٦٥] ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ أي: جاوزوا الحدَّ، وأصلُ السَّبتِ: القطع، وسمي بذلك يوم السبت، لأن الله تعالى قطعَ فيه الخلقَ، وقيلَ: لقطعِ أشغالِهم فيه، وتعظيمِه بترك العاداتِ، والإتيانِ بالعبادات.

واختُلف هل للقاضي أن يُحضر اليهوديَّ[1] إلى مجلسِ الحكمِ في يومِ السبتِ لسماعِ دعوى خصمِه، وإلزامِه بما يثبتُ عليه؟ فمذهبُ الشافعيِّ: يُحْضَر يومَ السبت، ويُكسر سبتُه عليه، وهو ظاهرُ عبارة الحنفية في كتبهم؛ لإطلاقهم أن القاضيَ يحكمُ بينَ أهل الذمَّةِ إذا ترافعوا إليه بحكمِ الإسلام.

واختُلف في مذهب مالك في كراهةِ طلبِه، فقيل: يُكْره طلبُه وتمكينُ خصمِه من ذلك، وقيل: يجوزُ من غيرِ كراهة، واختار البساطيُّ من علماء المالكيةِ أنه يُمنع المسلمُ من طلبه، إلا أن تقوم القرائنُ أن المسلمَ اضْطُرَّ إلى ذلك، ولم يقصد ضرراً.

---

(١) في «ت»: «اليهود».

وعند أحمدَ: ليس للقاضي إحضارُه يومَ السبت؛ لبقاء تحريمِه عليه، وروى أحمدُ عن النبي ﷺ حديثاً منه. «وَأَنْتُمْ يَهُودُ عَلَيْكُمْ خَاصَّةً أَلاَّ تَعْدُوا فِي السَّبْتِ»[1]، ولهذا لا يُكره امرأته على إفساده، مع تأكُّدِ حقِّهِ.

والقصَّةُ في السبت أنهم كانوا في زمانِ داودَ ـ عليه السلام ـ بأرضٍ يُقال لها: أيلة، حَرَّمَ اللهُ عليهم صيدَ السمكِ يومَ السبت، فكانوا إذا دخلَ عليهم السبتُ، لم يبقَ حوتٌ في البحرِ إلا اجتمعَ هناك، حتى يُخرجْنَ خراطيمهنَّ من الماء؛ لأمنِها، حتى لا يُرى الماءُ من كثرتها، فإذا مضى السبتُ، تَفَرَّقْنَ، ولَزِمْنَ مقلَ البحر، فلا يُرى شيءٌ منها، فذلك قولُه تعالى: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾[2] [الأعراف: ١٦٣]، ثمَّ إنَّ الشيطانَ وسوسَ إليهم، وقال: إنما نُهيتُم عن أخذِها يومَ السبتِ، فعمَدَ رجالٌ فحفروا الحِياضَ حولَ البحرِ، وشَرَّعوا منه إليها الأنهارَ، فإذا كانت عشيةُ الجمعة، فتحوا تلكَ الأنهارَ، فأقبلَ الموجُ بالحيتانِ إلى الحِياض يومَ السبت، فلا يقدرونَ على الخروجِ، لبعدِ عمقِها، وقلَّةِ مائها، فإذا كانَ يومُ الأحد، أخذوها، ففعلوا ذلك زماناً، ولم تنزلْ عليهم عقوبة، فتجرؤوا على الذنب، وقالوا: ما نرى السبتَ إلا قد حلَّ لنا، فأخذوا وأكلوا، ومَلَّحوا وباعوا، وأَثْرَوا، وكَثُرَ مالُهم، فلما فعلوا ذلك، صارَ أهلُ القرية ـ وكانوا نحواً من سبعينَ ألفاً ـ ثلاثةَ أصنافٍ: صنفٌ أمسكَ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٣٩)، والنسائي (٤٠٧٨)، كتاب: تحريم الدم، باب: السحر، والترمذي (٣١٤٤)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة بني إسرائيل، وقال: حسن صحيح، وغيرهم، عن صفوان بن عسَّال ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٣٢)، عن السدي.

ونهى، وصنفٌ أمسكَ ولم يَنْهَ، وصنفٌ انتهكَ الحرمةَ، فلما أبى المجرمون قَبولَ نُصْحِهم، قالوا: واللهِ لا نُساكِنُكُم في قرية واحدة، فقسموا القريةَ بجدار، واستمروا كذلك سنينَ، فلعنَهُمْ داودُ، وغضبَ الله عليهم؛ لإصرارهم على المعصية، فخرج الناهون ذاتَ يوم من بابهم، ولم يخرجْ من المجرمين أحدٌ، ولم يفتحوا بابَهم، فلما أبطؤوا، تَسَوَّروا عليهمُ الحائطَ، فإذا هم جميعاً قِرَدَةٌ لها أذنابٌ يَتعاوَوْنَ، فمكثوا ثلاثةَ أيام، ثم هلكوا، ولم يتوالدوا[1]، قال الله تعالى:

﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟﴾ أمرُ تحويل وتكوين؛ أي: صيروا.

﴿قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ مبعَدين مطرودين، والخسَاءُ: الطردُ والإبعاد. قرأ الكسائيُّ (قِرَدَهْ) بإمالة الدال حيثُ وقفَ على هاء التأنيث.

***

﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

[٦٦] ﴿فَجَعَلْنَٰهَا﴾ أي: عقوبتهم بالمسخ.

﴿نَكَٰلًا﴾ أي: عقوبةً وعبرةً[2]، والنَّكالُ: اسمٌ لكلِّ عقوبةٍ يَنْكُلُ الناظرُ من فعل ما جُعلت العقوبةُ جزاءً عليه، ومنهُ النُّكولُ عن اليمين، وهو الامتناعُ، وأصلُه من النِّكْل، وهو القيدُ، وجمعه أَنْكال.

﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ أي: جعلنا تلك العقوبةَ جزاءً لما تقدَّم من ذنوبهم قبلَ نهيهم عن أخذِ الصيد.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٣٢).

(٢) «وعبرة» سقطت من «ت».

﴿ وَمَا خَلْفَهَا﴾ وما حضرت من الذنوب التي أُخِذوا بها، وهي العصيانُ بأخذ الحيتان.

﴿ وَمَوْعِظَةً﴾ أي: تذكرة.

﴿ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ للمؤمنين من أُمَّةِ محمدٍ ﷺ، فلا يفعلون مثلَ فعلِهم.

ويأتي ذكرُ أيلة ومحلِّها في سورة الأعراف عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ﴾ [الأعراف: ١٦٣] إن شاء الله تعالى.

واختلف الأئمةُ في جوازِ الحيلة، وهو فعلُ ما ظاهرُه مُباحٌ ويُتوصَّلُ به إلى محرَّمٍ، فَسَدَّ الذرائعَ مالكٌ وأحمدُ، ومنعا منه، وأباحه أبو حنيفةَ والشافعيُّ.

والحيلةُ: اسمٌ من الاحتيال، وهي التي تحوِّلُ المرءَ عمَّا يكره إلى ما يُحِبُّ.

***

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

[٦٧] ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾ قرأ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ، وورشٌ: (يَامُرُكُمْ) بغير همز، والباقون بالهمز، واختُلِف عن أبي عمرٍو في اختلاس ضمَّةِ الراءِ وإسكانِها من (يَأْمُرُكُمْ، ويَأْمُرُهُمْ، ويَنْصُرُكُمْ، ويُشْعِرُكُمْ) حيثُ وقع ذلك، فقرأ الدوريُّ عنه بالاختلاس، وقرأ السوسيُّ بالإسكان، وقرأ الباقون بإشباع

الحركة[1]، والهاء في (بقرة) ليست للتأنيث، وإنما هي لتدلَّ على أنها واحدةٌ من جنسٍ؛ كالبطة، والدجاجة، ونحوهما، وهي مأخوذة من البَقْرِ، وهو الشَّقُّ، سميت به؛ لأنها تشقُّ الأرض للحراثة.

والقصة فيه أنه كان في بني إسرائيل رجلٌ غني، وله ابنُ عمٍّ فقيرٌ لا وارثَ له سواه، فلما طال عليه موتُه قتلَه ليرثَه، وحملَه إلى قريةٍ أخرى، فألقاه بِفِنائهم، ثم أصبحَ يطلبُ ثأرَهُ، وجاء بناسٍ إلى موسى يدَّعي عليهِمُ القتلَ، فسألهم موسى، فجحدوا، فاشتبهَ أمرُ القتيل على موسى، وذلك قبلَ نزول القَسامَةِ في التوراة، فسألوا موسى أن يدعو الله؛ ليبيِّنَ لهم بدعائه، فدعا موسى ـ عليه السلام ـ فأمرهم بذبح بقرة، فقال لهم موسى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾.

﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ﴾ أي: تستهزىء بنا، نحن نسألك عن أمر القتيل، وتأمرُنا بذبح البقرة، وإنما قالوا ذلك؛ لبعدِ ما بينَ الأمرين في الظاهر، ولم يدروا ما الحكمةُ فيه. قرأ حمزةُ، وخلفٌ: (هُزْؤاً) بجزم الزاي، وقرأ الباقون بضم الزاي، وحفصٌ بإبدال الهمزة واواً[2].

---

(1) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٨٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١١٨)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/ ٢٥)، و«البحر المحيط» لأبي حيَّان (١/ ٢٤٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٦٧ـ٦٨).

(2) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٨٤)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٧ـ١٥٨)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨١ـ٨٢)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١١٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٤٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٤)، =

﴿قَالَ﴾ موسى:

﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ﴾ أمتنع بالله.

﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ المستهزئين؛ لأن الهزء من أفعال الجاهلين، فلما علمَ القومُ أن ذبحَ البقرة عزمٌ من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ استوصفوه، ولو أنهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها، لأجزأَتْ عنهم، ولكنهم شدَّدوا، فشدَّد اللهُ عليهم، وكانت تحته حكمةٌ، وذلك أنه كان في بني إسرائيل رجلٌ صالحٌ له ابنٌ طفلٌ، وله عِجْلَةٌ أتى بها إلى غَيْضَة، وقال: اللهمَّ أَستودعُكَ هذه العجْلَة لابني حتى يكبرَ، وماتَ الرجلُ، وصارت العجلةُ في الغيضة عَواناً، وكانت تهربُ من كلِّ من رآها، فلما كبر الابنُ كان باراً بوالدته، وكان يقسِّمُ الليلَ ثلاثةَ أثلاثٍ، يصلِّي ثلثاً، وينام ثلثاً، ويجلس عندَ رأسِ أمه ثلثاً، فإذا أصبحَ انطلقَ فاحتطبَ على ظهره، فيأتي به إلى السوق، فيبيعه بما شاء الله، ثم يتصدق بثلثه، ويأكل بثلثه، ويعطي لوالدته ثلثه، فقالت له أمه يوماً: إن أباك ورَّثَكَ عجلةً استودَعَها الله في غَيْضَةِ كذا، فانطلقْ فادعُ إلَهَ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحقَ أن يردَّها عليكَ، وعلامتُها أنك إذا نظرتَ إليها، يخيَّلُ إليكَ أنَّ شعاعَ الشمسِ يخرجُ من جلدها، وكانت البقرةُ تسمَّى المذهبةَ؛ لحسنِها وصفرتها، فأتى الفتى الغيضةَ، فرآها ترعى، فصاح بها، وقال: أعزمُ عليكِ بإلهِ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحقَ ويعقوبَ، فأقبلَتْ تسعى حتى وقفَتْ بينَ يديه، فقبضَ على عنقها يقودُها، فتكلمت البقرةُ بإذنِ اللهِ تعالى، فقالتْ: أيها الفتى البارُّ بوالدتِه! اركبني؛ فإن ذلكَ أهونُ عليكَ، فقال

= و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٦٨).

الفتى: إن أمي لم تأمرني بذلك، ولكن قالتْ: خُذْ بعنقها، فقالت البقرةُ: وإله بني إسرائيلَ لو ركبتَني ما كنتَ تقدرُ عليَّ أبداً، فانطلقْ؛ فإنَّكَ لو أمرتَ الجبلَ أن ينقلعَ من أصلِه وينطلقَ معك، لفعلَ؛ ببرك بأمك، فسار الفتى بها إلى أمه، فقالت له: إنك فقير، ولا مالَ لك، ويشقُّ عليكَ الاحتطابُ بالنهارِ والقيامُ بالليل، فانطلقْ فبعْ هذه البقرةَ، قال[1]: بكمْ أبيعُها؟ قالتْ بثلاثةِ دنانيرَ، ولا تبعْ بغيرِ مَشُورتي، وكان ثمنُ البقرةِ ثلاثةَ دنانير، فانطلق بها إلى السوق، فبعث الله مَلَكاً ليُرِيَ خلقَهُ قدرتَهُ، وليختبرَ الفتى كيفَ بِرُّهُ بوالدته، وكان الله به خبيراً، فقال له الملَكُ: بكمْ تبيعُ هذهِ البقرةَ؟ قال: بثلاثةِ دنانيرَ، وأشترطُ عليكَ رضا والدتي، فقال الملَكُ له: ستةُ دنانيرَ ولا تستأمرْ والدتَكَ، فقال الفتى: لو أعطيتَني وزنَها ذهباً، لم آخذْه إلا برضا أُمِّي، فردَّها إلى أمه، فأخبرها بالثمن، فقالت: ارجعْ فبعْها بستةِ دنانيرَ على رضاً مني، فانطلقَ بها الفتى إلى السوق، فأتى الملَكُ فقال: استأمَرْتَ أُمَّك؟ فقال الفتى: إنها أمرتني ألاَّ أنقُصَها من ستةِ دنانيرَ، على أن أستأمرَها، فقال الملكُ: فإني[2] أُعطيك اثني عشرَ ديناراً على ألاَّ تستأمرَها، فأبى الفتى، ورجعَ إلى أمه، فأخبرها بذلك، فقالت: إنَّ الذي يأتيك ملَكٌ يأتيكَ في صورةِ آدمي ليجرِّبَكَ، فإذا أتاك، فقل له: أتأمرُنا أن نبيعَ هذهِ البقرة أم لا؟ ففعل، فقال له الملكُ: اذهبْ إلى أمك، وقل لها: أمسكي هذه البقرة؛ فإنِ موسى بنَ عمران يشتريها منكُم لقتيلٍ يُقتل في بني إسرائيلَ، فلا تبيعوها إلا بملءِ مَسْكِها دنانيرَ، فأمسكوها، وقدَّر الله على

(١) في «ت»: «فقال».
(٢) في «ت»: «إني».

بني إسرائيل ذبحَ تلكَ البقرة بعينِها، فما زالوا يستوصفون حتى وصفَ لهم تلكَ البقرةَ مكافأةً له على بِرِّهِ بوالدته، فضلاً منه ورحمةً[1]، فذلك قوله تعالى:

* * *

﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾.

[٦٨] ﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ ﴾ أي: ما شيَتُها؟ فسأل اللهَ تعالى.

﴿ قَالَ ﴾ موسى.

﴿ إِنَّهُۥ ﴾ يعني: إن الله.

﴿ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ﴾ أي: لا كبيرة ولا صغيرة، والفارضُ: المُسِنَّةُ التي لا تلدُ، والبكرُ: الفتاةُ الصغيرةُ التي لم تلدْ قَطُّ، وحُذفت الهاءُ منهما للاختصاصِ بالإناث؛ كالحائض.

﴿ عَوَانٌۢ ﴾ نَصَفٌ.

﴿ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: بين الشيئين، يقال: عَوَّنَتِ المرأة تَعْويناً: إذا زادتْ على الثلاثين.

﴿ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴾ من ذبح البقرة، ولا تكرروا السؤال. قرأ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ، وورشٌ: (تُومَرُونَ) بسكون الواو بغير همز، والباقون بالهمزة[2].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٨٢ ـ ٨٣).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٦٩).

﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

[٦٩] ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا ﴾ أي: خالصُ الصُّفرة، يقال: أصفرُ فاقعٌ، وأسودُ حالِكٌ، وأحمرُ قانٍ، وأخضرُ ناضِرٌ، وأبيضُ ناصعٌ؛ للمبالغة.

﴿ تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ إليها، ويُعجبهم حسنُها وصفاءُ لونها.

***

﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

[٧٠] ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ﴾ أسائمةٌ أم عاملة؟

﴿ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ﴾ ولم يقل: تشابهتْ؛ لتذكير لفظِ البقر؛ أي: التبسَ واشتبهَ أمرُه علينا، فلا نهتدي إليه.

﴿ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ إلى وصفها، قال رسول الله ﷺ: «وايْمُ اللهِ! لَوْ لَمْ يَسْتَثْنُوا، لَمَا بُيِّنَتْ لَهُمْ إِلَى آخِرِ الأَبَدِ»(١). قرأ حمزةُ، وخلفٌ، وابنُ ذكوانَ: (إِنْ شَاءَ الله) بالإمالةِ(٢).

***

﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٤٧)، عن ابن جريج معضلاً.

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧١).

[٧١] ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ ﴾ مذلَّلَةٌ بالعمل، يقال: رجلٌ ذليل بَيِّنُ الذُّلِّ، ودابَّةٌ ذَلولٌ: بينةُ الذلِّ.

﴿ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ ﴾ تقلبها للزراعة.

﴿ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ ﴾ بالسَّانِيَةِ أو غيرِها من الآلات، والحَرْثُ: ما حُرِثَ وزُرِعَ؛ أي: تحرثُ ولا تَسْقي، وقيل: معناه: لم تُذَلَّلْ للكرابِ وإثارةِ الأرضِ، ولا هي من النواضحِ التي يُسْنَى عليها لسقي الحرثِ، و(لا) الأولى للنفي، والثانية مزيدةٌ لتأكيد الأولى، والفعلانِ صفتان لذلول، كأنه قيل: لا ذلولٌ مثيرةٌ وساقيةٌ.

﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾ بَرِيَّةٌ من العيوب.

﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَا ﴾ لا لمعةَ فيها تخالفُ لونَها. قرأ حمزةُ: (لا شِيَةَ) بالمدِّ بحيثُ لا يبلغُ الإشباع[(١)]، والكسائيُّ يُميل الياءَ حيثُ وقفَ على هاء التانيث.

﴿ قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ﴾ أي: بالبيان التام الشافي الذي لا إشكالَ فيه، فطلبوها فلم يجدوها بكمال وصفها إلا مع الفتى، وكان اسمه ميشا، فاشتروها بملء مَسْكِها ذهباً. قرأ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ: (جِيتَ) بياء ساكنة بغير همز، والباقون بالهمز[(٢)].

﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ من غلاء ثمنها، واضطرابِهم فيها، و(كادَ) من أفعالِ المقاربة.

---

(١) انظر: تفسير الآية (٢) من سورة البقرة.

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧٢)، وقد ذكراها من قراءة السوسي.

﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّٰرَءْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾.

[٧٢] ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا ﴾ هذا أولُ القصة، وإن كانت مؤخرةً في التلاوة، واسمُ القتيل عاميل.

﴿ فَادَّٰرَءْتُمْ فِيهَا ﴾ أصلُه تدارأتم، فأُدغمت التاء في الدال، وأُدخلت الألف، مثل قوله: ﴿ اثَّاقَلْتُمْ ﴾ [التوبة: ٣٨]. قرأ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ بغير همزٍ، والباقون بالهمز، ومعناه: اختلفتم فيها[(١)].

﴿ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ ﴾ أي: مظهر.

﴿ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ فإن القاتلَ كان يكتم القتل.

* * *

﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾.

[٧٣] ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ ﴾ يعني: القتيلَ.

﴿ بِبَعْضِهَا ۚ ﴾ أي: ببعضِ البقرة، وذلكَ البعضُ هو العظمُ الذي يلي الغضروفَ، وهو المقتل في قول ابن عباس، وأكثرِ المفسرين، وقيل: بذنبها، ففعلوا ذلك، فقام القتيلُ حياً بإذن الله تعالى، وأوداجُهُ تَشْخَبُ دماً، وقال: قتلني فلان، ثم سقط ومات مكانَه، فَحُرم قاتلُه الميراث وقتله موسى قصاصاً[(٢)]، ثم أمرهم موسى بسلخ البقرةِ، فلما سلَخوها، ملؤوا

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧٢).

(٢) «وقتله موسىٰ قصاصاً» سقط من «ظ».

جلدَها ذهباً، وأعطاهُ موسى لميشا، وفي الخبر «ما وَرِثَ قاتلٌ بَعْدَ صَاحِبِ الْبَقَرَةِ»(١)، وفيه إضمارٌ تقديره: فَضُرِبَ، فَحَيِيَ.

﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ كما أحيا عاميل.

﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ المراد منكم، فتمنعون نفوسَكم عن هواها.

أما حكمُ هذه المسألة في الإسلام إذا وُجد قتيلٌ في موضعٍ لا يُعرف قاتلُه، فإن كانَ ثمَّ لَوْثٌ على إنسان، وهو العداوةُ الظاهرةُ كما بينَ القبائل، أو ما يغلبُ على القلبِ صدقُ المدَّعي؛ بأن اجتمعَ جماعةٌ في بيتٍ أو صحراءَ فتفرقوا عن قتيل يغلبُ على القلب أن القاتلَ فيهم، أو وُجد قتيلٌ في محلَّةٍ أو قريةٍ كلُّهم أعداءُ القتيل، لا يخالطُهم غيرُهم، فيغلبُ على القلب أنهم قتلوه، فادَّعى الوليُّ على بعضِهم، فعندَ مالكٍ والشافعيِّ وأحمدَ: يحلفُ المدَّعي خمسين يميناً، وإن كانَ الأولياءُ جماعةً، فتقسَمُ الأيمان بينَهم بالحساب، ثم بعد حلفِهم يأخذونَ الديةَ من عاقلةِ المدَّعَى عليه إنِ ادَّعوا قتلَ خطأ، وإن ادَّعَوا قتلَ عمد، فمن مالِ المدَّعى عليه، ولا قودَ على الجديدِ من قولي الشافعي.

وقال مالكٌ وأحمدُ بوجوبِ القَوَد.

ومن اللوثِ عندَ مالكٍ قولُ المجروحِ الحرِّ البالغِ المسلمِ: دمي عندَ

---

(١) روى عبد الرزاق في «المصنف» (١٧٧٩٤)، عن عبيدة قال: أول ما قضي أن لا يرث القاتل في صاحب بني إسرائيل. وروى ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٩١٥)، عن ابن سيرين قال: أول ما منع القاتل الميراث؛ لمكان صاحب البقرة.

فلانٍ عمداً، واستدلَّ بهذه النازلة في قصة البقرة على تجويز قولِ القتيلِ، وأن تقع مع القَسامة، وإن لم يكنْ على المدَّعى عليه لوثٌ، فالقولُ قولُه مع يمينهِ، ويُحلَّف يميناً واحدة عند مالك، ولم يُحلَّفْ عندَ أحمدَ على المذهبِ المشهور عنه، وعنه رواية ثانية: يحلفُ يميناً واحدةً، وهو أظهرُ، واختاره جماعةٌ من أصحابه، والأظهرُ من مذهبِ الشافعيِّ تغليظُ اليمينِ بالعَدَد؛ لأنه يمينُ دمٍ، فيحلف خمسينَ يميناً، وعندَ أبي حنيفةَ لا حكْمَ للَّوْثِ، ولا يبدأُ بيمين المدعي، بل إذا وُجد قتيلٌ في محلة، يختارُ الوليُّ خمسين رجلاً من صُلَحائهم، فيحلِّفهم أنهم ما قتلوه، ولا عرفوا له قاتلاً، ثم يأخذ الديةَ من سكانها، وإن ادَّعى على غيرهم، ولا بينةَ، لزم المدَّعى عليه يميناً واحدة كسائر الدعاوى، وتسقطُ القسامَةُ عن أهل المحلة.

***

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾.

[٧٤] ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ يبست وجفَّت، وجفافُ القلب: خروجُ الرحمةِ واللينِ عنه.

﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ من بعد ظهور الدلالات، وما تقدَّمَ من أمر القتيل، وهي عبارةٌ عن خُلُوِّها من الإنابة والإذعان لآياتِ الله تعالى.

﴿فَهِىَ﴾ في الغلظة والشدة.

﴿كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ﴾ بل.

﴿أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ وإنما لم يشبهها بالحديد، مع أنه أصلب من الحجارة؛

لأن الحديد قابل للّين؛ فإنه يلينُ بالنار، وقد لان لداودَ ـ عليه السلام ـ، والحجارةُ لا تلينَ قطُّ، ثم فَضَّلَ الحجارةَ على القلب القاسي فقالَ:

﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ قيل: أراد به جميعَ الحجارةِ وقيل: أرادَ به الحجرَ الذي كان يضربُ عليه موسى للأسباط.

﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ﴾ أراد به عيوناً دون الأنهار.

﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ ﴾ ينزل من أعلى الجبل إلى أسفله.

﴿ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ وقلوبُكم لا تَلينُ ولا تخشعُ يا معشر اليهود، فإن قيل: الحجرُ جمادٌ لا يفهم، فكيف يخشى؟ قيل: اللهُ يُفهمها ويُلهمها فتخشى بإلهامه، ومذهبُ أهلِ السنةِ أن لله علماً في الجمادات وسائرِ الحيوانات سوى العقلاء، لا يقف عليه غيرُه، فلها صلاةٌ وتسبيحٌ وخشيةٌ، قال الله: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وقال: ﴿ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ﴾ [النور: ٤١]، وقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾ الآية [الحج: ١٨]، فيجبُ على المرء الإيمانُ به، ويَكِلُ العلمَ إلى الله عزَّ وجلَّ.

﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ وعيدٌ وتهديدٌ. قرأ ابنُ كثيرٍ: (يَعْلَمُونَ) بالغيب.

والباقون بالخطاب مناسباً بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم ﴾(١).

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٠)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٤٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٧)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٧٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: =

﴿ ۞أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

[٧٥] ﴿ ۞أَفَتَطْمَعُونَ ﴾ أفترجون؟ يريد: محمداً ﷺ وأصحابه، وأصلُ الطمعِ: نزوعُ النفسِ إلى شيءٍ ما شهوةً.

﴿ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ ﴾ يصدقكم اليهودُ بما تخبرونهم به. قرأ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ، وورشٌ: (يُومِنُوا) بغير همز، والباقون بالهمز[١].

﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ أي: طائفة من اليهود.

﴿ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ يعني: التوراة.

﴿ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ ﴾ يغيِّرون ما فيها من الأحكام.

﴿ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ﴾ علموه؛ كما غيروا صفةَ محمدٍ ﷺ وآيةَ الرَّجم.

﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أنهم كاذبون، ثم أخبرَ عن صنعهم فقال:

* * *

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾.

[٧٦] ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ يعني: منافقي اليهود الذين آمنوا بألسنتهم، إذا لَقُوا المؤمنين المخلِصين.

= ١٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧٥).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٧٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٨).

﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ كإيمانكم.

﴿ وَإِذَا خَلَا﴾ رجع.

﴿ بَعْضُهُمْ﴾ الذين لم ينافقوا.

﴿ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ الذين نافقوا، وهم رؤوساء اليهود، لاموهُم على ذلك.

و﴿ قَالُوٓاْ﴾ منكرين عليهم:

﴿ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ بما قضى الله عليكم في كتابكم، وأعطاكم من العلم أن محمداً حقٌّ، وقولَه صدقٌ؟!، ويقال للقاضي: الفتَّاح، وأصلُ الفتح: إزالةُ الإغلاق.

﴿ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ﴾ ليخاصموكم، يعني: أصحابَ محمد ﷺ، ويحتجوا بقولكم عليكم، فيقولون: قد أقررتُم بأنه نبيٌّ حقٌّ في كتابكم، ثم لا تتبعونه، وذلك أنهم قالوا لأهل المدينة حينَ شاوروهم في اتباع محمد ﷺ: آمنوا به؛ فإنه حق، ثم قال بعضُهم لبعض: أتحدثونهم بما فتحَ الله عليكُم ليحاجُّوكم به لتكونَ لهم الحجةُ عليكم[1].

﴿ عِندَ رَبِّكُمْۚ﴾ في الدنيا والآخرة.

﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أنهم إذا علموا ذلك احتجوا به عليكم؟! ثم استفهَمَ فقال:

* * *

﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٧٧﴾.

---

(١) في «ت»: «لهم الحجة عليهم»، وفي «ن»: «لهم حجة عليكم».

[٧٧] ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ يخفون.

﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يبدون، يعني: اليهود. قرأ أبو عمرٍو: (يعلم ما) بإدغام الميم في الميم[1].

* * *

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾.

[٧٨] ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ أي: من اليهود لا يحسنون القراءة ولا الكتابة، جمع أمّي، منسوبٌ إلى الأم، كأنه باقٍ على ما انفصلَ من الأم، لم يتعلم قراءة ولا كتابة.

﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ وهي جمعُ الأُمْنِيَّة، وهي التلاوةُ حفظاً من غير معرفةِ معناه. قرأ أبو جعفرٍ: (أَمَانِي) بتخفيف الياء كلَّ القرآن، حذفَ إحدى الياءين استخفافاً، والباقون بالتشديد[2]، والمراد بها الأشياءُ التي كتبها علماؤهم من عندِ أنفسهم، ثم أضافوها إلى الله ـ عز وجل ـ من تغيير نعت النبي ﷺ وغيرِه.

﴿وَإِنْ هُمْ﴾ أي: وما هم.

﴿إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ظناً وتوهماً لا يقيناً.

---

(١) انظر: تفسير الآية (٤) من سورة الفاتحة.

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٩٠)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٢٦٤)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٩٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧٦).

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾.

[٧٩] ﴿فَوَيْلٌ﴾ هي كلمة يقولها كلُّ واقع في هَلَكَةٍ بمعنى الدعاء على النفس بالعذاب.

﴿ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: المحرَّف.

﴿ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ ﴾ وذلك أن أحبار اليهود خافوا ذهابَ مَأْكُلَتِهم، وزوالَ رياستِهم حينَ قدمَ النبيُّ ﷺ المدينةَ، فاحتالوا في تعويقِ اليهود عن الإيمان به، فعمدوا إلى صفته في التوراة، وكان صفتُه فيها: حسن الوجه، حسن الشعر، أكحلَ العينين، رَبَعَةً فغيروها، وكتبوا مكانها: طوالَ أزرقَ سَبْطَ الشَّعرِ، فإذا سألهم سفْلَتُهُم عن صفتِه، قرؤوا ما كتبوا، فيجدونه مخالفاً لصفته، فيكذبونه(١)، قال الله تعالى:

﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ يعني: كتبوا بأنفسهم اختراعاً من تغيير نعته ﷺ.

﴿ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ من المآكل. قرأ أبو عمرٍو، ورُويسٌ عن يعقوبَ: (الْكِتَاب بِّأَيْدِيهِمْ) بإدغام الباء الأولى في الثانية(٢).

---

(١) انظر: «تفسيرأبي السعود» (١/ ١٢٠).
(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧٦).

﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾.

[٨٠] ﴿ وَقَالُواْ ﴾ يعني: اليهود:

﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ ﴾ لن تصيبنا النار.

﴿ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً ﴾ قدراً مقدَّراً، ثم يزولُ عنا العذابُ، يعنون: أربعين يوماً التي عبد آباؤهم فيها العجلَ، وقيلَ غيرُ ذلك، فقال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ تكذيباً لهم:

﴿ قُلۡ ﴾ يا محمد:

﴿ أَتَّخَذۡتُمۡ ﴾ ألفُ استفهامٍ دخلت على ألفِ الوصل، أصلُه اِتخذتم، وزنُه افتعلتُم من الأخذ، سُهِّلَتِ الهمزةُ الثانية؛ لامتناع جمع همزتين، فاضطربت الياء في التصريف، جاءت ألفاً في ياء تخذ، فبُدلت بحرف التاء، وأدغمت، فلما دخلت ألف التقرير، استُغْني عن ألف الوصل.

﴿ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا ﴾ أي: موثقاً ألاَّ يعذِّبكم إلا هذه المدَّةَ.

﴿ فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ ﴾ أي: وعده.

﴿ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ تلخيصُه: إن كان لكم عندَهُ عهدٌ فلا يُنْقَضُ، ولكنكم تتخرَّصون، ولما قالوا: لن تمسَّنا النارُ، ردَّ ذلكَ عليهم، فقال:

* * *

﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾.

[٨١] ﴿بَلَىٰ﴾ وبلى وبل حرفا استدراك، ومعناهما نفيُ الخبر الماضي، وإثباتُ الخبر المستقبَل. **قرأ** حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ (بَلَى) بالإمالة[١].

﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ يعني: الشركَ.

﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ أي: استولت عليه، والإحاطةُ: الإحداقُ بالشيء من جميع نواحيه، وهي الشركُ يموتُ عليه. **قرأ** نافعٌ، وأبو جعفرٍ (خَطِيئاتُهُ) على الجمع، والباقون على الإفراد[٢]، وعن أبي جعفرٍ وجهٌ ثانٍ: (خَطِيَّاتُهُ) بتشديد الياء بغير همز[٣].

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ **قرأ** أبو عمرٍو، وحمزةَ، والكسائي: (النَّارِ) بالإمالة حيث وقَع مجروراً[٤]. ثم بشر المؤمنين بالجنة فقال:

***

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧٧).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٢)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٤٩)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧٧).

(٣) وذكرها الدمياطي في «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٠)، عن حمزة، وانظر: «معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧٨).

(٤) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧٨).

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

[٨٢] ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ دائمون.

* * *

﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

[٨٣] ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ في التوراةِ، إخبارٌ في معنى النهي، والميثاقُ: العهدُ الشديدُ.

﴿ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: (لا يَعْبُدُونَ) بالغيب، والباقون بالخطاب[1]؛ لقوله: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾ معناه: ألا تعبدوا، فلما حذف (أن)، صار الفعلُ مرفوعاً.

﴿ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ ﴾ أي: ووصيناهم بالوالدين.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٢)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٤٩ـ٢٥٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧٨).

﴿ إِحْسَٰنًا ﴾ بِرّاً بهما، وعطفاً عليهما، ونزولاً عندَ أمرِهما فيما لا يُخالفُ أمرَ الله تعالى.

﴿ وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ أي: وبذي القربى، والقربى مصدرٌ كالحسنى. قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (القُرْبَى) بالإمالة.

﴿ وَٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾ جمع يتيم، وهو الطفل الذي لا أبَ له، وأصلُ اليتمِ: الانفرادُ. قرأ الدوريُّ عن الكسائي: (وَالْيَتَامَى) بالإمالة[1].

﴿ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ يعني: الفقراء.

﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ صِدْقاً وحَقّاً في شأنِ محمدٍ ﷺ، فمن سألكم عنه، فاصدُقوه، وبيِّنوا له صفتَهُ، ولا تكتُموا أمرَه. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، ويعقوبُ: (حَسَناً) بفتح الحاء والسين[2]؛ أي: قولاً حسناً.

﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ أعرضتم عن العهد والميثاق.

﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ ﴾ وذلك أن قوماً منهم آمنوا.

﴿ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ كإعراضِ آبائِكم.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧٩).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٩٢)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٢)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٥٠ و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨٠).

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ .

[٨٤] ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ ﴾ على نحو ما سبقَ من الإخبار في معنى النهي .

﴿ لَا تَسْفِكُونَ ﴾ لا تريقون .

﴿ دِمَآءَكُمْ ﴾ أي : لا يسفكْ بعضُكم دمَ بعض .

﴿ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ﴾ أي : لا يخرج بعضُكم بعضاً من داره .

﴿ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ ﴾ بهذا العهد أنه حقٌّ ، وقبلتم .

﴿ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ اليوم على ذلك يا معشرَ اليهود ، وتعترفون بالقبول .

* * *

﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

[٨٥] ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ يعني : يا هؤلاءِ اليهود! وهؤلاءِ للتنبيه .

﴿ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾ أي : بعضُكم بعضاً .

﴿ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ ﴾ قرأ أبو عمرٍو ، والكسائيُّ (دِيَارِهِمْ)

بالإمالة، واختلف عن ابنِ ذكوان، ورُوي عن ورشٍ الإمالةُ بينَ بينَ، وكذلك رُوي عن حمزةَ، **وقرأ** الباقون بالفتح[1].

﴿ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم ﴾ بتشديد الظاء؛ أي: تتظاهرون، أدغمتِ التاءُ في الظاء. **وقرأ** عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (تَظَاهَرُونَ) بتخفيف الظاء[2]، ومعناهما: تتعاونون، والظهيرُ: العون.

﴿ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ ﴾ بالمعصية والظلم.

﴿ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ ﴾ **قرأ** أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ، وورشٌ: (يَاتُوكُمْ) بغير همز، والباقونَ بالهمز[3]، **وقرأ** حمزةُ: (أَسْرَى) بفتح الألف الأولى وسكون السين وإسقاط الألف بعدَها، وهما جمع أَسير، ومعناهما واحد.

﴿ تُفَٰدُوهُمۡ ﴾ بالمال، وتنقذوهم. **قرأ** نافعٌ، وأبو جعفرٌ، وعاصمٌ، والكسائيُّ، ويعقوبُ: (تُفَادُوهُمْ) بضم التاء وألفٍ بعد الفاء[4]؛ أي:

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨١) وقد ذكرها عن أبي عمرو وورش.

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٦٤)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٢٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٤)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٥٠-٢٥١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨١).

(٣) ذكر الصفاقسي في «الغيث» (ص: ١٢٢) قراءة ورش وهي (ياتوكمو)، بإبدال الهمزة، وضم الميم مع مدها، وانظر: «معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨٢).

(٤) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٤)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٥١-٢٥٢)، =

تبادلونهم[1]، أرادَ: مفاداةَ الأسيرِ بالأسيرِ، وأصلُ الفِداءِ: حفظُ الشيءِ بما تبذلُه[2] عنهُ صيانةً له، ومعنى الآية: إن الله تعالى أخذَ على بني إسرائيل في التوراة ألاَّ يقتلَ بعضُهم بعضاً، ولا يخرجَ بعضُهم بعضاً من ديارِهم، وأيُّما عبدٍ أو أمةٍ وجدتموهُ من بني إسرائيلَ، فاشتروهُ بما قامَ من ثمنه، وأَعتقوهُ، وكانتْ قريظةُ حلفاءَ الأوسِ، والنضيرُ حلفاءَ الخزرجِ، وكانوا يقتتلون في حرب سُمَير[3]، فإذا اقتتلا، عاونَ كلُّ فريق حلفاءه في القتلِ وتخريبِ الديار وإجلاءِ أهلها، وإذا أُسر رجلٌ من الفريقين، جمعوا له حتى يَفْدوه، وإن كانَ الأسيرُ من عدوِّهم، فتعيِّرُهم العربُ، وتقول: كيفَ تُقاتلونهم وتَفْدونهم؟ قالوا: إنا أُمرنا أن نَفْديَهم، فيقولون: لمَ تقاتلونهم؟ قالوا: إنا نستحيي أنْ يُسْتَذَلَّ حلفاؤنا، فعيَّرَهم الله تعالى، فقال: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾[4].

وفي الآية تقديمٌ وتأخيرٌ، ونظمُها: وتُخرجون فريقاً منكم من ديارهم تَظاهرون عليهم بالإثم والعدوان، وهو محرَّم عليكم إخراجهم، وإن يأتوكم أُسارى تَفْدوهم، فكأنَّ الله أخذَ عليهم أربعةَ عهودٍ: تركَ القتل،

= و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨٢_٨٣).

(١) في «ت» و«ظ»: «تباذلونهم».
(٢) في «ن»: «يبدله».
(٣) في «ن»: «سَمير».
(٤) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٣٩٧)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ١٦٣).

وتركَ الإخراج، وتركَ المظاهرة عليهم مع أعدائهم، وفداءَ أُسرائهم، فأعرضوا عن الكُلِّ إلا الفداءَ، قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ:

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: بالفداء؛ لأنه من جملة ما أُخذ في الميثاق.

﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ بالقتل والإخراج. قرأ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ، وورشٌ: (أَفَتُومِنُونَ) بغير همز، والباقون بالهمز، قال مجاهد: يقول: إن وجدْتَه في يدِ غيرِك، فديتَهُ، وأنت تقتلُه بيدِك.

﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ﴾ يا معشر اليهود.

﴿إِلَّا خِزْيٌ﴾ عذاب وهوان.

﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وكان خزيُ قريظة القتلَ والسبيَ، وخزيُ بني النضير الجلاءَ والنفيَ عن منازلهم إلى أَذرعات وأَريحا من الشام.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ وهو عذاب النار.

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، ويعقوبُ، وخلفٌ، وأبو بكرٍ: (يَعْمَلُونَ) بالغيب، والباقون بالخطاب(١).

ثم أخبرهم متهدداً أن عذابَي الدنيا والآخرة لا يُفَتَّرُ عنهم ولا مانع لهم منه بقوله:

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٥٢_٢٥٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨٤).

﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾.

[٨٦] ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ﴾ استبدلوا.

﴿ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ﴾ أي: يُهوَّنُ عليهم.

﴿ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ أي: يُمنعون من عذاب الله عزَّ وجلَّ.

* * *

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

[٨٧] ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا ﴾ أعطينا.

﴿ مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ التوراة جملة واحدة.

﴿ وَقَفَّيْنَا ﴾ أتبعنا.

﴿ مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ﴾ رسولاً بعدَ رسول.

﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ عيسى: اسمٌ عبرانيٌّ أو(١) سريانيٌّ، والبيناتُ: الدَّلالاتُ الواضِحاتُ، وهي ما ذكر الله تعالى في سورة آل عمران والمائدة. قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (عِيسَى) بالإمالة حيثُ وقع(٢).

---

(١) في «ت»: «و».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨٤).

﴿ وَأَيَّدْنَٰهُ ﴾ قوّيناه.

﴿ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ: (القُدْسِ) بسكون الدال، والباقونَ بضمِّها، وهما لغتان مثل: الرُّعْب، والرُّعُب[1]، وروحُ القدسِ: هو جبريلُ ـ عليه السلام ـ والقدُس: الطهارةُ: وُصِفَ جبريلُ بها لأنه لم يقترفْ ذنباً، وقيلَ غيرُ ذلك، فلما سمعت اليهودُ ذكرَ عيسى، قالوا: يا محمدُ! لا مثلَ عيسى ـ كما تزعُم ـ فعلْتَ، ولا كما تقُصُّ علينا من الأنبياء فَعَلْتَ، فائْتِنا بما أتى[2] به عيسى إنْ كنتَ صادقاً، قال الله تعالى:

﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ ﴾ يا معشر اليهود.

﴿ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ ﴾ تحبُّ.

﴿ أَنفُسُكُمُ ﴾ والهوى: هو ميلانُ القلب إلى ما يستلذُّ به.

﴿ ٱسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ تكبرتم، وتعظمتم عن الإيمان.

﴿ فَفَرِيقًا ﴾ طائفةً.

﴿ كَذَّبْتُمْ ﴾ مثل عيسى ومحمد.

﴿ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ أي: قتلتم، مثل زكريا ويحيى وشعيا وسائرِ مَنْ قَتَلوا من الأنبياءِ ـ عليهم السلام ـ، ولم يقل: قتلتم، وإن أريدَ الماضي؛

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٩٨)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٤)، و«الكشف» لمكي (١/ ٥٢٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨٥).

(٢) في «ن»: «أوتي».

تعظيماً لهذه الحالة، فكأنها ـ وإن مضت ـ حاضرةٌ؛ لشناعتِها، ولثبوتِ عارِها عليهم وعلى ذريتهم بعدَهم.

* * *

﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

[٨٨] ﴿ وَقَالُواْ ﴾ يعني: اليهود.

﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ جمع أغلاف؛ أي: هي في أكِنَّةٍ، معناه: عليها غِشاوةٌ، فلا تَعي، ولا تَفْقَهُ ما تقول، قال الله تعالى:

﴿ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي: أبعدَهم من كلِّ خير.

﴿ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: لا يؤمنُ منهم إلا قليل؛ لأن من آمنَ من المشركين أكثرُ ممن آمنَ من اليهود، ونصب (قليلاً) على الحال.

* * *

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾.

[٨٩] ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ يعني: القرآن.

﴿ مُصَدِّقٌ ﴾ موافق.

﴿ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ يعني: التوراة.

﴿ وَكَانُواْ ﴾ يعني: اليهود.

﴿ مِن قَبْلُ ﴾ مبعث محمد ﷺ.

﴿ يَسْتَفْتِحُونَ ﴾ يستنصرون.

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ على مشركي العرب، وذلك أنهم كانوا يقولون إذا حَزَبهم أمرٌ، أو دَهَمهم عدوٌّ: اللهمَّ انصُرْنا عليهم بالنبيِّ المبعوثِ في آخرِ الزمان الذي نجدُ صفتَهُ في التوراةِ، فكانوا يُنْصَرون، وكانوا يقولون لأعدائِهم من المشركين: قد أظلَّ زمانُ نبيٍّ يخرجُ بتصديقِ ما قلنا، فنقتلُكم معَهُ قتلَ عادٍ وإرَم[1].

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟﴾ يعني: محمداً ﷺ من غيرِ بني إسرائيل، وعرفوا نعتَهُ وصِدْقَه.

﴿كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ بغياً وحسداً.

﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قرأ أبو عمرٍو، والكسائيُّ، ورُوَيسٌ: (الْكَافِرِينَ) بالإمالة حيثُ وقعَ بالياء[2]، مجروراً كان أو منصوباً، واختُلف عن ابنِ ذكوان في الإمالة والفتحِ، وأماله ورشٌ بينَ بينَ، وفتحَه الباقون، وجوابُ لما ولما الثانية في قوله: (كفروا)، وأعيدت لما الثانية؛ لطولِ الكلام، ويفيدُ ذلك تقريراً للذَّنب وتأكيداً له.

* * *

﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٩٠)﴾.

[٩٠] ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ قرأ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ: (بِيسَ)

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٤)، وانظر «الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٢١٥ـ٢١٦).

(٢) «بالياء» سقطت من «ن».

بغير همز[1]، وبِئْسَ ونِعْمَ فعلانِ ماضيان وُضِعا للمدح والذَّمِّ، ولا يتصرَّفان تصرُّفَ الأفعال، معناه: بئسَ الذي اختاروا لأنفسِهم حينَ استبدلوا[2] الباطلَ بالحق.

﴿أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ يعني: القرآن.

﴿بَغْيًا﴾ أي: حسداً، وأصلُ البغي: الفسادُ، والبغيُ الظلمُ، وأصلُه الطلبُ؛ فالباغي طالبٌ[3] للظلمِ، والحاسدُ يظلمُ المحسودَ جهدَهُ طلباً لإزالةِ نعمةِ الله عنه.

﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ النبوة والكتاب. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ: (يُنْزِلَ) بالتخفيف مع إسكان النون[4]، والباقون بفتح النون والتشديد[5].

﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ محمدٍ ﷺ.

﴿فَبَآءُو﴾ رجعوا.

---

(١) المصادر السابقة.

(٢) في «ت»: «استبدوا».

(٣) في «ن»: «الطالب».

(٤) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨٦).

(٥) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٥٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨٦).

﴿ بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ ﴾ أي: مع غضب، الغضبُ الأولُ بتضييعِهم التوراةَ وتبديلِهم، والثاني بكفرِهم بمحمدٍ ﷺ.

﴿ وَلِلْكَٰفِرِينَ ﴾ الجاحدين بنبوة محمد ﷺ من الناس كلِّهم.

﴿ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ مُخْزٍ يُهانون فيه.

* * *

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ﴾.

[٩١] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ يعني: القرآن. قرأ أبو عمرٍو: (قِيل لَّهُمْ) بإدغام اللام في اللام[1].

﴿ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ يعني: التوراةَ، يكفينا ذلك.

﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ ﴾ أي: بما سواهُ من الكتب.

﴿ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ يعني: القرآنَ.

﴿ مُصَدِّقًا ﴾ نصب على الحال.

﴿ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ من التوراة.

﴿ قُلْ ﴾ لهم يا محمد.

﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ ﴾ أي: قَتَلَ آباؤكُم، ولمّا رضيتُم بفعلهم، فكأنكم قد قتلتم.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨٧).

﴿ أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ ﴾ ولمَ أصلُه (لما)، فحذفت الألف فرقاً بين الخبر والاستفهام؛ كقولهم: فيمَ، وبمَ. وقفَ البزيُّ ويعقوبُ، بخلافٍ عنهما: (فَلِمَهْ) بالهاء، وكذلك (لِمَهْ، وفِيمَهْ، وبِمَهْ، وعَمَّهْ، ومِمَّهْ) حيثُ وقع.

﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ بالتوراة، وقد نُهيتم فيها عن قتل الأنبياء عليهم السلام.

* * *

﴿ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾.

[٩٢] ﴿ ۞وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ بالدلالات الواضحة، والمعجزات. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ، وابنُ ذَكوانَ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ: (وَلَقَدْ جَاءَكُمْ) بإظهارِ الدال عند الجيم، وكذلك عند السين والشين والصاد حيث وقع، والباقون بالإدغام[١].

﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ بما صدرَ منكم. قرأ ابنُ كثيرٍ، وحفصٌ (اتخذتم) بإظهار الذال عندَ التاء، واختُلف عن رُويسٍ، والباقون بالإدغام[٢].

* * *

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (ص: ١/ ١٧٢)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨٧).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨٧).

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

[٩٣] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ وقلنا:

﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾ في التوراة.

﴿بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟﴾ أي: استجيبوا وأطيعوا، سميت الطاعةُ والإجابةُ سمعاً على المجاوزة؛ لأنه سببُ الطاعة والإجابة.

﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا﴾ قولَك بالآذان.

﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرَكَ بالقلوب، والمعصيةُ: مخالفةُ الأمر قَصْداً. قالَ أهلُ المعاني: إنهم لم يقولوا هٰذا بألسنتهم، ولكن لما سمعوا وتلقوه بالعصيان، نُسب ذلك إلى القولِ اتِّساعاً.

﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ أي: حُبَّه، معناه: أُدْخِل في قلوبهم حبُّ العجل وخالَطَها.

﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ﴾ أن تعبدوا العجلَ من دونِ الله؛ أي: بئسَ إيمانٌ يأمرُ بعبادةِ العجل.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بزعمكم، وذلك أنهم قالوا: نؤمنُ بما أُنزل علينا، فكذبهم الله ـ عزَّ وجل ـ.

* * *

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾.

[٩٤] ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ وذلك أن اليهود ادَّعَوْا دَعاوى باطلةً مثلَ قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠] و﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١] وقولهم ﴿نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾ فكذبهم الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، وألزمهم الحجَّةَ، فقالَ: قُلْ لهم يا محمدُ: إنْ كانَتْ لكمُ الدارُ الآخرةُ؛ يعني: الجنةَ عندَ اللهِ.

﴿خَالِصَةً﴾ خاصَّةً.

﴿مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾ أي: اطلبوه وسلوه؛ لأن من علمَ أن الجنةَ مأواه، حَنَّ إليها، ولا سبيلَ إلى دخولها إلا بعدَ الموت، فاستعجِلوه بالتمني.

﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ في قولكم. وعن النبي ﷺ أنه قال: «لَوْ تَمَنَّوُا الْمَوْتَ، لَغَصَّ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ بِرِيقِهِ، وَمَا بَقِيَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ يَهُودِيٌّ إِلاَّ مَاتَ»[1]. قال الله تعالى:

* * *

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾.

[٩٥] ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ﴾ لعلمهم أنهم كاذبون في دعواهم، وأراد بما قدمت أيديهم: ما قدَّموا من الأعمال، وأضافَ إلى اليد؛ لأن أكثرَ جناياتِ الإنسانَ تكونُ باليد.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٢٥)، عن ابن عباس موقوفاً عليه.

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ تهديدٌ شديد؛ لأن علمَه بهم كعلمِه بغيرهم، ثم قال مخاطباً لنبيه ﷺ:

* * *

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾.

[٩٦] ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ ﴾ اللامُ لامُ القسم، والنونُ تأكيده، تقديرُه: واللهِ لتجدنَّهم يا محمدُ؛ يعني: اليهود.

﴿ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ متطاولةٍ، وهي حياتهم التي هم فيها.

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ ﴾ أي: وأحرصَ من الذين أشركوا، والمراد بالذين أشركوا: المجوسُ، سُمُّوا مشركين؛ لأنهم يقولون بالنور والظلمة.

﴿ يَوَدُّ ﴾ يتمنى.

﴿ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ ﴾ يعني: يعيشُ.

﴿ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ وهي تحيَّةُ المجوس فيما بينهم: عِشْ ألفَ سنةٍ، يقول الله تعالى: اليهودُ أحرصُ على الحياة منَ المجوسِ الذين يقولونَ ذلك.

﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ ﴾ بمباعده.

﴿ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ من النار.

﴿ أَن يُعَمَّرَ ۗ ﴾ أي: طولُ عمرِه لا يُنقذه من العذابِ.

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ فيجازيهم. قرأ يعقوبُ: (تعْمَلُونَ) بالخطاب، والباقون بالغيب[1].

* * *

﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٩٧﴾.

[٩٧] ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ: (جَبْرِيلَ) بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (جَبْرَئِيلَ) بفتح الجيم والراء وهمزة مكسورة بعدها ياء، وأبو بكرٍ: (جَبْرَئِلَ) بفتح الجيم والراء وحذف الياء بعد الهمزة، والباقون بكسر الجيم والراء من غير همز، كلُّها لغات[2].

قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: «إنَّ حبراً من أحبارِ اليهودِ يُقال له: عبدُ الله بنُ صوريا قالَ للنبي ﷺ: أيُّ ملكٍ يأتيكَ من السَّماء؟ قال: «جِبْرِيلُ»، قال: ذاكَ[3] عدوُّنا من الملائكة، ولو كانَ ميكائيلَ، لآمنَّا بكَ؛

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٠٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٤)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١/ ٣١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨٩).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٠٠-٢٠١)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٦-١٦٧)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٨٠-٨١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢/ ٢١٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨٩-٩٠).

(٣) في «ت»: «ذلك».

إن جبريلَ ينزلُ بالعذاب والقتالِ والشدَّة، وإنَّه عادانا مِراراً، وكانَ أشدَّ ذلك علينا أنَّ الله أنزلَ على نَبيِّنا أنَّ بيتَ المقدِسِ سَيُخَرَّبُ على يدِ رجلٍ يُقال لهُ: بُخْتَ نَصَّر، وأخبرَ بالحين الذي يخربُ فيه، فلما كانَ وقتُه، بعثْنا رجلاً من أقوياءِ بني إسرائيل في طلبه ليقتلَهُ، فانطلقَ حتى لقيَه ببابل غلاماً مسكيناً، فأخذَهُ ليقتلَه، فدفعَ عنه جبريلُ، وكبر بخت نصّر وقوي، فغزانا وخرَّبَ بيتَ المقدس، فلهذا نتَّخِذُه عدواً، فأنزل الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾[1].

﴿ فَإِنَّهُۥ﴾ يعني: جبريل.

﴿ نَزَّلَهُۥ﴾ يعني: القرآن؛ كنايةً عن غير مذكور.

﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ يا محمدُ.

﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بأمرِ الله.

﴿ مُصَدِّقًا﴾ موافقاً.

﴿ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لما قبلَه من الكتب.

﴿ وَهُدًى﴾ أي: هداية.

﴿ وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَبُشْرى) بالإمالة[2]، وتقدَّم الاختلاف في إبدال الهمز[3] في (المؤمنين)[4].

---

(١) انظر «العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/ ٢٩٧).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٩١).

(٣) في «ن»: «الهمزة».

(٤) عند تفسير الآية (٣) من سورة البقرة.

﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾.

[٩٨] ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾ خصَّهما بالذكر من جملة الملائكة، مع دخولهما في قوله: وملائكته[١]؛ تفضيلاً وتخصيصاً؛ كقوله تعالى: ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ [الرحمن: ٦٨] خَصَّ النخلَ والرمانَ بالذكر معَ دخولهما في ذكرِ الفاكهةِ، والواو فيهما بمعنى (أو)؛ يعني: من كان عدواً لأحد هؤلاء؛ لأن الكافرَ بالواحد كافرٌ بالكل. **قرأ** أبو عمرٍو، ويعقوبُ، وحفصٌ (مِيكَالَ) بغير همزة[٢] ولا ياء بعدها. **وقرأ** نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (مِيكَائِلَ) بهمزة من غير ياء بعدها. **وقرأ** ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ، وخلفٌ: (وَمِيكَائِيلَ) بهمزةٍ بعدها ياءٌ، وتقدم الخلاف في (جبريل)[٣].

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ تلخيصُه: من عاداهم، عاداه الله، ومن عاداه الله، عذَّبه.

وقد روي أن جبريل ـ عليه السلام ـ نَزَلَ على آدمَ اثنتي عشرة مرة، وعلى إدريس أربعَ مرات، وعلى نوح خمسين مرة، وعلى إبراهيم اثنتين وأربعين مرة، وعلى يوسفَ أربع مرات، وعلى موسى أربعَ مئةِ مرةٍ، وعلى عيسى عشرَ مرات، وعلى محمدٍ أربعةً وعشرينَ ألفَ مرَّةٍ ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ، ولم يُذكر في القرآن من الملائكة باسمه سوى أربعة:

---

(١) «وملائكته» سقطت من «ن».

(٢) في «ن»: «همز».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٨١)، عند تفسير الآية (٩٧) من هذه الآية.

جبريل، وميكايل، والرعد، ومالك في قوله في سورة الزخرف: ﴿وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الآية: ٧٧]، وأُشير إلى إسرافيلَ في سورة ق قوله: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [الآية: ٤١]، وأُشيرَ إلى عزرائيلَ في الم السجدة: ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ [الآية: ١١]، وبقيةُ الملائكة ذُكروا إجمالاً، وأُشير إلى بعضهم كالحفظةِ والسائقِ والشهيدِ، ومعنى جبريل وميكائيل: عبد الله، فجبر وميك: هما[1] العبد، وإيل وآل: هو الله، وكذلك إسرافيل، فقال ابن صوريا: ما جئتنا يا محمدُ بشيءٍ نعرفه، فأنزل الله تعالى:

* * *

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾.

[٩٩] ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ واضحاتٍ مفصَّلاتٍ بالحلالِ والحرامِ، والحدودِ والأحكامِ.

﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ الخارجون عن أمر الله ـ عز وجل ـ.

* * *

﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

[١٠٠] ﴿أَوَ﴾ واو العطف دخلَتْ عليها ألفُ الاستفهام، تقديره: أكفروا بالبينات.

---

(١) في «ن»: «فجبر وهماميك».

و﴿كُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا﴾ يعني: اليهودَ عاهدوا: لئنْ خرجَ محمدٌ، لنؤمننَّ به، فلما خرجَ محمدٌ كفروا به. قال ابنُ عباسٍ: لما ذكرَ رسولُ الله ﷺ لهم ما أخذَ اللهُ عليهم، وعَهِدَ إليهم في محمدٍ أن يؤمنوا به، قال مالكُ بنُ الصيفِ[1]: واللهِ ما عهدَ إلينا في محمدٍ عهداً، فأنزل الله هذه الآيةَ[2].

يدلُّ عليه قراءةُ أبي رجاء العطارديِّ: (أَوَ كُلَّمَا عُوهِدُوا) فجعلهم مفعولين[3].

﴿نَّبَذَهُۥ﴾ طرحَهُ ونقضَه.

﴿فَرِيقٞ﴾ طوائفُ.

﴿مِّنۡهُمۚ﴾ من اليهود.

﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ بالتوراةِ، ولا يبالون بالدين، فلا يعتدُّون بنقض العهد.

* * *

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾.

---

(١) في «ت» و«ظ»: «الضيف».

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٤٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٨٣).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٨١)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٨٥)، و«تفسير الرازي» (١/ ٤٢٦)، و«البحر المحيط» لأبي حيَّان (١/ ٣٢٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٩٣).

[١٠١] ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ يعني: محمداً ﷺ.

﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ يعني: التوراةَ، وقيل: القرآنَ؛ أي: لم يعملوا بما فيها.

﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ كانوا يقرؤون التوراة ولا يعملون بها.

* * *

﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾.

[١٠٢] ﴿وَٱتَّبَعُوا۟﴾ يعني: اليهود.

﴿مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ أي: ما تلتْ؛ أي: تكلمتْ به. والعربُ تضعُ المستقبل موضعَ الماضي وعكسه.

﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ أي: على زمنِ ملكه، وهو سليمانُ بنُ داودَ ـ عليهما السلام ـ، عاش اثنتين وخمسين سنة، ومدَّةُ ملكِه أربعون سنة، ووفاتُه في أواخر سنةِ خمسٍ وسبعين وخمسِ مئةٍ لوفاةِ موسى ـ عليه السلام ـ وبين وفاتِهِ والهجرةِ الشريفةِ الإسلاميةِ ألفٌ وسبعُ مئةٍ وثلاثٌ

وسبعون سنةً، ونُقل أنَّ قبرَه بالبيت المقدَّس[1] عند الجيسمانية، وأنه هو وأبوه داودُ في قبرٍ واحد.

وقصةُ الآيةِ: أن الشياطينَ كتبوا السحرَ والنيرنْجيَّاتِ على لسانِ آصَف: هذا ما علَّمَ آصَفُ بنُ برخيا سليمانَ الملكَ، ثم دفنوها تحت مصلاَّه حين نزعَ اللهُ الملكَ عنه، ولم يشعرْ سليمانُ بذلك، فلما ماتَ، استخرجوها، وقالوا للناس: إنما مَلَكَكم سليمانُ بهذه، فتعلَّموها، فأما علماءُ بني إسرائيل وصلحاؤهم، فقالوا: معاذ اللهِ أن يكون هذا من علمِ سليمانَ، وأما السِّفْلَةُ، فقالوا: هذا علمُ سليمان، وأقبلوا على تعلُّمه، ورفضوا كتبَ أنبيائهم، وفَشَتِ الملامةُ لسليمانَ، فلم يزل هذا حالهم حتى بعثَ اللهُ محمداً ﷺ، وأنزلَ عليه براءةَ سليمان، فقال:

﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ بالسحر وعملِهِ.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ باستعمالِ السحر وكَتْبِه. قرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَلَكِنْ) خفيفةَ النون (الشَّيَاطِينُ) رفعٌ، والباقون: (وَلَكِنَّ) مشدَّدَةَ النون (الشَّياطِينَ) نَصْبٌ[2].

ومعنى (لكن) نفيُ الخبر الماضي، وإثباتُ المستقبَلِ.

﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ والسحرُ عبارةٌ عن التَّمويهِ والتخييل، ووجودُه

---

(١) في «ن»: «ببيت المقدس».

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٥٦)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٨٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٩٤).

حقيقةٌ عندَ أهل السنَّةِ، وعليهِ أكثرُ الأممِ، وهو محرَّمٌ بالإجماع.

واختلف الأئمةُ فيمن يتعلَّمُ السحرَ ويستعملُه، فقال أبو حنيفةَ ومالك: يكفرُ بذلك، وبعضُ أصحابِ أبي حنيفةَ فصَّل، فقال: إن تعلَّمه ليتقيَهُ، أو ليتجنبَهُ، فلا يكفرُ، وإن تعلَّمه معتقِداً لجوازِه، أو أنه ينفعهُ، فإنه يكفرُ.

وقال الشافعي: إذا تعلَّمَ السحرَ قلنا له: صِفْ سحرَكَ، فإن وصفَ ما يوجبُ الكفرَ، مثل ما اعتقدَهُ أهلُ بابلَ من التقرُّب إلى الكواكبِ السبعةِ، وأنها تفعلُ ما يُلتمس منها، فهو كافرٌ، وإن كانَ لا يوجبُ الكفرَ، فإن اعتقدَ إباحتَهُ، كفر، وإلاَّ فلا.

وقال أحمدُ: الساحرُ الذي يركبُ المِكنسةَ، فتسيرُ به في الهواء، ونحوه؛ كالذي يدَّعي أن الكواكبَ تخاطبهُ، يكفرُ، ويقتلُ هو ومن يعتقدُ حلَّه، فأما الذي يسحرُ بالأدويةِ والتَّدخين[1] وسَقْيِ شيءٍ يضرُّ، فلا يكفر، ويعزَّرُ.

ويقتل بمجرد تعلُّمه واستعمالِه عند مالكٍ، وإن لم يقتلْ به.

وقال أبو حنيفةَ والشافعيُّ: لا يُقتل بذلك، فإن قتلَ بالسحر، قُتل عندَهما، إلا أن أبا حنيفة قال: لا يُقتل حتى يقرَّ بأني[2] قتلتُ إنساناً بعينِه.

وقال الشافعي: لو قالَ: قتلتُه بسحري، وسحري يقتلُ غالباً، فقد أقرَّ بقتلِ العَمْدِ، وإن قال: وهو يقتلُ نادراً، فهو إقرارٌ بشبهِ العمدِ، وإن قال: أخطأتُ من اسمِ غيرِه إلى اسمه، فهو إقرارٌ بالخطأ، ثم ديةُ شبهِ العمدِ،

---

(١) في «ت»: «التسخين».

(٢) في «ت»: «أني».

وديةُ الخطأ مخففة، كلاهما في مال الساحر، لا تُطالَبُ العاقلةُ بشيء إلا أن يصدِّقوه؛ لأن إقرارَه عليهم لا يُقبل.

وقال أحمد: إن قتلَ بفعلهِ غالباً اقْتُصَّ منه، وإلا الديةُ.

ويقتل حدّاً عندَ أبي حنيفةَ، ومالك.

وقال الشافعيُّ وأحمدُ: يُقتل قصاصاً، وتقبل توبتُه عند الشافعيِّ.

وقال مالكٌ وأبو حنيفةَ ـ في المشهور عنه ـ، وأحمدُ في أصح روايتيه: لا تُقبل.

وأما ساحرُ أهلِ الكتابِ، فقال مالكٌ والشافعيُّ وأحمدُ: لا يقتل، وقال أبو حنيفة: يُقتل.

وأما المسلمةُ الساحرةُ، فقال الثلاثة: حكمُها حكمُ الرجل، وقال أبو حنيفةَ: تُحبس ولا تُقتل.

﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ﴾ أي: ويعلِّمون الذي أُنزل على الملكين؛ أي: أُلهما وعُلِّما، فالإنزالُ بمعنى الإلهامِ والتعليم، وبابلُ: هي بابلُ العراق، سميت به لتبلبلِ الألسُنِ بها عند سقوطِ صرحِ نمرود؛ أي: تفرُّقِها.

والأصحُّ مما قيل في ذلك: أن الله سبحانه امتحنَ الناس بالملَكَين في ذلك الوقت، فالشقيُّ بِتَعَلُّمِه(١) فيكفرُ، والسعيد بِتَرْكِهِ(٢) فيبقى على الإيمان.

﴿هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ اسمان سريانيان، وهما في محل الخفض على

---

(١) في «ن» و«ظ»: «يتعلمه».

(٢) في «ظ»: «يتركه».

تفسير الملكين، إلا أنهما نُصبا لعجمتِهما وتعريفِهما، وكانت قصتهما أن الملائكة رأوا ما يصعدُ إلى السماء من أعمالِ بني آدم الخبيثةِ في زمن إدريس ـ عليه السلام ـ فعيروهم، وقالوا: هؤلاء الذين جعلتَهُم في الأرض واخترتَهُمْ، فهم يعصونك، فقال الله ـ عز وجل ـ: لو أنزلتُكم[1] إلى الأرضِ وركَّبْتُ فيكم ما رَكَّبْتُ فيهم، ارتكبتُمْ مثلَ ما ارتكبوا، فقالوا: سبحانَكَ ما ينبغي لنا أن نَعصيَك، قال الله تعالى: فاختاروا مَلَكَينِ من خِياركم أهبطهُما إلى الأرضِ، فاختاروا هاروتَ وماروتَ، وكانا من أصلح الملائكة وأعبدِهم، فركَّبَ الله فيهما الشهوةَ، وأهبطَهما إلى الأرض، وأمرَهما أن يحكما بينَ الناس بالحقِّ، ونهاهُما عن الشِّرْكِ، والقتلِ بغير الحقِّ، والزنا، وشربِ الخمر، فكانا يقضيان بين الناس يومَهُما، فإذا أمسيا ذكرا اسمَ الله الأعظم، وصَعِدا إلى السماء، فما مرَّ عليهما شهرٌ حتى افتتنا جميعاً، وذلك أن الزُّهْرَةَ ـ امرأة من أجمل النساء ـ جاءتهما تخاصمُ زوجَها إليهما، فوقعتْ في أنفسهما، فراوداها عن نفسها، فأبت وانصرفت، ثم عادت في اليوم الثاني، ففعلا مثلَ ذلك، فأبت وقالت: لا، إلا أن تعبُدا ما أعبد، وتصلِّيا لهذا الصنم، وتقتلا النفسَ، وتشربا الخمر، فقالا: لا سبيلَ إلى هذه الأشياء؛ فإن الله قد نهانا عنها، فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث، ومعها قدحٌ من خمر، وفي أنفسِهما من الميل إليها ما فيها، فراوداها عن نفسها، فعرضت عليهما ما قالت بالأمس، فقالا: الصلاةُ لغيرِ الله عظيمٌ، وقتلُ النفس عظيم، وأهونُ الثلاثةِ شربُ الخمر، فشربا الخمرَ، فانتشَيا، ووقعا بالمرأة فزنيا، فلما فرغا، رآهما إنسانٌ فقتلاه،

(١) في «ت»: «نزلتكم».

وسجدا للصنم، فمسخَ الله الزُّهرةَ كوكباً، وحُكي غيرُ ذلك، فلما أمسى هاروت وماروت بعدَما قارفا الذنب؛ أي: اكتسباه، هَمَّا بالصعود إلى السماء، فلم تطاوعْهما أجنحتُهما، فعلما ما حلَّ بهما، فقصدا إدريسَ النبي ـ عليه السلام ـ، فأخبراه بأمرِهما، وسألاه أن يشفعَ لهما إلى الله، وقالا له: إنا رأيناكَ يصعدُ لكَ من العبادة مثلُ ما يصعد لجميع أهل الأرض، فاستشفعْ لنا إلى ربك، ففعلَ ذلك إدريسُ، فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذابَ الدنيا؛ إذ عَلِما أنه ينقطع، فهما ببابلَ يعذَّبان إلى قيام الساعة[١].

وروي أن رجلاً قصدَ هاروتَ وماروتَ لتعلُّم السحر، فوجدهما معلَّقينِ بأرجلهما، مزرقَّةً أعينُهما، مسودَّةً جلودُهما، ليس بينَ ألسنتِهما وبينَ الماء إلا أربعةُ أصابعَ، وهما يعذَّبان بالعطش، فلما رأى ذلك، هالَهُ مكانُهما، فقال[٢]: لا إله إلا الله، فلما سمعا كلامه، قالا له: من أنتَ؟ قال: رجلٌ من الناس، قالا: من أي: أمة؟ قال: من أمةِ محمدٍ ﷺ، قالا: وقد بُعث محمدٌ ﷺ؟ قال: نعم قالا: الحمدُ لله، وأظهرا الاستبشارَ، فقال[٣] الرجل: بم استبشارُكما؟ قالا: إنه نبيُّ الساعة، وقد دنا انقضاءُ عذابنا[٤].

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾ يعني: الملكين.

﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ أي: أحداً، و(مِنْ) صلة.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١٠٠ ـ ١٠١).

(٢) في «ت»: «فقالا».

(٣) في «ن»: «فسأل».

(٤) المرجع السابق: (١/ ١٠١).

﴿حَتَّىٰ﴾ ينصحاهُ أولاً.

و﴿يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٌ﴾ أي: ابتلاءٌ ومحنةٌ.

﴿فَلَا تَكۡفُرۡۖ﴾ أي: لا تتعلم السحرَ لتعملَ به فتكفرَ، وأَصلُ الفتنة: الاختبارُ والامتحانُ، فإن أبى إلا التعلم(1)، قالا له: ائتِ هذا الرمادَ فَبُلْ عليه، فيخرجُ منه نورٌ ساطع في السماء، فتلكَ المعرفةُ، وينزل شيء أسودُ شبهُ الدخان حتى يدخلَ مسامعه، وذلك غضبُ الله ـ عز وجل ـ.

قال مجاهد: إن هاروتَ وماروتَ لا يصلُ إليهما أحدٌ، ويختلفُ فيما بينَهُما شيطانٌ في كلِّ مسألةٍ اختلافةً واحدةً.

﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ﴾ وهو أن يؤخذَ كلُّ واحدٍ منهما عن صاحبه، ويُبَغَّضَ كلُّ واحدٍ إلى صاحبه، قال الله تعالى:

﴿وَمَا هُم﴾ أي: السحرةُ أو الشياطينُ.

﴿بِضَآرِّينَ بِهِۦ﴾ أي: بالسحر.

﴿مِنۡ أَحَدٍ﴾ أي: واحداً.

﴿إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: بقضاء الله وقدره ومشيئته.

﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ﴾ يعني: السحرُ يضرهم.

﴿وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ﴾ يعني: اليهود.

﴿لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ﴾ أي: اختارَ السحرَ. قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (اشْتَرِيه) بالإمالة(2).

---

(1) في «ن»: «التعليم».

(2) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: 168)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: 127)، =

﴿مَا لَهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ﴾ أي: في الجنة.

﴿مِنْ خَلَٰقٍ﴾ نصيبٍ، خيرٌ.

﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ﴾ أي: باعوا.

﴿بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: حظَّ أنفسِهم؛ حيثُ اختاروا السحرَ والكفرَ على الدينِ والحقِّ.

﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ يعني: اليهود، وقولُه: ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ بعدَ قولِه ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ﴾ أي: لما لم يعملوا بما علموا، فكأنهم لم يعلموا.

وقد أنكر القاضي عياضٌ ـ رحمه الله ـ قصةَ هاروتَ وماروتَ، ونسبَ ما قيل فيها من الأخبار إلى كتب اليهودِ وافترائهم كما نَصَّهُ الله أولَ الآيات من افترائهم بذلك على سليمان، وتكفيرهم إياه، وحَكى عن خالدَ بنِ أبي عمرانَ أنَّه نَزَّهَهما عن تعليم السحر، وحكى قولاً: أن هاروتَ وماروتَ عِلجان[1] من أهل بابل، وقيل: كانا ملكين من بني إسرائيل، فمسخهما الله، والله أعلم[2].

= و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٩٦).

(١) في «ن»: «علمان».

(٢) انظر: «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض (٢/ ٨٥٣). قال ابن كثير في «تفسيره» (١/ ١٤٢): وقد روي في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين، كمجاهد والسدي والحسن البصري وقتادة وأبي العالية والزهري والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان وغيرهم، وقصَّها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين، وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل، إذ=

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾.

[١٠٣] ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ﴾ بمحمدٍ ﷺ، والقرآنِ.

﴿ وَٱتَّقَوْا۟ ﴾ اليهوديةَ والسحرَ.

﴿ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ لكانَ ثوابُ الله إياهم.

﴿ خَيْرٌ ﴾ لهم.

﴿ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ أي: أن ثوابَ الله خيرٌ مما هم فيه.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ ﴾.

[١٠٤] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا ﴾ وذلك أن المسلمين كانوا يقولون: راعِنا يا رسول الله؛ من المراعاة؛ أي: أَرْعِنا سمعَكَ؛ أي: فَرِّغْ سمعَك لكلامنا، وكانت هذه اللفظة شيئاً قبيحاً بلغة اليهود؛ بمعنى الحمقِ والرعونة، فإذا أرادوا أن يحمِّقوا إنساناً، قالوا له: راعِنا؛ أي: يا أحمق، فلما سمع اليهودُ هذه اللفظةَ من المسلمينَ، قالوا فيما بينهم: كنا

= ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم، الذي لا ينطق عن الهوى، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال.

نسبُّ محمداً سرّاً، فأعلنوا به الآن، وكانوا يأتونه ويقولون: راعِنا يا محمدُ، ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعدُ بنُ مُعاذٍ، ففطنَ لها، وكان يعرفُ لغتَهم، فقال لليهود: لئن سمعتُها من أحدٍ منكم يقولُها لرسول الله ﷺ، لأضربنَّ عنقَهُ، فقالوا: أولستُمْ تقولونها؟ فأنزل الله هذه الآية نهياً للمؤمنين عن التشبُّه بهم، وقطعاً للذريعة لكيلا يجد اليهود والمنافقون بذلك سبيلاً إلى شَتْم رسولِ الله ﷺ (١).

﴿وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا﴾ أي: انظرْ إلينا.

﴿وَٱسْمَعُوا۟ۗ﴾ ما تؤمرون به؛ أي: وأطيعوا.

﴿وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يعني: الذين تهاونوا بالرسولِ ﷺ وسَبُّوه، وهم اليهود.

* * *

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾.

[١٠٥] ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ الآية، وذلك أن المسلمين كانوا إذا قالوا لحلفائهم من اليهود: آمنوا بمحمد، قالوا: ما هذا

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٠٢)، و«العجاب» (١/ ٢٤٤)، و«فتح الباري» كلاهما لابن حجر (٨/ ١٦٣)، و«لباب النقول» للسيوطي (ص: ٢٤). قال ابن حجر: رواه أبو نعيم في «دلائل النبوة» عن ابن عباس بسند ضعيف جداً.

الذي تدعوننا إليه بخير مما نحنُ عليه، ووددْنا[1] لو كان خيراً، فأنزل الله تكذيباً لهم[2]:

﴿مَّا يَوَدُّ﴾ أي: ما يحب ويتمنَّى.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: اليهود.

﴿وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ جرُّهُ بالنسق على (مِن)، والمرادُ: مشركو العرب؛ كأبي سفيانَ وغيرِه، والشركُ: وضعُ الشيءِ معَ مثله.

﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: خيراً ونبوةً، و(مِنْ) صلة. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوب: (يُنْزَلَ) بالتخفيف مع إسكان النون، والباقون بالتشديد مع فتح النون[3].

﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ﴾ أي: بنبوته.

﴿مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ والفضلُ: ابتداءُ الإحسان بلا عِلَّة.

* * *

﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾.

[١٠٦] ﴿۞مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ قرأ العامَّةُ: بفتح النون والسين من

---

(١) في «ن» و«ت»: «وودنا».

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٠٣)، و«العجاب» لابن حجر (١/ ٣٤٧).

(٣) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٩٨).

النسخ؛ أي: نرفعها. وقرأ ابنُ عامرٍ: (نُنْسِخْ) بضم النون الأولى، وكسر السين؛ من الإنساخ؛ أي: نجعله من المنسوخ[1]، وذلك أن المشركين قالوا: إن محمداً يأمرُ أصحابَه بأمرٍ، ثم ينهاهم عنه ويأمرُهم بخلافه، ما يقولُه إلا من تلقاء نفسه، يقول لهم اليومَ قولاً، ويرجعُ عنه غداً؛ كما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾ [النحل: ١٠١]، وأنزلَ: ﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾، فبيَّنَ وجهَ الحكمةِ في النسخ بهذهِ الآية.

﴿أو ننسئها﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: بفتحِ النونِ والسين، وهمزةٍ ساكنة بين السين والهاء؛ أي: نُؤَخِّرْها في اللوح المحفوظ. وقرأ الباقون: (نُنْسِها) بضم النون وكسر السين من غير همز؛ أي: نجعلْها منسيَّةً، أي: متروكة[2].

﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ أي: بما هو أنفعُ لكم، وأسهلُ عليكم، وأكثرُ

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٨)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٥٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٩٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٩٨). غير أنه وقع من مطبوعة «تفسير البغوي»: قراءة العامة بفتح النون وكسر السين. والصحيح أنها بفتح السين، كما مرَّ في مراجع القراءات آنفاً.

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٠٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٥٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٩٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٩٩).

لأجركم، لا أن آيةً خيرٌ من آية؛ لأنَّ كلامَ الله واحدٌ كلُّه خيرٌ.

﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾ في المنفعةِ والثوابِ، فكلُّ[1] ما نُسِخَ إلى الأيسر، فهو أسهلُ في العمل، وما نُسخ إلى الأشقِّ، فهو في الثوابِ أكثرُ.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ من النسخِ والتبديلِ، لفظُه استفهامٌ، ومعناهُ تقريرٌ؛ أي: إنك تعلم. والنسخُ لغة: الرفعُ والإزالةُ، ومنه نسختِ الشمسُ الظلَّ، والنقلُ نَسَخْتُ الكتاب، وشرعاً: رفعُ حكمٍ شرعيٍّ متراخٍ، والمنسوخُ: الحكمُ المرتفعُ بالناسخِ، والناسخُ حقيقةً هو اللهُ، وأهلُ الشرائعِ على جوازه عقلاً، ووقوعِهِ شرعاً، وخالفَ أكثر اليهودِ في الجواز، ويجوزُ النسخُ قبلَ الفعلِ بعدَ دخولِ الوقتِ بالاتفاق، ويجوز نسخُ التلاوة دونَ الحكم، وعكسُه، وهما بالاتفاق، ويجوزُ نسخُ قرآنٍ وسنَّةٍ متواترةٍ بمثلِهما[2]، وسُنَّة بقرآنٍ بالاتفاق، ولا حكمَ للناسخِ معَ جبريلَ ـ عليه السلام ـ اتفاقاً، فإذا بلغه، لم يثبتْ حكمُه في حقِّ من لم يبلغه. وزيادةُ عبادةٍ مستقلَّةٍ من غيرِ الجنسِ ليستْ نسخاً، وكذا من الجنس، بالاتفاق.

* * *

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾.

[١٠٧] ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم﴾ يا معشرَ الكفار عندَ نزولِ العذاب.

---

(١) في «ت»: «وكل».

(٢) في «ن»: «بمثلها».

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ مما سِوى الله.

﴿مِن وَلِيٍّ﴾ قريبٍ ولا صديقٍ.

﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ناصرٍ يمنعُكم من العذاب.

* * *

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾.

[١٠٨] ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ﴾ نزلَتْ في اليهود حينَ[(١)] قالوا: يا محمدُ ايتنا بكتابٍ من السماءِ جملةً كما أتى موسى بالتوراة، قال الله تعالى:

﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ يعني: أَتُريدون، والميمُ صلةٌ.

﴿أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ﴾ محمداً ﷺ.

﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ سألَهُ قومُه، فقالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء:١٥٣]، ففيه منعُهم عن السؤالات المقترحَةِ بعدَ ظهورِ الدلائل والبراهين.

﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ﴾ أي: أخطأ.

﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: وسط الطريق. قرأ ابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ، وقالونُ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ: (فَقَدْ ضَلَّ) بإظهار دال (قد) عند الضاد، وكذلك عند الظاء والذال والزاي حيث وقع، وافقهم وَرْشٌ عند الذال والزاي[(٢)].

---

(١) في «ن»: «حيث».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٠٣).

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾.

[١٠٩] ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ نزلت في نفرٍ من اليهود قالوا لحذيفةَ بنِ اليمانِ وعمَّارِ بنِ ياسرٍ بعدَ وقعةِ أُحُدٍ: لو كنتم على الحقِّ، ما هُزمتم، فارجعا إلى ديننا، فنحن أَهْدى سبيلاً منكم، فقال لهم عمار: وكيفَ نقضُ العهدِ فيكم؟ قالوا: شديدٌ، قال: فإنِّي عاهدتُ اللهَ ألا أكفرَ بمحمدٍ ﷺ ما عشتُ، فقالت اليهود: أما هذا، فقد صبأَ، وقال حذيفةُ: أما أنا[1] رضيتُ بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً، وبالكعبة قبلةً، وبالمؤمنينَ إخواناً، ثم أتيا رسولَ الله ﷺ فأخبراه بذلك، فقال: «أَصَبْتُمَا الخَيْرَ وَأَفْلَحْتُمَا»، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ ﴾[2] أي: تمنى، وأرادَ: أهلَ الكتابِ من اليهود.

﴿ لَوْ يَرُدُّونَكُم ﴾ يا معشرَ المؤمنين.

﴿ مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا ﴾ نصبٌ على المصدر؛ أي: يحسدونكم حسداً.

﴿ مِّنْ عِندِ ﴾ أي: من تِلْقاء.

﴿ أَنفُسِهِم ﴾ لم يأمرْهُمُ اللهُ بذلك.

---

(١) «أما أنا» سقطت من «ن».

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٠٥)، و«العجاب» لابن حجر (١/ ٣٥٦ ـ ٣٥٧).

﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾ في التوراةِ أنَّ قولَ محمدٍ ﷺ صدقٌ، ودينَهُ حَقٌّ.

﴿ فَٱعۡفُواْ ﴾ أي: فاتركوا.

﴿ وَٱصۡفَحُواْ ﴾ أي: تجاوزوا، فالعفوُ: المحوُ، والصفحُ: الإعراضُ، وكان هذا قبلَ آيةِ القتال.

﴿ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ ﴾ بعذابِه: القتلُ والسبيُ لبني قريظةَ، والجلاءُ والنفيُ لبني النضير.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ فيقدر على الانتقام منهم.

* * *

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٠ ﴾.

[١١٠] ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ ﴾ أي: تُسْلِفوا.

﴿ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ ﴾ طاعةٍ وعملٍ صالحٍ.

﴿ تَجِدُوهُ ﴾ أي: تجدوا ثوابَهُ.

﴿ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ لا يَضيعُ عندَه عمل.

* * *

﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١ ﴾.

[١١١] ﴿ وَقَالُواْ ﴾ عطفٌ على ﴿ وَدَّ ﴾، والضميرُ لأهلِ الكتابَيْنِ.

﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾ أي: يهودياً، واليهودُ جمعُ هائدٍ.

﴿أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ وذلك أن اليهود قالوا: لن يدخلَ الجنةَ[1] إلاَّ من كانَ يهوديّاً، ولا دينَ إلا اليهوديةُ، وقالت النصارى: لن يدخلَ الجنةَ إلا من كان نصرانيّاً، ولا دينَ إلا النصرانيةُ، نزلتْ في وفدِ نجرانَ، وكانوا نصارى، اجتمعوا في مجلسِ رسولِ اللهِ ﷺ معَ اليهودِ، فكذَّبَ[2] بعضُهم بعضاً، قال الله تعالى:

﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ شهواتُهم الباطلةُ التي تمنَّوْها على اللهِ بغيرِ الحقِّ. قرأ أبو جعفرٍ: بسكون الياء والتخفيف، مع كسر الهاء، والباقون: بتشديد الياء، وضم الهاء[3].

﴿قُلْ﴾ يا محمدُ.

﴿هَاتُوا۟﴾ أصلهُ: آتوا.

﴿بُرْهَٰنَكُمْ﴾ حُجَّتكم على ما زعمتُمْ.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في دَعْواكم، ثم قال رداً:

* * *

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

---

(١) «الجنة» سقطت من «ت».

(٢) في «ت»: «فكذبت».

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٠٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٠٤).

[١١٢] ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ﴾ أي: ليس كما قالوا، بل الحكمُ للإسلام، وإنما يدخلُ الجنةَ من أسلم.

﴿وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ أي: أخلص دينه لله، وأصل الإسلام: الاستسلامُ والخضوعُ، وخُصَّ الوجهُ؛ لأنه إذا جادَ بوجهِه في السجود، لم يبخلْ بسائرِ جوارحِه.

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في عملِه.

﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة، وإلاَّ فاليومَ المؤمنونَ أشدُّ خوفاً وحُزْناً من غيرهم؛ لنظرهم في مصيرهم، ولما قدمَ وفدُ نجرانَ على النبيِّ ﷺ، أتاهم أحبارُ اليهودِ، فتناظروا حتى ارتفعتْ أصواتُهم، فقال لهم اليهود: ما أنتم على شيء من الدِّينِ، وكفروا بعيسى والإنجيل، وقال لهم النصارى: ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بموسى والتوراة، فأنزل الله تعالى:

***

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾.

[١١٣] ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ أي: أمرٍ يصحُّ ويُعْتَدُّ به.

﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ وكلا الفريقين يقرؤون الكتابَ، معناه: ليس في كتابهم هذا الاختلافُ، فدلَّ تلاوتُهم الكتابَ ومخالفتُهم ما فيه على كونهم على الباطل.

﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يعني: آباءَهُم الذين مضوا.

﴿ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ يقضي بينَ المحقِّ والمبطِلِ.

﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ من الدين. قرأ السوسيُّ عن أبي عمرٍو: (يَحْكُمْ بَيْنَهُمْ)[1] (أَعْلَمْ بِالشَّاكِرِينَ) (مَرْيَمْ بُهْتَاناً) (آدَمْ بِالْحَقِّ) وشبهه حيث وقع: بإسكانِ الميم عند الباء إذا تحرك ما قبلها تخفيفاً؛ لتوالي الحركات، فتخفى إذ ذاك بغنة، فإن سكن ما قبلها، تُرِكَ ذلك إجماعاً.

* * *

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١٤) ﴾.

[١١٤] ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ ﴾ أي: أكفرُ وأعتى.

﴿ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ يعني: بيتَ المقدس ومحاريبَهُ.

﴿ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ ﴾ عملَ.

﴿ فِى خَرَابِهَآ ۚ ﴾ هو بُخْتَ نَصَّرُ وأصحابُه، غزوا اليهودَ، وخَرَّبوا بيتَ المقدسِ، وأعانَهم على ذلك النصارى: طَيْطُوسُ الروميُّ وأصحابُه، فغزوا بني إسرائيل ثانياً، فقتلوا مقاتلتَهم، وسبوا ذراريَّهم، وحرقوا التوراةَ، وخَرَّبوا بيتَ المقدس، وقذفوا فيه الجِيَفَ، وذبحوا فيه الخنازيرَ، فكان

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٠٥).

خراباً إلى أن بناه المسلمون في أيامِ عمرَ بنِ الخطابِ ـ رضي الله عنه ـ، فأنزل الله تعالى الآية[1] ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ﴾[2].

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ﴾ أي: على وجهِ التهيُّبِ، وذلكَ أنَّ بيتَ المقدسِ موضِعُ حَجِّ النَّصارى، ومحلُّ زيارتهم، قال ابن عباس: لم يدخلْها بعد عِمارتها روميٌّ إلا خائِفاً، لو عُلِمَ به، قُتِلَ.

﴿ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ﴾ عذابٌ وهَوان، قال قتادةُ: هو القتلُ للحربيِّ، والجزيةُ للذميِّ.

﴿ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ وهو النارُ.

وقيل: نزلت في مشركي مكَّةَ، وأراد بالمساجد: المسجدَ الحرامَ، منعوا رسولَ الله ﷺ وأصحابَه من حجِّهِ والصلاةِ فيه عامَ الحُدَيبيةِ، وإذا مَنَعُوا مَنْ يَعْمُرُهُ بذكر الله، فقد سَعَوْا في خرابه ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ﴾ يعني: أهلَ مكةَ، يقول: أَفْتَحُها عليكم حتى تَدْخلوها، وتكونوا أَوْلى بها منهم، ففتحَها عليهم، وأمرَ النبيُّ ﷺ منادياً ينادي: «أَلاَ لاَ يَحُجَّنَّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ»[3]، فهذا خوفُهم، وثبتَ الشرعُ أن

---

(١) «الآية» سقطت من «ن».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٤٩٨)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٠٧)، و«العجاب» لابن حجر (١/ ٣٥٩)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٢٦٤).

(٣) رواه البخاري (٣٦٢)، كتاب الصلاة، باب: ما يستر من العورة، ومسلم (١٣٤٧)، كتاب: الحج، باب: لا يحج البيت مشرك...، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

لا يُمكَّنَ مشركٌ من دخولِ الحرم ﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ الذُّل والهوانُ والقتلُ والسبيُ والنفيُ[1].

واختلف الأئمةُ في دخولِ الكفارِ المساجدَ، فقال أبو حنيفةَ وأصحابُه: يجوزُ للذميِّ دخولُ المسجدِ الحرامِ[2] وغيرِه بالإذنِ، ومنعَهُ مالكٌ وأحمدُ مطلقاً، والشافعيُّ يمنعُه في المسجدِ الحرام، ويُجيزه في غيرِه، ويأتي ذكرُ اختلافِهم في دخولِ الذميِّ حرمَ مكةَ، ومنعِهِ من استيطانِ الحجازِ في سورة التوبة عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ [الآية: ٢٨].

* * *

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾.

[١١٥] ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ مُلْكاً وخَلْقاً.

﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ﴾ تُحوِّلوا وُجوهَكُم.

﴿فَثَمَّ﴾ هناك.

﴿وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ أي: جهتُه التي أمر بها. قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: خرجَ نفرٌ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ في سفرٍ قبلَ تحويلِ القبلةِ إلى الكعبةِ، فأَصابهم الضَّبابُ، وحضرت الصلاةُ، فتحرَّوا القبلةَ، وصلَّوا، فلما ذهبَ الضَّبابُ، استبانَ لهم أنهم لم يصيبوا، فلما قَدِموا، سألوا رسولَ الله ﷺ عن

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/١٠٧).

(٢) «الحرام» سقطت من «ن».

ذلك، فنزلت هذه الآية[1]. وقال عبدُ الله بنُ عمرَ: نزلت في المسافرِ يصلِّي التطوُّعَ حيثما توجَّهَتْ به راحلتُه[2]، وقيلَ غيرُ ذلك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ﴾ أي: غنيٌّ يعطي من السَّعة.

﴿عَلِيمٌ﴾ بِنِيَّاتهم حيثما صلَّوا ودَعَوا.

* * *

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦﴾.

[١١٦] ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ: (قَالُوا) بغير واو، وقرأ الباقون بالواو[3]. [و][4]نزلتْ في يهود المدينة؛ حيث قالوا: عزيرٌ ابنُ الله، وفي نصارى نجران حيثُ قالوا: المسيحُ ابنُ الله، وفي مشركي العرب حيث قالوا: الملائكةُ بناتُ الله[5].

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٠٨).

(٢) رواه مسلم (٧٠٠)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: جواز صلاة النافلة على الدابة في السفر حيث توجهت.

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٨)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٦٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٩٦)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٣٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٠٦).

(٤) زيادة من «ن».

(٥) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٠٨)، =

﴿سُبْحَـٰنَهُۥ﴾ نزّهَ وعظّمَ نفسَهُ.

﴿بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ عَبيداً ومُلْكاً.

﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ﴾ أي: طائِعون.

***

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾.

[١١٧] ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أبدعَ؛ أي: اخترعَ بلا مثالٍ سَبَقَ.

﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ أي: قَدَّرَهُ، وأصلُ القضاءِ: الفراغُ، ومنه قيل لمن مات: قُضِي عليه؛ لفراغِه من الدنيا، ومنه قضاءُ الله وقدرُه؛ لأنه فُرِغَ منه تقديراً وتدبيراً، وقد وردَ لفظُ القضاءِ في القرآن على عشرةِ أوجُهٍ سيأتي ذكرُها في سورة الزخرف ـ إن شاء الله تعالى ـ.

﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: احْدُثْ فيحدُث. قرأ ابن عامر: (كُنْ فَيَكُونَ) بنصب النون في جميع المواضع، إلا في آل عمران: ﴿كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٩ـ ٦٠]، وفي الأنعام: ﴿كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٧٣]، وإنما نصبَها؛ لأن جوابَ الأمرِ بالفاءِ يكونُ منصوباً. وقرأ الباقونَ: بالرفع[١] على معنى: فهو يكون، فأما

= و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/ ٣٦٦).

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٨)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٦٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٩٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٦)، =

حرفُ آل عمران، فإن معناه: كنْ، فكانَ، وأما حرفُ الأنعام، فمعناهُ الإخبارُ عن القيامةِ، وهو كائنٌ لا محالةَ، ولكنه لما كانَ ما يُراد في القرآنِ من ذكرِ القيامة كثيراً يذكر بلفظ الماضي؛ نحو: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ [الحاقة: ١٥-١٦]، ونحوِ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، ونحو ذلك، فشابه ذلك، فرُفع، ولاشك أنه إذا اختلفت المعاني اختلفت الألفاظ. قال الأخفشُ الدمشقيُّ: إنما رفعَ ابنُ عامر في الأنعام على معنى سين الخبر؛ أي: فسيكون.

* * *

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾﴾.

[١١٨] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ هم الجهلةُ المشركون، نفَى العلمَ عنهم؛ لعدمِ انتفاعهم به.

﴿لَوْلَا﴾ أي: هلا.

﴿يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ عياناً أنَّكَ رسولُه.

﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ دلالةٌ وعلامةٌ على صدقك، قال الله تعالى:

﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾ أي: كفارُ الأمم الخالية.

﴿مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: أشبهَ بعضُها بعضاً في الكفرِ والعمَى.

= و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٠٦).

﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أنها آياتٌ يجبُ الاعترافُ بها والإيمان، ثم أوضح الآياتِ فقال:

* * *

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾.

[١١٩] ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالصدق، وهو القرآن.

﴿بَشِيرًا﴾ أي: مبشراً لأوليائي وأهلِ طاعتي بالثوابِ الكريم.

﴿وَنَذِيرًا﴾ أي: منذراً مخوِّفاً لأعدائي وأهلِ معصيتي بالعذابِ الأليمِ.

﴿وَلَا تُسْـَٔلُ﴾ قرأ نافعٌ ويعقوبُ: (وَلا تَسْأَلْ) بفتح التاء وجزم اللام على النهي، قال ابن عباس: وذلك أن النبي ﷺ قالَ ذاتَ يومٍ: «لَيْتَ شِعْرِي مَا فَعَلَ أَبَوَايَ»، فنزلت[١]. وقرأ الباقون (وَلاَ تُسْأَلُ) بالرفعِ على النفي؛ أي: ولستَ بمسؤولٍ[٢].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٥١٦)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٠ ـ ٢١)، و«تفسير البغوي» (١/ ١١٠)، و«العجاب» لابن حجر (١/ ٣٦٨)، و«الدر المنثور» (١/ ٢٧١)، و«لباب النقول» كلاهما للسيوطي (ص: ٢٨).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٩)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٠٩)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٦٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٩٨ـ٩٩)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٩١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٠٧).

﴿عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ ما لهم لم يوقنوا بعدما بَلَّغْتَ، والجحيمُ: مُعْظَمُ النار.

* * *

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾.

[١٢٠] ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ﴾ وذلك أنهم[1] كانوا يسألون النبي ﷺ الهدنةَ، ويُطْمِعونه أنه إن أمهلَهم، اتبعوه، فأنزل الله هذه الآيةَ[2]، معناه: إنك وإن هادَنْتَهم، فلا يرضَوْنَ بها، وإنما يطلبون ذلك تعَلُّلاً، ولا يرضَوْنَ منك إلا باتِّباع ملَّتهم، والملَّةُ: الطريقةُ.

﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ الذي هو الإسلام.

﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ﴾ الذي لا زيادةَ عليه.

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ الخطابُ مع النبي ﷺ، والمرادُ به الأمةُ؛ كقوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

﴿بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ﴾ أي: البيانِ بأنَّ دينَ الله هو الإسلامُ، والقبلة قبلَةُ إبراهيمَ، وهي الكعبةُ.

﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

---

(١) «أنهم» سقطت من «ت».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١١٠)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢١)، و«لباب النقول» للسيوطي (ص: ٢٨).

ونزلَ في أهل السفينةِ الذين قَدِموا مع جعفرِ بنِ أبي طالبٍ، وكانوا أربعين رجلاً: اثنانِ وثلاثون من الحبشة، وثمانيةٌ من رهبان الشام، منهم بحيرا الراهبُ. وقيل: فيمن آمنَ من اليهود: عبدِ الله بنِ سلامٍ وأصحابِه، وقيلَ: في أصحابِ محمدٍ ﷺ، وقيل: في جميع المؤمنين[1]:

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾.

[١٢١] ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ أي: يقرؤونه كما أُنزل، ولا يُحرِّفونه.

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ ﴾ من المحرِّفين[2].

﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ لاستبدالِهم الضلالةَ بالهدى.

* * *

﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾.

[١٢٢] ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

* * *

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢١).

(٢) في «ن»: «المجرمين».

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾.

[١٢٣] ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ ومعنى ﴿ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ ﴾ أي: ليستْ ثَمَّ، وليس المعنى أنه يشفَعُ فيهم أحدٌ فيُرَدُّ.

* * *

﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾.

[١٢٤] ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ ﴾ أي: واذكر إذا ابتلى، والابتلاءُ: الاختبارُ، وابتلاءُ اللهِ العبادَ ليسَ ليعلمَ حالَهم بالابتلاء؛ لأنه عالِمٌ بهم، ولكن ليُعلِم العبادَ أحوالَهم حتى يعرفَ بعضُهم بعضاً.

﴿ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ هو اسمٌ أعجميٌّ، ولذلكَ لا يُجرُّ، ومعناه بالسريانية: الأبُ الرَّحيمُ، وهو إبراهيمُ بنُ تارحَ بنِ ناحورَ، وكانَ مولدُه بكوثا، ولكن نقلَهُ أبوه إلى بابلَ أرضِ نمرودَ بنِ كنعانَ، عاش إبراهيمُ ـ عليه السلام ـ مئة وخمساً وسبعين سنةً، وقيل غيرُ ذلك، وبين وفاته والهجرةِ الشريفةِ الإسلامية ألفان وسبعُ مئةٍ وثماني عشرة سنةً، ودفن بمغارةِ حبرون[١] بجبلِ بيلُون تُجاهَ بيتِ المقدس مما يلي القبلةَ بمسافةٍ[٢] تقربُ من بَريدين، فقيل: إنها ثلاثةَ عشرَ ميلاً، وقيل: ثمانيةَ عشرَ ميلاً، ثم بنى سليمانُ ـ عليه السلام ـ على المغارة حيِّزاً بأمر الله تعالى، ولم يثبتْ قبرُ نبيٍّ من الأنبياء سوى قبرِ

(١) في «ن»: «جبرون».

(٢) في «ن»: «من مسافة».

نبيِّنا محمدٍ ﷺ بداخلِ الحُجْرَةِ الشريفةِ بِطَيْبَةَ المشرَّفَةِ، وقبرِ الخليلِ ـ عليه السلام ـ بداخلِ الحيِّزِ السُّليمانيِّ، وما عداهما من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، فمحل قبورهم بالظنِّ لا بالقَطْع. قرأ هشامٌ: (إبْرَاهَام) بالألفِ جميعَ ما في هذه السورة، وجملتُه خمسةَ عشرَ موضعاً، واختُلِف عن ابنِ ذكوانَ، وكذلك رُوي عنهما في مواضعَ أخرَ يأتي ذكرُها في محلِّها، جملتُها ثمانيةَ عشرَ موضعاً غيرَ ما في هذه السورة، ووجهُ خصوصيَّةِ هذه المواضعِ، وهي ثلاثةٌ وثلاثون موضعاً: أنها كُتبت في المصاحف الشامية بحذفِ الياء منها خاصَّةً، وكذلك وُجدت في المصحفِ المدنيِّ، وكُتب في بعضها في سورة البقرة خاصَّةً، ورُوي عن ابن عامرٍ الألفُ في جميع القرآن[1].

﴿رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ هنَّ شرائعُ الإسلام.

﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أي: أَدَّاهُنَّ وعملَ بهنَّ.

﴿قَالَ﴾ الله ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ يُقْتدى بكَ في الخير.

﴿قَالَ﴾ إبراهيمُ ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ أي: من أولادي أيضاً، فاجعلْ منهم أئمةً يُقْتدى بهم.

﴿قَالَ﴾ الله تعالى:

﴿لَا يَنَالُ﴾ لا يصيب.

﴿عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: مَنْ كان منهم ظالماً لا يصيبُه عهدي؛ أي: الإمامةُ. ونصب (الظَّالمين)؛ لأن العهدَ يَنالُ كما يُنال. قرأ حمزةُ، وحفصٌ

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٩)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٣٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٠١)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٦٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢١ـ٢٢٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١١٠).

(عَهْدِي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[1]، ومعنى الآية: لا ينالُ ما عهدتُ إليك من النبوةِ والإمامةِ من كان ظالماً من ولدِك.

***

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾.

﴿ وَإِذْ ﴾ عطفٌ على (إذ) المتقدمة.

﴿ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ ﴾ يعني: الكعبة. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ، وعاصمٌ، وابنُ ذكوانَ، والكسائيُّ، وخَلاَّدٌ، ويعقوبُ، وخلفٌ: (وَإِذْ جَعَلْنَا) بإظهارِ ذالِ (إذ) عندَ الجيم حيثُ وقع، والباقون: بالإدغام[2].

﴿ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ أي: مرجِعاً لهم.

﴿ وَأَمْنًا ﴾ يأمَنون فيه من إيذاء المشركين؛ فإنهم ما كانوا يتعرضون لأهل مكة، ويقولون: هم أهلُ الله، ويتعرَّضون لمن حولَهُ.

﴿ وَٱتَّخِذُواْ ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: بفتح الخاء على الخبر، والباقون: بكسرها على الأمر[3].

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٠١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٣٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١١٠).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٤١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١١١).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: =

﴿ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ ﴾ والصحيحُ أن مقام إبراهيم هو الحجرُ الذي في المسجد يصلِّي خلفه الإمامُ المقلِّدُ لمذهب الشافعيِّ، وذلك الحجرُ الذي قامَ عليه إبراهيمُ عندَ بناءِ البيت.

وعن عمرَ ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «وافقتُ اللهَ في ثلاثٍ، ووافَقَني ربي في ثلاث: قلتُ: يا رسولَ الله! لو اتخذتَ من مقامِ إبراهيمَ مُصَلًّى، فأنزل الله ـ عز وجل ـ: ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ ﴾، وقلتُ: يا رسول الله! يدخلُ عليك البَرُّ والفاجِرُ، فلو أمرتَ أمهاتِ المؤمنينَ بالحجاب[1]، فأنزل الله آيةَ الحجاب، قال: وبلغني معاتبةُ النبيِّ ﷺ بعضَ نسائِهِ، فدخلتُ عليهنَّ، قلتُ: إنِ انتهيتنَّ أو ليبدلَنَّ اللهُ رسولَه خيراً منكُنَّ، فأنزلَ الله ـ عز وجل ـ: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ ﴾[2] [التحريم: ٥].

وأما قصةُ المقامِ، فروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: «لما أتى إبراهيمُ بإسماعيلَ وهاجرَ، ووضعَهما بمكَّةَ، وأتت على ذلكَ مدَّةٌ، ونزلَها الجُرْهمِيُّون، وتزوَّجَ إسماعيلُ منهم امرأةً، وماتتْ هاجَرُ، استأذنَ إبراهيمُ سارةَ أن يأتيَ مكَّةَ، فأذنتْ له، وشرطَتْ ألاَّ ينزلَ، فقدمَ إبراهيمُ فذهبَ إلى بيتِ إسماعيل، فقال لامرأته: أينَ صاحِبُك؟ قالت:

= ١٩٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢١٠)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٦٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٠٢)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٣٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١١١).

(١) في «ن»: «الحجاب».

(٢) رواه البخاري (٤٢١٣)، كتاب: التفسير، باب: ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ ﴾ عن أنس. ورواه مسلم (٢٣٩٩)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عمر ـ رضي الله عنه ـ، عن ابن عمر مختصراً.

ذهبَ يتصيَّدُ، وكان إسماعيلُ يخرج من الحَرِمِ فيصيدُ، فقال لها إبراهيم: هل عندَكِ ضيافةٌ؟ قالت: ليسَ[1] عندي، وسألها عن عَيْشِهم، فقالت: نحنُ في ضِيقٍ وشدَّةٍ، وشكت إليه، فقال لها: إذا جاءَ زوجُكِ فأقرئيه السَّلامَ، وقولي له: فليغيرْ عتبةَ بابِه، وذهبَ إبراهيمُ فجاءَ إسماعيلُ فوجدَ ريحَ أبيه، فقالَ لامرأته: هل جاءكِ أحدٌ؟ قالت: جاءني شيخٌ من صفتِه كَذا وكَذا؛ كالمستخفَّةِ[2] بشأنِه، قالَ: فما قالَ لكِ؟ قالتْ: قالَ: أَقرئي زوجَكِ السلامَ، وقولي له يغيرْ عتبةَ بابه، قال: ذاكَ أبي، وقد أمرني أَنْ أفارقَكِ، الحَقِي بأهلِك، فطلَّقَها، وتزوَّجَ منهم أخرى، فلبثَ إبراهيمُ ما شاءَ الله، ثم استأذنَ سارةَ أن يزورَ إسماعيلَ، فأذنتْ له، وشرطَتْ عليه ألاَّ ينزلَ فجاءَ إبراهيمُ حتى انتهى إلى بابِ إسماعيل، فقال لامرأته: أينَ صاحبُك؟ قالت: ذهبَ يتصيَّدُ، وهو يجيءُ الآن إن شاءَ الله، فانزلْ يَرْحَمْكَ الله، قال: هلْ عندَكِ ضيافةٌ؟ قالتْ: نعم، فجاءت باللبنِ واللحمِ، وسألها عن عَيْشِهم، فقالت: نحنُ بخير وسَعَة، فدعا لهما بالبركة، ولو جاءت يومئذٍ بخبز أو بُرٍّ أو شعيرٍ أو تمرٍ، لكانت أكثرَ أرضِ الله بُرّاً وشعيراً وتمراً، فقالت له: انزلْ حتى أغسلَ رأسَكَ، فلم ينزلْ، فجاءته بالمقام، فوضعَتْه عن شِقِّهِ الأيمن، فوضع قدمَه عليه، فغسلت شِقَّ رأسِهِ الأيمنَ، ثم حَوَّلَتْه إلى شِقِّه الأيسرِ، فغسلت شِقَّ رأسِه الأيسرَ، فبقيَ أثرُ قدميه عليه، فقال لها: إذا جاءَ زوجُك، فأقرئيهِ السلامَ، وقولي له: قدِ استقامتْ عتبةُ بابِكَ، فلما جاء إسماعيلُ، وجدَ ريحَ أبيه، فقال لامرأته: هل جاءكِ أحدٌ؟ قالتْ: نعمْ شيخٌ أحسنُ

(١) في «ت»: «ليست».

(٢) في «ن»: «كالمستخفية».

الناسِ وجهاً، وأطيبُهم ريحاً، وقال لي: كذا وكذا، وقلت له: كذا وكذا، وغسلتُ رأسه، وهذا موضع قدميه، فقال: ذاك إبراهيمُ، وأنتِ العتبةُ، أمرني أَنْ أُمْسِكَكِ».

وعن ابن عباسٍ أيضاً قال: «ثم لبثَ عنهم ما شاءَ الله، ثم جاء بعدُ وإسماعيلُ يَبْري نَبْلاً تحت دوحة قريباً من زمزم، فلما رآه، قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالدُ بالولد، والولدُ بالوالد، ثم قال: يا إسماعيل! إن الله أمرني بأمرٍ تُعينني عليه؟ قال: أُعينك، قال: إن الله أمرني أن أبنيَ هاهنا بيتاً، فعندَ ذلكَ رفعَ القواعدَ من البيتِ، فجعل إسماعيلُ يأتي بالحجارةِ، وإبراهيمُ يبني حتى ارتفعَ البناءُ، جاءَ بهذا الحجر، فوضعه له، فقام إبراهيمُ على حَجَر المقام، وهو يبني وإسماعيلُ يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]»[١].

وفي الخبر: «الرُّكْنُ والمَقَامُ يَاقُوتَتَانِ مِنْ يَوَاقِيتِ الجَنَّةِ، وَلَوْلاَ مَا مَسَّتْهُ أَيْدِي المُشرِكِينَ، لأَضَاءَتَا مَا بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ»[٢].

---

(١) رواه البخاري (٣١٨٤)، كتاب: الأنبياء، باب: ﴿يَزِفُّونَ﴾. وانظر: «تفسير البغوي» (١/ ١١٣).

(٢) رواه الترمذي (٨٧٨)، كتاب: الحج، باب: ما جاء في فضل الحجر الأسود والركن والمقام، وقال: حديث غريب، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢١٣)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٧٣١)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٧١٠)، والحاكم في «المستدرك» (١٦٧٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٧٥)، وغيرهم، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ـ بلفظ: «إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة، طمس الله نورهما، ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب». وما ذكره المؤلف من لفظ الحديث، فإنما نقله عن البغوي في «تفسيره» (١/ ١١٤).

﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ أي: أمرناهما، وأوصينا إليهما، وسُمِّي إسماعيل؛ لأن إبراهيمَ كان يدعو اللهَ أن يرزقَه ولداً، ويقولُ: اسمعْ يا إيل، وإيلُ هو الله، فلما رُزق، سماه به[١]، وقيل: معناه بالعبراني مطيعُ الله، وأمُّه هاجرُ، وُلد لمضيِّ ستٍّ وثمانينَ سنةً من عُمْرِ إبراهيمَ، وأرسله الله إلى قبائلِ اليمنِ وإلى العماليقِ، وعاش مئةً وسبعاً وثلاثين سنةً، ومات بمكةَ، ودفنَ عندَ قبرِ أمِّهِ بالحِجْر، وكانت وفاتُه بعدَ وفاة أبيه إبراهيمَ بثمانٍ وأربعين سنةً.

﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ﴾ يعني: الكعبةَ، أضافه إليه تخصيصاً وتفضيلاً؛ أي: ابنياه على الطهارة والتوحيد. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وهشامٌ، وحفصٌ (بَيْتِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[٢].

﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ الدائرين حولَهُ.

﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ المقيمينَ والمجاوِرين.

﴿وَٱلرُّكَّعِ﴾ جمعُ راكعٍ.

﴿ٱلسُّجُودِ﴾ جمع ساجدٍ، وهم المصلُّون.

* * *

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١٠٤).

(٢) انظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٠٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١١٢).

مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾.

[١٢٦] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا﴾ يعني: المكانَ.

﴿بَلَدًا ءَامِنًا﴾ أي: ذا أمنٍ يأمنُ فيه أهلُه.

﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ إنما دعا بذلك؛ لأنه كان بوادٍ غيرِ ذي زرعٍ، وفي القصص أن الطائفَ كان من مدائنِ الشام بِأُرْدُنَّ، فلما دعا إبراهيمُ ـ عليه السلام ـ هذا الدعاءَ أمرَ اللهُ جبريلَ ـ عليه السلام ـ حتى قلعَها من أصلِها، فأدارَها حولَ البيت سبعاً، ثم وضعَها موضعَها الذي هي الآن فيه، فمنها أكثرُ ثمراتِ مكةَ[1].

﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ دعا للمؤمنين خاصَّةً.

﴿قَالَ﴾ الله تعالى.

﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ﴾ أي: أَمُدُّ له؛ ليتناول من لذات الدنيا؛ إثباتاً للحجة عليه، وأصلُ المتوع: الامتداد. قرأ ابنُ عامرٍ: (فَأُمْتِعُهُ) بسكون الميم وتخفيف التاء، والباقون: بفتح الميم وتشديد التاء[2]، ومعناهما واحد.

﴿قَلِيلًا﴾ إلى منتهى أجلِه، وذلك أن الله تعالى وعدَ الرزقَ للخلق كافَّة، مؤمِنِهم وكافرِهم، وإنما قيد بالقلة؛ لأن متاعَ الدنيا قليل.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١٠٥).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٦٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٠٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١١٢).

﴿ ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ ﴾ أي: أُلجئه في الآخرة.

﴿ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ المرجعُ الذي يصير إليه. قرأ أبو جعفرٍ، وقالونُ، وأبو عمرٍو (بِيسَ) بغير همز، والباقون بالهمز(١).

* * *

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾.

[١٢٧] ﴿ وَإِذْ ﴾ أي: واذكرْ إذ.

﴿ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ ﴾ وتعطفُ على إبراهيمَ.

﴿ وَإِسْمَٰعِيلُ ﴾ روي أن الله خلقَ موضعَ البيت قبلَ الأرضِ، بألفي عامٍ، وكانت زَبَدَةً بيضاءَ على الماء، فَدُحِيَتِ الأرضُ من تحتِها، فلما أهبطَ اللهُ آدمَ إلى الأرض، استوحشَ، فشكا إلى الله تعالى، فأنزل الله البيتَ المعمورَ من ياقوتةٍ من ياقوتِ الجنةِ له بابان من زُمُرُّدٍ أخضرَ، له بابٌ شرقيٌّ، وبابٌ غربي، فوضعَه على موضع البيت، وقال: يا آدمُ! إني أهبطتُ إليك بيتاً تطوفُ به كما يُطاف حولَ عرشي، وتصلي عنده كما يُصَلَّى عندَ عرشي، وأنزلَ الحجرَ، وكان أبيضَ، فاسودَّ من لمسِ الحُيَّضِ في الجاهلية، فتوجه آدمُ من أرضِ الهندِ إلى مكة ماشياً، وقيَّضَ اللهُ له مَلَكاً يدلُّه على البيت، فحجَّ البيتَ، وأقامَ المناسكَ، فلمَّا فرَغَ، تلقَّتْهُ الملائكةُ وقالوا: بَرَّ حَجُّكَ يا آدمُ، لقد حججْنا هذا البيتَ قبلَك بألفي عامٍ.

---

(١) انظر: «إتحاف الفضلاء» للدمياطي (ص: ١٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١١٤).

قالَ ابنُ عباس: حجَّ آدمُ أربعينَ حجَّةً من الهندِ إلى مكة على رجليه، وكان على ذلك إلى أيامِ الطوفان، فرفعه الله إلى السماء الرابعة، يدخلُه كلَّ يوم سبعون ألفَ ملكٍ لا يعودون إليه، وبعثَ اللهُ جبريلَ حتى خَبَأَ الحجرَ الأسودَ في جبل أبي قُبيس؛ صيانةً له من الغرق، وكان موضعُ البيتِ خالياً إلى زمن إبراهيم ـ عليه السلام ـ، ثم إن الله تعالى أمر إبراهيم بعدَ ما وُلد له إسماعيلُ وإسحاقُ ببناء بيتٍ يُذْكَر فيه، فسأل الله ـ عز وجل ـ أن يبين له موضعَهُ، فبعثَ اللهُ سبحانَه سحابةً على قَدْرِ الكعبة، فجعلتْ تسيرُ وإبراهيمُ يمشي في ظِلِّها إلى أن وافَتْ مكةَ، ووقفتْ على موضع البيتِ، فَنُودي منها: يا إبراهيم! أن ابنِ على ظِلِّها لا تزدْ ولا تنقصْ، فبنى إبراهيمُ وإسماعيلُ البيتَ، فكان إبراهيمُ يبنيه، وإسماعيلُ يناولُه الحجارة، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ يعني: الأساسَ، جمعُ قاعدةٍ، فلما انتهى إبراهيمُ إلى موضعِ الحجرِ الأسودِ، قال لابنهِ إسماعيلَ: ائتني بحجرٍ حَسَنٍ يكونُ للناسِ عَلَماً، فأتاه بحجرٍ، فقال: ائتني بأحسنَ من هذا، فمضى إسماعيلُ[1] يطلبه، فصاحَ أبو قُبيس: يا إبراهيمُ! إن لكَ عندي وديعةً فخذْها، فأخذَ الحجرَ الأسودَ فوضعَه مكانَه.

وقيل: أولُ مَنْ بنى الكعبةَ في الأرض الملائكةُ بأمرِ اللهِ بحيالِ البيتِ المعمورِ في السماءِ على قدرِه ومثالِه، وقيلَ: أولُ من بنى الكعبةَ آدمُ، واندرسَ زمنَ الطوفان، ثم أظهرَه الله لإبراهيمَ حتى بناه[2].

---

(١) في «ت»: «إبراهيم».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١٠٥ ـ ١٠٦)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٢٦٥).

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ﴾ فيه إضمار؛ أي: ويقولان: رَبَّنا تقبلْ منا بناءَنا البيت.

﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لدعائِنا.

﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بنياتنا.

* * *

﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (١٢٨) ﴾.

[١٢٨] ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ﴾ أي: صَيِّرْنا موحِّدَيْنِ مطيعَيْن مخلِصَين خاضعين لك، وكانا كذلك، وإنما أرادا[1] التثبيتَ والدوامَ، والإسلامُ في هذا الموضعِ الإيمانُ والأعمالُ جميعاً.

﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ ﴾ أي: ومن أولادنا.

﴿ أُمَّةً ﴾ جماعةً، والأمةُ: أتباعُ الأنبياء.

﴿ مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ خاضعةً لك، و(من) هنا للتبعيض، وخص من الذرية بعضاً؛ لأن الله تعالى أعلَمَهُ أن منهم ظالمين.

﴿ وَأَرِنَا ﴾ عَلِّمْنا. قرأ ابنُ كثيرٍ ويعقوبُ: (وَأَرْنا) بإسكان الراء، وأبو عمرو: بالاختلاس، والباقون: بكسرها[2]، وأصلُها: أَرينا، فحذفت

---

(١) في «ن» و«ت»: «أراد».

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٠٦-١٠٧)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٩٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١١٥).

الياء للجزم، ونقلَتْ حركةُ الهمزة إلى الراء، وحُذفت تخفيفاً، ومن سكن قال: ذهبت الهمزةُ، فذهبت حركتُها.

﴿مَنَاسِكَنَا﴾ شرائعَ ديننا، وأعلامَ حَجِّنا، وأصلُ النسكِ: العبادةُ، والناسكُ: العابد، فأجاب الله دعاءهما، وبعث جبريل ـ عليه السلام ـ فأراهما المناسكَ في يومِ عرفةَ، فلما بلغَ عرفاتَ، قال: عرفتَ يا إبراهيم؟ قال: نعم، فسمي الوقتُ عرفةَ، والموضعُ عرفاتٍ(١).

﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾ وتجاوزْ عنا.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ لمن تاب.

* * *

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾.

[١٢٩] ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ﴾ أي: في الأمة المسلمة من ذرية إبراهيمَ وإسماعيلَ.

﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ أي: مرسَلاً، وأراد به محمداً ﷺ. قال ابنُ عباس: «كلُّ الأنبياءِ من بني إسرائيل إلا عشرةً: نوحٌ، وهودٌ، وصالحٌ، وشعيبٌ، ولوطٌ، وإبراهيمُ، وإسماعيل، وإسحقُ، ويعقوبُ، ومحمدٌ ـ صلواتُ اللهِ عليهم أجمعين ـ»(٢).

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١٠٧).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٧٢٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤١٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٣٣).

﴿ يَتْلُوا۟ ﴾ يقرأُ.

﴿عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ﴾ كتابَكَ يعني: القرآنَ، والآيةُ من القرآنِ: كلامٌ متصلٌ إلى انقطاعه، وتقدم الكلامُ على ذلك بأتمَّ من هذا في أولِ التفسير عندَ الكلام على معنى السورةِ والآيةِ.

﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ أي: القرآنَ.

﴿ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ أي: مواعظَه وما فيه من الأحكام، وقيل: الشريعة.

﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ ﴾ أي: يطهِّرُهُم من الشِّركِ والذُّنوبِ.

﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي يَقْهَرُ ولا يُقهر، والعزَّةُ: القوةُ.

﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ المصيبُ مواقعَ الفعلِ، المحكِمُ لها. ثم استفهمَ منكراً بقوله:

* * *

﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾.

[١٣٠] ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ وذلك أنَّ عبدَ الله بنَ سلامٍ دعا ابني أخيه سلمةَ ومهاجراً إلى الإسلام، فقال لهما: قد علمتُما أن الله ـ عز وجل ـ قال في التوراة: إني باعثٌ من وَلَدِ إسماعيلَ نبياً اسمُه أحمدُ، فمن آمنَ به، فقد اهتدى، ومن لم يؤمن به، فهو ملعونٌ، فأسلمَ سلمةُ، وأبى مهاجرٌ أن يسلم، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾[1] أي:

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١٠٨)، و«العجاب» لابن حجر (١/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩)، و«لباب النقول» للسيوطي (١/ ٢٩).

يتركُ دينَه وشريعتَه، يقال: رغبَ في الشيء: إذا أرادَه، ورغبَ عنه: إذا تركه، والمعنى: ما يرغبُ عن ملة إبراهيمَ.

﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ أي: خسرَ نفسَه، وامتهنَها، والسفاهةُ: الجهلُ وضعفُ الرأي، وكلُّ سفيهٍ جاهلٌ، وذلك أن من عبدَ غيرَ الله، فقد[1] جهل نفسَه، لأنه لم يعرفِ اللهَ خالقَها، وقد جاء: مَنْ عرفَ نفسَهُ، فقد عَرَفَ رَبَّهُ.

﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ﴾ اخترناه.

﴿فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ يعني: مع الأنبياء في الجنة.

* * *

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾.

[١٣١] ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾ أي: اسْتَقِمْ على الإسلام، واثبتْ عليه؛ لأنه كان مسلماً، والعاملُ في (إذ) اصطفيناه.

﴿قَالَ أَسْلَمْتُ﴾ أي: فوَّضْتُ أموري.

﴿لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وقد حَقَّقَ ذلكَ حينَ لم يستعنْ بأحدٍ من الملائكة حين أُلقي في النار.

* * *

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾.

[١٣٢] ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ﴾ أي: بالملة ﴿إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ﴾ وهم[2]: إسماعيلُ

---

(١) «فقد» سقطت من «ت».

(٢) في «ن»: «وهو».

من هاجرَ القبطية، وإسحاقُ من سارةَ، وستةٌ من امرأةٍ تزوَّجها من الكنعانيين بعدَ موتِ سارة اسمها قُطورا بنتُ يَقْطن[1]، وهم: مَدْيَنُ، ومَدَانُ، ويَقْشان، وزُمْرانُ، ويَشْبُق، وشُوَح. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ: (وَأَوْصَى) بالألف، وكذلك هو في مصاحفِ المدينةِ والشام، والباقون: مشدداً بغير ألف، وهما لغتان مثل نَزَّلَ وأَنزلَ[2].

﴿وَيَعْقُوبُ﴾ ورفعُ (يعقوب) عطفٌ على إبراهيم، معناه: ووصَّى إبراهيمُ بنيهِ، ويعقوبُ بنيه الاثني عشر؛ كما وصَّى إبراهيمُ بنيهِ الثمانيةَ، وسيأتي ذكرُ أسماءِ بني يعقوبَ أولَ سورةِ يوسفَ، ويعقوبُ سمي بذلك؛ لأنه والعيصَ كانا توأمينِ، فتقدَّم عيصٌ في الخروج من بطن أمه، وخرج يعقوبُ على إثره آخذاً بعقبه، وعاشَ مئة وسبعاً وأربعينَ سنةً، ومات بمصرَ، وأوصى أن يُحمل إلى الأرض المقدَّسة، ويدفنَ عندَ أبيه وجدِّه، فحمله ابنُه يوسفُ ودفنَهُ عندَهما بمغارة حبرون[3].

﴿يَٰبَنِيَّ﴾ معناه: أن[4]: يا بني.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ﴾ اختار.

---

(١) في «ن»: «يقطف».

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٠٩)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٩٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١١٦).

(٣) في «ن»: «جبرون».

(٤) في «ن»: «أي».

﴿لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ أي: دينَ الإسلام.

﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ أي: مؤمنون، والنهيُ في ظاهر الكلام وقعَ على[1] الموت، وإنما نُهوا في الحقيقة عن ترك الإسلام، معناه: داوموا على الإسلامِ حتى لا يصادفَكم الموتُ إلا وأنتم مسلمون.

***

﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٣﴾.

[١٣٣] ﴿أَمۡ كُنتُمۡ﴾ أي: أَكُنتم.

﴿شُهَدَآءَ﴾ جمعُ شهيدٍ بمعنى الحاضرِ، يريد: ما كنتم حضوراً.

﴿إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ﴾ أي: حينَ قربَ يعقوبُ من الموت. قرأ الكوفيون، وابنُ عامرٍ، ورَوْحٌ: (شُهَدَاءَ إِذْ) بتحقيق الهمزتين، وقرأ الباقون: بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، وهي أن تجعل بينَ بينَ[2]. نزلتْ إنكاراً على اليهود حينَ قالوا للنبي ﷺ: ألستَ تعلمُ أن يعقوبَ يومَ ماتَ أوصى بنيهِ باليهودية؟[3].

﴿إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ﴾ بدلٌ من (إذ) قبلَها، العاملُ فيهما (شُهَداءَ). ورُوي أنه

---

(١) في «ن»: «عند».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١١٧).

(٣) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢١)، و«تفسير البغوي» (١/ ١١٠).

لما دخلَ يعقوبُ مصرَ، ورآهم يعبدونَ الأصنامَ، فخافَ على ولده، فقال لهم وقد جمعَهم: قد حضر أجلي[1].

﴿ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي ﴾ أي: بعدَ موتي، و(ما) هنا بمعنى (مَنْ) يدلُّ عليه (أن).

﴿ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ ﴾ وكان إسماعيلُ عَمّاً لهم، والعربُ تسمِّي العمَّ أباً، كما تسمي الخالةَ أُمّاً، قال النبي ﷺ: «عَمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبيهِ»[2]، وقال في عمه العباس: «رُدُّوا عَلَيَّ أَبِي؛ فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ تَفْعَلَ بِي قُرَيْشٌ مَا فَعَلَتْ ثَقِيفٌ بِعُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ»[3]، وذلك أنهم قتلوه.

وإسحاقُ هو ابنُ إبراهيمَ ـ عليه السلام ـ، وأمه سارةُ، ولدتْهُ ولها تسعونَ سنةً، ولأبيهِ إبراهيمَ مئةٌ وعشرون سنةً، وكانَ إسحقُ ضريراً، وكان هو وإسماعيلُ ولوطٌ ويعقوبُ أنبياءَ على عهدِ إبراهيمَ[4] ـ صلواتُ الله عليهم أجمعين ـ، وعاش إسحاقُ مئةً وثمانين سنة، ودُفن عند أبيه بمغارة حبرون[5].

﴿ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا ﴾ نصبٌ على البدلِ من قوله: (إِلَهَكَ).

---

(1) انظر: «تفسير البغوي» (1/ 110).

(2) رواه مسلم (983)، كتاب: الزكاة، باب: في تقديم الزكاة ومنعها، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(3) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (36902)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (3/ 314)، عن عكرمة مرسلاً. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (1/ 89).

(4) في «ن»: «أبيهم».

(5) في «ن»: «جبرون».

﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ قرأ أبو عمرٍو: (وَنَحْن لَّهُ) بإدغام النون في اللام[1].

ثم أشار إلى إبراهيمَ وأولادِه المذكورينَ الموحِّدين إسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ بقوله:

* * *

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾.

[١٣٤] ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ ﴾ جماعةٌ.

﴿ قَدْ خَلَتْ ﴾ مضتْ.

﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾ من العمل.

﴿ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ تلخيصُه: لا يُسأل أحدٌ إلا عن عمله فقط، لا عن عملِ غيرِه.

* * *

﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾.

[١٣٥] ﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ﴾ نزلتْ في رؤوس يهودِ المدينة: كعبِ بنِ الأشرفِ، ومالكِ بنِ الصَّيْفِ[2]، ووَهْبِ بنِ يهوذا،

---

(١) انظر: «إتحاف الفضلاء» للدمياطي (ص: ١٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١١٩).

(٢) في جميع النسخ: «الضيف».

وأبي ياسرِ بنِ أخطبَ[1]، وفي نصارى أهلِ نجرانَ: السيدِ والعاقبِ وأصحابِهما، وذلك أنهم خاصموا المسلمين في الدين، كلٌّ فرقة تزعم أنها أَحقُّ بدين الله، فقالت اليهود: نبينا موسى أفضلُ الأنبياء، وكتابنا التوراةُ أفضلُ الكتب، وديننا أفضلُ الأديان، وكفرتْ بعيسى والإنجيلِ، وبمحمدٍ ﷺ والقرآنِ، وقالت النصارى: نبينا عيسى أفضلُ الأنبياء، وكتابنا الإنجيلُ أفضلُ الكتب، وديننا أفضلُ الأديان، وكفرتْ بمحمدٍ والقرآن، وقال كلُّ واحدٍ من الفريقين للمؤمنين: كونوا على ديننا، فلا دينَ إلا ذلك[2]، فقال الله ـ عزوجل ـ:

﴿قُلْ﴾ يا محمدُ.

﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ أي: بل نتبعُ ملَّةَ إبراهيمَ.

﴿حَنِيفًا﴾ نصبٌ على الحال؛ أي: مائلاً عن الباطل إلى الحقِّ، وأَصلُه من الحَنَفِ، وهو مَيْلٌ وعِوَجٌ يكون في القدم.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ وهذا توبيخٌ للكفارِ أهلِ الكتاب؛ لأنهم كانوا يَدَّعون أنهم على ملَّته، وهم على الشرك.

ثم علَّم المؤمنين طريقَ الإيمان، فقال تعالى:

***

---

(١) في «ن»: «الأحطب».

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢١)، و«تفسير البغوي» (١/ ١١١)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/ ٣٨٠ ـ ٣٨١).

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ ﴾.

[١٣٦] ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾ يعني: القرآن.

﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ ﴾ وهو عشرُ صُحَفٍ.

﴿ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ ﴾ يعني: أولادَ يعقوبَ، واحدُهم سبطٌ، وهم اثنا عشرَ سِبْطاً، سُمُّوا بذلك؛ لأنه وُلد لكلِّ واحدٍ منهم[١] جماعةٌ، وسبطُ الرجلِ: حافِدَتُهُ، ومنه قيل للحسن والحسين: سِبْطا رسول الله ﷺ، فالأسباطُ من بني إسرائيل كالقبائلِ من العرب من بني إسماعيلَ والشعوبِ من العجم، وكان في الأسباط أنبياءُ، وسنذكرُ أولادَ يعقوبَ الذين هم آباءُ الأسباطِ في سورة يوسف ـ إن شاء الله تعالى ـ.

﴿ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ ﴾ يعني: التوراة.

﴿ وَعِيسَىٰ ﴾ يعني: الإنجيل.

﴿ وَمَآ أُوتِيَ ﴾ أُعْطِيَ.

﴿ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ ﴾ من الكتبِ والآيات.

﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ ﴾ فنؤمنُ ببعضٍ ونكفرُ ببعض كما فعلت اليهود والنصارى.

﴿ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ تقدَّمَ مذهبُ أبي عمرٍو في إدغام (وَنَحْن لَّهُ).

* * *

(١) «منهم» سقطت من «ن».

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾.

[١٣٧] ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ أي: بما آمنتم به، والمثلُ صلةٌ؛ كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]؛ أي: ليسَ كهوَ شيءٌ.

﴿فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أي: أعرضوا عما تدعونهم إليه من الإيمان.

﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾ أي: خلافٍ وعداوةٍ.

﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ يا محمدُ؛ أي: يكفيكَ شرَّ اليهودِ والنصارى، وقد كُفي بإجلاءِ بني النَّضيرِ، وقَتْلِ بني قُرَيظةَ، وضَرْبِ الجزيةِ على اليهود والنصارى.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بأفعالهم.

***

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾.

[١٣٨] ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ أي: دينَ الله، وهو نصبٌ على الإغراء؛ يعني: الزموا دينَ الله، وإنما سماه صبغةً؛ لأنه يظهرُ أثرُ الدين على المتديِّنِ كما يظهرُ أثر الصِّبْغِ على الثوب، قال ابنُ عباس: «هي أنَّ النصارى إذا وُلد لهم ولدٌ، فأتى عليه سبعةُ أيام، غمسوه في ماءٍ لهم أصفر يقال له: المعموديَّةُ، وصبغوه به، ليطهروه بذلكَ مكانَ الخِتان، فإذا فعلوا به ذلك، قالوا: الآنَ صار نصرانياً حَقّاً، فأخبرَ الله تعالى أن دينه الإسلامُ، لا ما يفعلُه النصارى[1].

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ١١٣)، =

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾ أي: ديناً.

﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ مُطيعون.

* * *

﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ ﴾.

[١٣٩] ﴿ قُلْ ﴾ يا محمدُ لليهود والنصارى:

﴿ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ ﴾ في دينِ اللهِ، والمحاجَّةُ: المجادلةُ لإظهار الحُجَّة، وذلك أنهم قالوا: إن الأنبياءَ كانوا منا، وعلى ديننا، ودينُنا أقدمُ، فنحن أَوْلى بالله منكم، فقال تعالى: ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ ﴾.

﴿ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾ أي: نحن وأنتم سواءٌ في الله؛ فإنه ربُّنا وربُّكم.

﴿ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ﴾ أي: لكلِّ واحدٍ جزاءُ عملِه.

﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴾ يعني: كيف تدَّعون أنكم أَوْلى بالله، ونحن له مخلصون، وأنتم به مشركون؟! والإخلاصُ: أن يخلصَ العبدُ دِينَهُ[١] وعملَه لله، فلا يشركُ به في دينه، ولا يرائي بعمله.

* * *

﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ

= و«زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ١٥١)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤).

(١) في «ن»: «العبودية» بدل «العبد دينه».

﴿كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾.

[١٤٠] ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ يعني: أيقولون؟ صيغتُه صيغةُ الاستفهام، ومعناه التوبيخُ. قرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وحفصٌ، ورُويسٌ: (تَقُولُونَ) بالخطاب؛ لقوله: ﴿أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ﴾، وقالَ بعده[١]: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ﴾، وقرأ الباقونَ بالغيب؛ يعني: يقولُ اليهودُ والنصارى[٢].

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ قُلْ﴾ يا محمدُ.

﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ﴾ بدينهم.

﴿أَمِ ٱللَّهُۗ﴾ وقد أخبرَ الله تعالى أنَّ إبراهيم لم يكن يهودياً، ولا نصرانياً، ولكن كان حنيفاً مسلماً، وهذا تقريرٌ على فسادِ دعواهم؛ إذ لا جوابَ لمفطورٍ ـ [أي: مخلوق][٣] ـ إلا أن الله تعالى أعلمُ. وتقدَّم اختلاف القراءة في حكم الهمزتين من كلمة عند قوله تعالى: (ءَأَنْذَرْتَهُمْ)، وكذلك اختلافُهم في قوله: (ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ).

---

(١) في «ت»: «بعد».

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢١٩)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٩)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٦٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ١١٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٢٠).

(٣) «أي: مخلوق» سقطت من «ن».

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ ﴾ أي: أخفى. قرأ أبو عمرٍو: (أَظْلَم مِّمَّنْ) بإدغامِ الميمِ في الميم(١).

﴿ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ وهي علمُهم بأن(٢) إبراهيمَ وبنيه كانوا مسلمين، وأن محمداً حَقٌّ ورسولٌ، أشهدَهُم اللهُ عليه في كتبهم، لفظُه الاستفهامُ، والمعنى: لا أحدَ أظلمُ منهم، وإياهم أرادَ الله تعالى بكتمان الشهادة، ثم تهدَّدَهم فقال:

﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ثم كرر:

* * *

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ ﴾.

[١٤١] ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ تأكيداً.

* * *

﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾.

[١٤٢] ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ أي: الجهَّالُ من الناس وهم مشركو مكة، واليهودُ.

﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ ﴾ صرفَهم وحوَّلَهم.

---

(١) عند تفسير الآية (٤) من سورة الفاتحة.

(٢) في «ت»: «أن».

﴿عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ﴾ يعني: بيت المقدس، والقبلةُ فِعْلَةٌ من المقابلة، سميت قبلةً؛ لأن المصلي يُقابلها وتُقابله. نزلت في الفريقين لما طعنوا في تحويلِ القبلةِ من بيتِ المقدس إلى مكةَ، فقال مشركو مكة: قد تردَّدَ على محمدٍ أمرُهُ، واشتاقَ إلى مولده، وقد يرجعُ نحوَ بلدِكم، وهو راجعٌ إلى دينكم، وقالت اليهودُ: اشتاقَ الرجلُ إلى وطنه، فقال الله تعالى:

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ﴾ بما فيهما، المعنى: إنكم تصلُّون إلى الكعبةِ وهي بالمشرق، وإلى بيتِ المقدس وهو بالمغرب، وكلها له.

﴿يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ فيوجِّهُه تارةً إلى مكةَ، وتارة إلى بيتِ المقدس، لا اعتراضَ عليه؛ لأنه المالكُ وحدَهُ. قرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ، ورُوَيْسٌ: (يَشَاءُ إِلَى) بتحقيق الهمزة الأولى، وتسهيل الثانية، واختُلِفَ في كيفية تسهيلها، فذهب جمهورُ المتقدمين إلى أنها تبدلُ واواً خالصةً مكسورةً، وذهبَ بعضُهم إلى أنها تُجعل بينَ الهمزة والياء، وهو مذهبُ أئمةِ النحو والمتأخِّرين من القرَّاء، وهو الأَوْجَهُ في القياس. وقرأ الباقون، وهم الكوفيون، وابنُ عامرٍ، وروحٌ: بتحقيق الهمزتين[١].

***

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ

---

(١) انظر: «إتحاف الفضلاء» للدمياطي (ص: ١٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٢٢).

ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾﴾.

[١٤٣] ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ نزلت لما قال رؤساء اليهود لمعاذِ بنِ جَبَلٍ: ما تركَ محمدٌ قبلتَنا إلاَّ حسداً، وإنَّ قبلتنا قبلةُ الأنبياء، وقد علم محمدٌ أنا عدلٌ بين الناس، فقال معاذ: إنا على حقٍّ(١) وعدلٍ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ﴾(٢)؛ أي: ومثلَ ذلكَ الجعلِ الصالحِ الذي جعلْنا إبراهِيمَ وذريتَهُ جعلناكم أمةً وَسَطاً؛ أي: عَدْلاً خِياراً، قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ﴾ [القلم: ٢٨]؛ أي: خيرُهم وأعدلُهم، وخيرُ الأشياءِ أَوْسَطُها.

﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ يومَ القيامة أنَّ الرسلَ قد بلَّغتهم.

﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ﴾ محمدٌ ﷺ.

﴿عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ معدِّلاً مزكِّياً لكم، وذلك أن الله تعالى يجمعُ الأَوَّلين والآخِرين في صعيدٍ واحدٍ، ثم يقُول لكفارِ الأمم: ألم يأتِكُمْ نذيرٌ؟ فيُنكرون ويقولون: ما جَاءَنا مِنْ بَشيرٍ ولا نَذير، فيسأَلُ الأنبياءَ(٣) ـ عليهم السلام ـ، فيقولون: كَذَبوا، قد بلَّغناهم، فيسألُهم البينةَ، وهو أعلم بهم؛ إقامةً للحجَّة، فيؤتى بأمة محمدٍ ﷺ، فيشهدون(٤) لهم أنهم قد بَلَّغوا، فتقولُ

---

(١) في «ن»: «الحق».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١١٤)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/ ٣٨٩ـ٣٩٠).

(٣) «الأنبياء» ساقطة من «ت».

(٤) في «ظ»: «ليشهدون».

الأممُ الباقيةُ: من أينَ عَلِموا وإنهم أتَوا بعدَنا؟! فيسأل هذه الأمة فيقولون: أرسلتَ إلينا رسولاً، وأنزلتَ علينا كتاباً أخبرْتَنا فيه بتبليغ الرسل، وأنتَ صادقٌ فيما أخبرتَ، ثم يؤتىٰ بمحمدٍ ﷺ، فيسألُ عن حال أمته، فيزكِّيهم، ويشهدُ بصدقِهم.

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ أي: تحويلَها؛ يعني: بيت المقدس، فيكون من بابِ حذفِ المضاف.

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ قالَ أهلُ المعاني: معناه إلا لعلمِنا، وقيل: معناه: ليعلمَ رسولي والمؤمنون به، وجاء الإسنادُ بنون العظمة إذ هم حزبُهُ وخالصتُه.

﴿مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ فيوافقُه ويصدِّقه. قرأ أبو عمرٍو: (لِنَعْلَم مَّنْ) بإدغامِ الميم في الميم[1].

﴿مِمَّن يَنقَلِبُ﴾ أي: يرجعُ ناكِصاً.

﴿عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ فيرتدُّ، كأنه سبقَ في علمِ الله تعالى أن تحويلَ القبلةِ سببٌ لهدايةِ قومٍ وضلالةِ آخرين، والرجوعُ على العقب أسوأ حالاتِ الراجع في مشيِه عن وجهه، فلذلك شُبِّهَ المرتدُّ في الدين به، وظاهرُ التشبيهِ أنه بالمتقهقِرِ، وهي مشيةُ الحيرانِ الفازع من شَرٍّ قد قربَ منه، وفي الحديث: أنَّ القبلةَ لما حُوِّلَت، ارتدَّ قومٌ من المسلمين إلى اليهودية، وقالوا: رجعَ محمدٌ إلى دين آبائه[2]. ورُوي أنَّ أحبارَ اليهود قالوا للنبي ﷺ: إنَّ بيتَ المقدس هو قبلةُ الأنبياء، فإن صَلَّيْتَ إليها، اتبعناكَ،

---

(١) كما هو المعروف من مذهبه.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١١٦).

فأمره الله بالصلاة إليه امتحاناً لهم، فلم يؤمنوا، والجمهورُ على أن أمرَ قبلةِ بيتِ المقدسِ كان بوحيٍ غيرِ مَتْلُوٍّ.

﴿وَإِن كَانَتْ﴾ أي: وقد كانت التوليةُ إلى الكعبة.

﴿لَكَبِيرَةً﴾ أي: لثقيلةً شديدةً.

﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ أي: هداهم الله، وهم التائبون المخلصون.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ وذلك أن حُيَيَّ بنَ أخطبَ وأصحابَه من اليهود قالوا للمسلمين: أخبرونا عن صلاتكم نحوَ بيتِ المقدس، إن كانت هُدًى، فقد تحوَّلْتم عنها، وإن كانت ضَلالةً، فقد دِنْتُمُ اللهَ بها، ومَنْ مات منكم عليها، فقد ماتَ على الضلالة، فقال المسلمون: إنما الهدى ما أَمر اللهُ به، والضلالة ما نهى اللهُ عنه، قالوا: فما شهادتُكم على مَنْ مات منكُمْ على قبلتنا، وكان قد ماتَ قبلَ أن تُحَوَّلَ القبلةُ من المسلمينَ أسعدُ بنُ زُرارةَ من بني النجّار، والبراءُ بنُ مَعْرورٍ من بني سَلِمَةَ، وكانوا من النقباء، ورجالٌ آخرون، فانطلق عشائرُهم إلى النبي ﷺ، وقالوا: يا رسول الله! قد صرفَكَ اللهُ إلى قبلةِ إبراهيمَ، فكيفَ بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلُّون إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله ـ عز وجل ـ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾[1]؛ يعني: صلاتِكم إلى بيتِ المقدس، وسمَّى الصلاةَ إيماناً لما كانت صادرةً عن الإيمان والتصديق في وقت بيتِ المقدس، وفي وقتِ التحويل.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ والرأفةُ: أشدُّ الرحمة، وخاطبَ الحاضرين، والمرادُ: مَنْ حضرَ ومن ماتَ؛ لأن الحاضر يُغَلَّبُ كما تقول

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١١٦)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/ ٣٩٣).

العرب: ألم نقتلْكُم في موضع كذا؟ ومن خوطبَ لم يُقْتل، ولكنه غُلِّبَ لحضوره. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ، وابن عامر، وحفصٌ: (لَرَؤوفٌ) بالإشباعِ على وزن فَعول، وقرأ الآخرون: بالاختلاس على وزن فَعُل[1].

***

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾.

[١٤٤] ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ والمقصدُ تقلُّب البصر، وذكر الوجه؛ لأنه أعمُّ وأشرفُ، وهو المستعمَلُ في طلب الرغائب، تقول: بذلْتُ وجهي في كذا، أو فعلتُ لوجهِ فلان، وهذه الآيةُ متأخرةٌ في التلاوة، متقدمةٌ في المعنى؛ فإنها رأسُ القصة، وأمرُ القبلة أولُ ما نُسخ من أمور الشرع، وذلك أن رسولَ الله ﷺ وأصحابَه كانوا يصلُّون بمكةَ إلى الكعبة، فلما هاجر إلى المدينة، أمرَهُ الله أن يصلِّي نحوَ صخرةِ بيتِ المقدسِ كما تقدَّمَ؛ ليكونَ أقربَ إلى تصديق اليهود إياه إذا صلَّى إلى قبلتهم، مع ما يجدون من نعتِه في التوراة، فصلَّى من بعدِ الهجرةِ ستةَ عشرَ أو سبعةَ

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١/١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٩)، و«الكشف» لمكي (١/٢٦٦)، و«تفسير البغوي» (١/١١٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٢٣).

عشرَ شهراً إلى بيت المقدس، وكان يحبُّ أن يتوجَّهَ إلى الكعبة؛ لأنها كانتْ قبلةَ أبيه إبراهيم ـ عليه السلام ـ، وكان اليهودُ يقولون: يخالفُنا محمد في ديننا، ويتبعُ قبلَتَنا، فجعلَ ينظرُ إلى السماءِ رجاءَ أن ينزلَ عليه الوحيُ بالتوجُّه إليها، فأنزل الله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[١].

﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ ﴾ فلنُحوِّلَنَّكَ.

﴿ قِبْلَةً ﴾ أي: إلى قبلة.

﴿ تَرْضَىٰهَا ﴾ أي: تحبُّها.

﴿ فَوَلِّ ﴾ فحوِّلْ.

﴿ وَجْهَكَ شَطْرَ ﴾ أي: نحوَ.

﴿ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ وأراد به الكعبةَ، والحرامُ: المحرَّمُ.

﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ ﴾ من برٍّ أو بحرٍ، شرقٍ أو غربٍ.

﴿ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ عندَ الصلاة، وكان تحويلُ القبلة في رَجَبٍ بعدَ زوالِ الشمسِ من السنةِ الثانيةِ من الهجرة قبلَ قتالِ بدرٍ بشهرين، ونزلتْ هذه الآيةُ ورسولُ الله ﷺ في مسجدِ بني سَلِمَةَ، وقد صلَّى بأصحابِه ركعتين من صلاة الظهرِ، فتحول في الصلاة، واستقبل الميزابَ، وحوَّلَ الرجالَ مكانَ النساء، والنساءَ مكانَ الرجال، فَسُمِّي ذلك المسجدُ مسجدَ القِبْلَتين، وأهلُ قُباء وصل الخبرُ إليهم في صلاة الصبح[٢].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٠)، عن مجاهد.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١١٨). قال المناوي في «الفتح السماوي» (١/ ١٩٣): «وهذا تحريف للحديث، فإن قصة بني سلمة لم يكن فيها النبي إماماً، ولا هو الذي تحول في الصلاة».

وعن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ ـ رضي الله عنهما ـ قال: «بَيْنا الناسُ بِقُباءَ في صلاةِ الصُّبْح إذْ جاءهم آتٍ، وقال لهم: إنَّ رسولَ الله ﷺ قد أُنزل عليه الليلةَ قرآنٌ، وقد أُمِرَ أَنْ يستقبلَ الكعبةَ، فاستقبِلُوها»، وكانت وجوهُهم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة[١]، فلما تحولت القبلةُ، قالت اليهود: يا محمَّدُ! ما هو إلاَّ شيءٌ تبتدعُه من تلقاء نفسك، فتارةً تصلِّي إلى بيتِ المقدس، وتارةً إلى الكعبة، ولو ثبتَّ على قبلتِنا، لكنَّا نرجو أن تكون صاحِبَنا الذي ننتظره[٢]، فأنزل الله تعالى:

﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ﴾ يعني: أمرَ الكعبةِ.

﴿ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ لأنه في بشارةِ أنبيائهم أنه يصلِّي إلى القبلتين، ثم هَدَّدهم فقال:

﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ قرأ أبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، ورَوْحٌ: (تَعْمَلُونَ) بالخطاب، يريد: إنكم يا معشر المؤمنين تطلبونَ مرضاتي، وما أنا بغافل عن ثوابكم وجزائكم. وقرأ الباقونَ بالغيب؛ يعني: ما أنا بغافل عما يفعلُ اليهود، فأجازيهم في الدنيا والآخرة[٣].

---

(١) رواه البخاري (٣٩٥)، كتاب: أبواب القبلة، باب: ما جاء في القبلة، ومسلم (٥٢٦)، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١١٨).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٦٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ١١٨)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٤٢)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٢٦٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٧)، و«النشر في القراءات =

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾.

[١٤٥] ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ يعني: اليهودَ والنصارى.

﴿ بِكُلِّ ءَايَةٍ ﴾ أي: معجزةٍ وبرهانٍ على صدقك في أمر القبلةِ وغيرِها.

﴿ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ ﴾ يعني: الكعبةَ.

﴿ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ ﴾ لأنك على الحقِّ، وقبلتُكَ غيرُ منسوخةٍ أبداً.

﴿ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ ﴾ لأن اليهود تستقبل بيت المقدس، وهو المغرب، والنصارى تستقبل المشرق، وقبلةُ المسلمين الكعبةُ، وكل طائفة تعتقد أن الحقَّ دينُها، ثم خوطبَ ﷺ والمرادُ غيرُه بقوله:

﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم ﴾ مرادَهم.

﴿ مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ ﴾ أي: وصلَ إليك.

﴿ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ ﴾ اليقينِ من أمرِ القبلةِ وشرائعِ الإسلام.

﴿ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ وتمَّ الوقفُ هنا.

عن أبي هريرةَ ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ»[١]، والمرادُ بالمشرقِ: مشرقُ الشتاء في أقصرِ يوم في

= العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٢٤).

(١) رواه الترمذي (٣٤٤)، كتاب: الصلاة، باب: ما جاء أن ما بين المشرق والمغرب قبلة، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (١٠١١)، كتاب: الصلاة، باب القبلة، وغيرهما.

السنة، وبالمغربِ: مغربُ الصيفِ في أطولِ يومٍ في السنة، فأقصرُ الأيام في الشتاء يومُ آخِرِ القوسِ، وهو انسلاخُ فصلِ الخريف، وكذلكَ اليومُ الذي يليه، وهو أولُ الجَدْي افتتاحُ فصلِ الشتاء، ويأتي ذلك في شهر كيهَك من السنة القبطية، وفي شهر كانون الأول من السنة السريانية، وأطولُ الأيام في الصيف يومُ آخرِ الجَوْزاء، وهو انسلاخُ فصلِ الربيع، وكذا اليومُ الذي يليه، وهو أولُ السَّرَطانِ افتتاحُ فصلِ الصيف، ويأتي ذلك في شهر بؤنة من السنة القبطية، وفي شهر حَزيرانَ من السنة السريانية، فمن جعلَ مغربَ الصيفِ في هذا الوقتِ عن يمينه، ومشرقَ الشتاء في ذلك الوقتِ عن يساره، كان وجهُه إلى القبلة، وهذا لمن يكونُ في المدينة الشريفة ـ على الحالِّ بها أفضلُ الصلاةِ والسلام ـ، وبيتُ المقدس ومصرُ والشامُ وما والاها ممن يستقبلُ الجدارَ الشاميَّ من الكعبةِ الشريفة، وهو الذي يليه حِجْرُ إسماعيلَ ـ عليه السلام ـ وبأعلاه الميزابُ.

ومن دلائلِ القبلةِ القطبُ، وهو نجمٌ، وقيلَ نقطةٌ إذا جعلَه المصلِّي وراءَ ظهرِه بالشامِ وما حاذاها، وخلفَ أُذنه اليمنى بالمشرقِ، وعلى عاتقِهِ الأيسرِ بإقليم مصر وما والاه، كان مستقبلاً للقبلة[1]، والله أعلم.

* * *

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦﴾.

[١٤٦] ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ مبتدأٌ، خبره:

(١) في «ن»: «القبلة».

﴿ يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ والمراد: أن مؤمني أهل الكتاب عبدَ الله بنَ سلامٍ وأصحابَه يعرفون محمداً أنه نبيٌّ حقٌّ بما شاهدوه في كتبِهم.

﴿ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ﴾ من الصِّبيان، قال عبدُ اللهِ بنُ سلام: «لقدْ عرفتُ محمَّداً حينَ رأيتُهُ كمعرفةِ ابني، ومعرفتي له أشدُّ من معرفةِ ابني؛ لأن نَعْتَهُ في كتابنا، ولا أدري ما تصنعُ النِّساءُ لولا النعتُ»(1).

﴿ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ﴾ أي: من جُهَّالهم ومعانِديهم.

﴿ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾ أي: نعته ﷺ وأمرَ الكعبة.

﴿ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ وتمَّ الوقفُ هنا.

***

﴿ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١٤٧﴾.

[١٤٧] ﴿ ٱلۡحَقُّ﴾ مبتدأ، وخبرُه:

﴿ مِن رَّبِّكَۖ﴾ أي: هذا الحقُّ.

﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ الشاكِّين فيما أُخبرتَ به.

***

﴿ وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٤٨﴾.

---

(1) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ١١٩ ـ ١٢٠)، و«العجاب» لابن حجر (١/ ٣٩٨)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٣٥٧).

[١٤٨] ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾ أي: لكلِّ أهلِ[1] مِلَّة[2] قبلةٌ، والوِجْهَةُ: اسمٌ للمتوجَّه إليه.

﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ قرأ ابن عامر: (مُوَلَّاهَا) بفتح اللام وألف بعدها؛ أي: المستقبَلُ مصروفٌ إليها، والباقون: بكسر اللام وياء بعدها على معنى مستقبِلُها[3].

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ بادِرُوا بالطاعات.

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا﴾ أنتم وأعداؤكم.

﴿يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ يومَ القيامة، فيجزيكم بأعمالِكم.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

***

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٩)﴾.

[١٤٩] ﴿وَمِنْ حَيْثُ﴾ أي: أيِّ مكانٍ.

[﴿خَرَجْتَ﴾ لسفرٍ.

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ﴾ نحوَ.

---

(١) في «ت»: «أهله».

(٢) «ملة»: ساقطة من «ت».

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧١)، و«الحجة» لابن خالويه، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٦٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٢٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٢٦).

﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَإِنَّهُۥ﴾ أي: التولِّي.

﴿لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قرأ أبو عمرٍو بالغيب، والباقون بالخطاب[1]][2].

* * *

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾.

[١٥٠] ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ التكريرُ تأكيد النسخ؛ ليعلمَ أن ذلك عزمةٌ لا بدَّ من فعلِها، ثم أومأ إلى علَّة ذلك فقال:

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ المعنى: أن التولية عن الصخرة إلى الكعبة يدفعُ احتجاجَ اليهود بأن المنعوتَ في التوراة قبلتُه الكعبةُ، وأن محمداً يجحدُ ديننا، ويتبعُنا في قبلتنا، والمشركينَ بأنه يدَّعي مِلَّةَ إبراهيم، ويخالف قبلته. قرأ ورشٌ عن نافعٍ، وأبو جعفرٍ: (لِيَلاَّ) بفتح الياء بغير همز[3].

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٦٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٧)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ١٠٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٢٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٢٦).

(٢) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٧)، «الكشف» لمكي (١/ ٣٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ استثناءٌ من الناس، وهم اليهودُ ومشركو العرب، والمرادُ بالحجة: الاعتراضُ والمجادلةُ، لا الحجةُ حقيقةً، والمجادلةُ الباطلةُ قد تسمَّى حُجَّة؛ كقوله[1]: ﴿ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [الشورى: ١٦]، أما قريشٌ تقولُ: رجعَ إلى الكعبة؛ لأنه علمَ أنها الحقُّ، وأنها قبلةُ آبائه، فهكذا يرجعُ إلى ديننا، وأما اليهودُ تقول: لم ينصرفْ عن بيتِ المقدسِ معَ علمِه أنه حقٌّ إلا أنه يعملُ برأيه.

﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ ﴾ في توجُّهكم إلى الكعبة، وتظاهُرِهم عليكم؛ فإني وليُّكم بالحجَّةِ والنُّصْرَة.

﴿ وَٱخْشَوْنِى ﴾ بامتثالِ أمري؛ ثم عطفَ على قولِه ﴿ لِئَلَّا ﴾ قولَه:

﴿ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ ﴾ بهدايتي إياكم إلى الكعبة[2] وغيرِها، ومن تمامِ النعمة الموتُ على الإسلام. ثم عطفَ على ما تقدَّم قولَه:

﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ من الضلالة، ولعل وعسى[3] من اللهِ واجبان؛ لأنهما للرجاء والإطماع، والكريمُ لا يُطْمِعُ إلا فيما يفعل.

* * *

﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾.

= (٢/ ٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٢٧).

(١) في «ت»: «لقوله».

(٢) في «ن»: «إلى الكعبة إياكم».

(٣) في «ن»: «وعسى ولعل».

[١٥١] ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ ﴾ هذهِ الكافُ للتشبيه ترجعُ إلى ما قبلَها، معناه: ولأتمَّ نعمتي عليكم كما أرسَلْنا فيكم يا معشرَ العرب.

﴿ رَسُولًا مِّنكُمْ ﴾ أي: محمداً ﷺ.

﴿ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا ﴾ القرآنَ.

﴿ وَيُزَكِّيكُمْ ﴾ يحملُكُم على ما تصيرونَ به أَزْكِياء.

﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ القرآنَ.

﴿ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ السُّنَّةَ.

﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ من الأحكامِ وشرائعِ الإسلام.

* * *

﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾.

[١٥٢] ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ ﴾ بطاعتي.

﴿ أَذْكُرْكُمْ ﴾ بمغفرتي. قرأ ابنُ كثيرٍ: (فَاذْكُرُونِيَ) بفتحِ الياء[(١)].

﴿ وَٱشْكُرُواْ لِى ﴾ بالطاعة.

﴿ وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ بالمعصية، فشكرُ المنعمِ وهو الثناءُ على الله على إنعامِه واجب شَرْعاً بالاتفاق، لا عقلاً، فمن لم تبلُغْه دعوةُ نبيٍّ، لا يأثمُ بتركِه، خلافاً للمعتزلة. قرأ يعقوبُ (تَكْفُرُونِي) بإثبات الياء[(٢)].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٣٠)، و«التيسير» للداني (ص:٨٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٢٧).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء=

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾.

[١٥٣] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾ على تركِ المعاصي.

﴿ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ بالعَوْنِ والنُّصْرَة.

* * *

﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾.

[١٥٤] ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ ﴾ أي: هم أمواتٌ.

﴿ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ﴾ نزلتْ في قتلى بَدْرٍ من المسلمين، وكانوا أربعةَ عشرَ رجلاً، ستةٌ من المهاجرين، وثمانيةٌ من الأنصار، فقيل: ماتَ فلانٌ وفلانٌ، وانقطع عنهم نعيمُ الدنيا، فأنزلها الله(١)، كما قالَ في شهداء أحد: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

* * *

﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾.

[١٥٥] ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم ﴾ لنختبرَنَّكُمْ يا أمةَ محمد؛ ليظهرَ لكم منكمُ

= البشر» للدمياطي (ص: ١٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٦).

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٣)، وانظر: «تفسير البغوي» (١/ ١٢٤)، و«العجاب» لابن حجر (١/ ٤٠٣).

المطيعُ من العاصي، لا لنعلمَ شيئاً لم نكنْ عالمين به.

﴿بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ﴾ أي: خوفِ العدوِّ.

﴿وَٱلْجُوعِ﴾ أي: القَحْطِ.

﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ بالخسرانِ والهلاكِ.

﴿وَٱلْأَنفُسِ﴾ بالقتلِ والموتِ.

﴿وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾ بالجائحَةِ، وهي ما يستأصِلُ الشيءَ.

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ يا محمدُ على البلايا والرزايا، ثم وصفهم فقال:

* * *

﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾.

[١٥٦] ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ أي: نائبةٌ.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ﴾ عَبيداً ومُلْكاً.

﴿وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ في الآخرة، وفي الحديثِ: «مَنِ اسْتَرْجَعَ عِنْدَ المُصِيبَةِ، جَبَرَ اللهُ مُصِيبَتَهُ»(١).

* * *

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾.

[١٥٧] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أهلُ هذهِ الصِّفَةِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٦٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٠٢٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٦٨٩)، عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ.

﴿عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ أي: رحمةٌ؛ فإنَّ الصلاةَ من الله رحمةٌ، وجمع[1] الصلوات؛ أي: رحمةٌ بعدَ رحمةٍ.

﴿وَرَحۡمَةٞۖ﴾ ذكرها تأكيداً. قرأ الكسائيُّ: (وَرَحْمِهْ) بإمالة الميم حيث وقف على هاء التأنيث[2].

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ إلى الاسترجاعِ، وإلى سعادةِ الدارين.

***

﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾.

[١٥٨] ﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا﴾ جمعُ صَفاةٍ، وهي الصخرةُ الصُّلبة الملساءُ.

﴿وَٱلۡمَرۡوَةَ﴾ الحجرُ الرخْوُ، والمراد بهما: المكانان المعروفان بطرَفي المسعَى بمكةَ المشرفة. قرأ الكسائيُّ: (وَالمَرْوِهْ) بإمالةِ الواو حيثُ وقف على هاء التأنيث.

﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ من أَعلام دينِه فالمطافُ والمواقفُ والمناحرُ كلُّها شعائرُ[3]، ومثلُها المشاعر، والمرادُ بالشعائر هاهنا: المناسكُ التي جعلها الله أَعلاماً لطاعته.

﴿فَمَنۡ﴾ شرطٌ محلُّها رفعٌ ابتداءً.

﴿حَجَّ﴾ أي: قصدَ.

﴿ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ﴾ أي: زارَ، فالحجُّ في اللغةِ: القصدُ، وفي الشرع:

---

(١) في «ن»: «وجميع».
(٢) انظر «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٢٨).
(٣) في «ن»: «من شعائر».

اسمٌ لأفعالٍ مخصوصةٍ، والعمرةُ في اللغة: الزيارةُ.

﴿فَلَاجُنَاحَ﴾ فلا إثمَ.

﴿عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ﴾ أي: يدورَ.

﴿بِهِمَا﴾ وأصل الطواف المشيُ حولَ الشيء، والمرادُ هنا: السعيُ بينَهما، وسببُ نزولِ هذه الآية: أنه كان على الصفا والمروةِ صنمانِ يَسافُ ونائلةُ، وكان يسافُ على الصَّفا، ونائلةُ على المروة، وكان أهل الجاهلية يطوفون بينَ الصفا والمروة تعظيماً للصَّنمين، ويمسحونهما، فلما جاء الإسلامُ، وكُسرت الأصنام، فتحرَّجوا السعيَ بينَ الصفا والمروة لأجل الصنمين، فأذنَ الله فيه، وأخبرَ أنه من شعائر الله[1].

واختلفَ العلماءُ في حكم هذه الآية ووجوب السعي بينَ الصفا والمروة في الحجِّ والعمرة، فعند مالكٍ والشافعيِّ وأحمَد أنه ركنٌ لا يتمُّ الحجُّ إلا به، وعند أبي حنيفة أنه واجبٌ، وليس بركنٍ، وعلى من تركَهُ دمٌ.

﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ أي: من تبرَّع بما لم يجبْ عليه، وتقديرُه: بخيرٍ، فلما حُذفَ الجارُّ، تعدَّى الفعلُ، فنصبَ. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، ويعقوبُ: (يَطَّوَّعْ) بالياء وتشديد الطاء وجزم العين، بمعنى يتطوَّعْ[2]. وقرأ الآخرون: بالتاء وفتح العين على الماضي[3].

(١) رواه البخاري (١٥٦١)، كتاب: الحج، باب: وجوب الصفا والمروة، ومسلم (١٢٧٧)، كتاب: الحج، باب: بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج إلاَّ به، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٢) في «ت»: «يطوع».

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس =

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ ﴾ أي: مجازٍ له.

﴿ عَلِيمٌ ﴾ بنيته، والشكرُ من الله أن يعطيَ فوق ما يستحقُّ، يشكرُ اليسيرَ، ويعطي الكثيرَ.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾.

[١٥٩] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ ﴾ نزلت في علماء اليهود، كتموا صفةَ محمدٍ ﷺ، وآيةَ الرجم، وغيرَها من الأحكام التي كانت في التوراة[1].

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي: يُبعدهم الله عن رحمته، وأصلُ اللعنِ: الطردُ.

﴿ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ أي: يسألون الله أن يلعنهم يقولون: اللهم العنهم، واللاعنون الثقلان والملائكة، ثم استثنى فقال:

* * *

= (٢/ ٢٢٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٢)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٨٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٣٠)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ١٠٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٣٩)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٢٩).

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٣٠)، و«العجاب» لابن حجر (١/ ٤١١).

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾.

[١٦٠] ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ ﴾ من الكفرِ، وأسلَموا.

﴿ وَأَصۡلَحُواْ ﴾ الأعمالَ بينهم وبينَ الله.

﴿ وَبَيَّنُواْ ﴾ أي: أظهروا ما كَتموا.

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ أتجاوزُ عنهم، وأقبلُ توبتَهم.

﴿ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ﴾ الرَّجّاعُ بقلوبِ عبادي المنصرفةِ عني إليَّ.

﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ بهم بعدَ إقبالهم عليَّ، والتوبة: حلُّ عَقْدِ الإصرارِ على الذنب وربطُ العزيمةِ بالقلبِ على البعدِ عن مقاربتهِ، مع الندمِ عليه.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾.

[١٦١] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ من الكاتمين، ولم يتوبوا.

﴿ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾ لأن الله تعالى يلعنُهم يومَ القيامة، ثم يلعنُهم الملائكةُ، ثم يلعنُهم الناسُ، والظالمُ يلعنُ الظالمينَ، ومن لعنَ الظالمين وهو ظالمٌ، فقد لعنَ نفسَه.

* * *

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾.

[١٦٢] ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ ﴾ مقيمينَ في اللعنةِ، أو في النارِ.

﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ أي: لا يُرفع عنهم.

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ لا يُمْهَلون[1] فيعتذرون.

ولما قالَ كفارُ قريشٍ لمحمدٍ ﷺ صِفْ لنا رَبَّكَ، نزلَ:

* * *

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾.

[١٦٣] ﴿وَإِلَٰهُكُمْ﴾ مبتدأ، خبره:

﴿إِلَٰهٌ﴾ وصفة الخبر:

﴿وَاحِدٌ﴾ فردٌ لا نظيرَ له في ذاته، ولا شريكَ له في صفاته.

﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ تلخيصُه: الألوهيةُ مختصَّةٌ به.

ولما سمعَ المشركون هذهِ الآيةَ، قالوا له ﷺ: إن كنتَ صادقاً، فَأْتِ بآية يُعْرَفُ[2] بها صِدْقُك، فنزل:

* * *

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾.

[١٦٤] ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[3] جمعَ السمواتِ؛ لأن كلَّ

---

(١) في «ن»: «لا يجهلون».

(٢) في «ن»: «نعرف».

(٣) انظر: «شعب الإيمان للبيهقي» (١٠٤)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٥)، =

سماء ليست من جنس الأخرى، ووحَّدَ الأرضَ؛ لأنها من جنسٍ واحد، وهو الترابُ.

﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي: تَعاقُبهما في الذهابِ والمجيء، والزيادةِ والنقصانِ، والنورِ والظلمة.

﴿وَٱلْفُلْكِ﴾ السُّفُن، واحده وجمعه سواء، فإذا أُريدَ به الجمعُ يؤنَّثُ، وفي الواحدة يُذكَّر، قال الله تعالى في الواحدةِ والتذكير: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الصافات: ١٤٠]، وقال في الجمعِ والتأنيثِ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ﴾ [يونس: ٢٢].

﴿ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ﴾ مُوقَرَةً لا ترسُبُ؛ أي: لا تجلس تحت الماء.

﴿بِمَا﴾ أي: بالذي.

﴿يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ من الحمل فيها، والركوبِ عليها.

﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ﴾ أي: مطر.

﴿فَأَحْيَا بِهِ﴾ أي: بالماء.

﴿ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يبسها.

﴿وَبَثَّ﴾ أي: فرَّقَ.

﴿فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ لأن بثَّ الدوابِّ يكونُ بعدَ حياةِ الأرضِ بالمطر؛ لأنهم ينمونَ بالخصب، ويعيشون بالمطر، والدابَّةُ: كُلُّ ما يَدُبُّ.

﴿وَتَصْرِيفِ﴾ أي: وتَنْقيلِ.

= و«تفسير البغوي» (١/ ١٣٢)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٣٩٥).

﴿ ٱلرِّيَٰحِ ﴾ من مهابِّها قَبولاً ودَبوراً، وجَنوباً وشَمالاً، وحارةً وباردةً، وعاصفةً وليِّنَةً، وعَقيماً ولاقِحاً، وغير ذلك. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (الرِّيحِ) بغير ألف على التوحيد. والباقون: بالألف على الجمع[1]. والريحُ أعظمُ جندِ الله تعالى، وتذكَّرُ وتؤنَّثُ، وسُمِّيت ريحاً؛ لأنها تريح النفوس، والرياحُ ثمانية: أربعةٌ للرحمة، وهي: المبشِّراتُ، والناشِراتُ، والذارياتُ، والمرسَلاتُ، وأربعة للعذاب: وهي: العقيمُ، والصَّرْصَرُ في البرِّ، والعاصِفُ والقاصِفُ في البحر.

﴿ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ ﴾ أي: المقيمِ المذلَّلِ للرياح، سُمِّيَ سَحاباً؛ لأنه يُسْحَبُ؛ أي: يسيرُ في سرعة كأنه ينسحبُ؛ أي: يُجَرُّ.

﴿ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ تقلّبه في الجوِّ كيفَ شاءتْ بمشيئة الله تعالى، فيمطِرُ[2].

﴿ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ينظرونَ بعقولهم، فيعلمون أنَّ لهذه الأشياء خالِقاً وصانِعاً، فيوحِّدونه، فبعدَ ثُبوتِ الألوهيةِ عَنَّفَ الكفارَ أَنْ عبدوا غيرَهُ، ووصفَ الأبرارَ فقال:

* * *

---

(1) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩١)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٧٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٣٣)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ١٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٣١).

(2) في «ن»: «فتمطر».

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾.

[١٦٥] ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ أي: المشركين.

﴿ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ أي: أصناماً يعبدونها.

﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ ﴾ أي: يحبون آلهتهم كحبِّ المؤمنين لله تعالى، ثم فضَّلَ محبةَ المؤمنين(١) بقوله:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ ﴾ من حبِّ الكفارِ الأندادَ؛ لأن المؤمنين لا يعدِلُون عن الله تعالى بكلِّ حالٍ، والكافرون يَعْدِلون عن أربابهم في الشدائد إلى الله تعالى، وإذا اتَّخذوا صَنَماً، ثم رأوا أحسنَ منه، طرحوا الأولَ، واختاروا الثاني.

﴿ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (تَرَى) بالتاء خطاباً للنبي ﷺ، معناه: لو ترى يا محمدُ الذين ظلموا؛ أي: أشركوا، في شدةِ العذاب، لرأيتَ أمراً عظيماً. وقرأ الباقون: (يَرَى) بالياء، معناه: ولو يرى الذين ظلموا أنفسَهم عندَ رؤية العذابِ، لعرفوا مَضَرَّةَ الكفر(٢).

---

(١) في «ن»: «المؤمنين محبة».

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٩)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٢٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (١٧٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٣٤)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ١٠٦)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٤٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٣٢).

﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ بالعينِ يومَ القيامة. قرأ ابنُ عامرٍ: (يُرَوْنَ) بضمِّ الياء مجهولاً، والباقون: بفتحها معلوماً[1]، و(إذ) للماضي، ووقعت هنا للمستقبَل؛ لأنَّ خبر الله عن المستقبَل في الصحة كالماضي.

﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ﴾ أي: القدرةَ الإلهيةَ والغلبةَ.

﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ معناهُ: لـرأوا وأيقنـوا أنَّ القـوةَ لله. قـرأ أبـو جعفـرٍ، ويعقوبُ: (إِنَّ القُوَّةَ)، و(إِنَّ الله) بكسر الألف فيهما على الاستئناف[2].

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ وتبدلُ من ﴿إِذْ يَرَوْنَ﴾.

***

﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾.

[١٦٦] ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾ هم الرؤساءُ المقتدَى بهم. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ: بإظهار الذال عند التاء، والباقون: بالإدغام[3].

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ هم الأتباع، وأصل التبرؤ: التخلُّص.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٣٤)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ١٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٣٢).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٢٨)، و«تفسير الطبري» (٣/ ٢٨٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٣٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٣٢).

(٣) انظر: «إتحاف الفضلاء» للدمياطي (ص: ١٥٢)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٣٣).

﴿وَرَأَوُا﴾ أي: تبرؤوا في[1] حالِ رؤيتِهم.

﴿ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ﴾ أي: عنهم.

﴿ٱلْأَسْبَابُ﴾ الوصُلاتُ التي كانت بينهم في الدنيا؛ من القرابات، والموالاة، والمخالَّةِ، وصارتْ عداوةً.

* * *

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾.

[١٦٧] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ يعني: الأتباع.

﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ رجعةً إلى الدنيا.

﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ أي: من المتبوعين.

﴿كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا﴾ اليومَ.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما أراهم العذاب كذلك.

﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ كتبرُّؤ[2] بعضِهم من بعض.

﴿حَسَرَٰتٍ﴾ نداماتٍ.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جمعُ حَسْرة.

﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ لأنهم خُلِقوا لها.

---

(١) في «ن»: «أي».

(٢) في «ن»: «كتبري».

ونزلَ في ثقيفٍ وخُزاعةَ وغيرِهم ممَّنْ حَرَّمَ على نفسِه الوصيلةَ والبَحِيرةَ وغيرَهما:

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ ﴾.

[١٦٨] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (مِنْ) تبعيض؛ لأن ليس كلُّ ما فيها يؤكَلُ.

﴿ حَلَٰلًا ﴾ الحلال: ما لا يُعاقَبُ عليه، وهو ما أطلقَ الشرعُ فعلَه، مأخوذٌ منَ الحلِّ، وهو الفتحُ.

﴿ طَيِّبًا ﴾ طاهراً من جميع الشُّبَهِ.

﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ ﴾ آثارَه وطرَقه. قرأ أبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، والكسائيُّ، وحفصٌ، ويعقوبُ، وقنبلٌ (خُطُوَاتِ) بضم الطاء حيثُ وقع، والباقون: بسكونها(١).

﴿ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ مظهرُ العداوةِ بيِّنُها، ثم ذكر عداوته فقال:

* * *

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٠)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٧٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٣٣).

﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾.

[١٦٩] ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ ﴾ أي: الإثمِ، وأصلُه: ما يَسُوءُ صاحِبَهُ.

﴿ وَٱلْفَحْشَآءِ ﴾ وهي أقبحُ المعاصي وأخبثُها.

﴿ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ من تحريمِ الحرثِ والأنعامِ وغيرِهما؛ لأنه لا علمَ لكم بذلك.

* * *

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾.

[١٧٠] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ في تحليلِ ما حَرَّموا على أنفسِهم من الحرثِ والأنعامِ والبَحيرةِ والسائبةِ، والهاءُ والميم في (لَهُمْ) عائدةٌ على الناس في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ ﴾.

﴿ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ ﴾ قرأ الكسائيُّ: (بَل نَّتَّبِع) بإدغام اللام في النون[1].

﴿ مَآ أَلْفَيْنَا ﴾ وجَدْنا.

﴿ عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ في التحريم والتحليل، قال الله تعالى:

﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ ﴾ أي: كيف يَتَّبعون آباءهم، وآباؤهم ﴿ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا ﴾ من الدِّين.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٤٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٣٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٣٥).

﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ للصواب، المعنى: أيتبعونهم ولو كانوا ضلالاً؟!

ثم ضرب لهم مثلاً، فقال ـ جل ذكره ـ:

* * *

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾.

[١٧١] ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾ النَّعِيقُ: صوتُ الراعي بالغنم، وهي لا تسمعُ إلا صوتاً وزَجْراً، ولا تفقهُ شيئاً آخرَ، وكذلك الكفارُ في دعاءِ النبيِّ لهم إلى الهداية، فمعنى الآية: مثلُكَ يا محمدُ في دعائِكَ الكفارَ إلى الهداية، وعدمِ هدايتهم، كمثلِ الذي يُصَوِّتُ.

﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾ منه كالبهائم.

﴿إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ تلخيصُه: لا ينتفعُ الكفارُ بشيء من وَعْظِكَ يا محمدُ، وإن سمعوا صوتَكَ.

﴿صُمٌّۢ﴾ تقول العرب لمن يسمعُ ولا يعقلُ: كأنه أصمُّ.

﴿بُكْمٌ﴾ عن الخيرِ لا يقولونه.

﴿عُمْىٌ﴾ عن الهدى لا يُبْصرونه.

﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الموعظةَ.

* * *

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾.

[١٧٢] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ﴾ أي: حلالاتِ.

﴿ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ أي: كلوا رزقكم.

﴿ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ ﴾ على نعمه.

﴿ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾.

ثم بين المحرَّماتِ فقال:

* * *

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٧٣) ﴾.

[١٧٣] ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ ﴾ وهي ما لم تُدْرَكْ ذكاتُها مما[١] يُذْبَحُ. قرأ أبو جعفرٍ: (الميِّتَةَ) بالتشديد في كلِّ القرآن[٢].

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ ﴾ أي: واستثنى الشارعُ من الميتةِ السمكَ والجرادَ، ومن الدَّمِ الكبدَ والطِّحالَ، فأحلَّهما.

﴿ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ ﴾ أي: جميعَ أجزائِه، فعبَّرَ عن ذلكَ باللحم؛ لأنه معظَمُهُ.

﴿ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴾ أي: ذُكِر عليه اسمُ غيرِ الله، وهو ما ذُبِحَ للأصنامِ والطواغيتِ، وأصلُ الإهلالِ: رفعُ الصوتِ، وكانوا عندَ ذبحِهم لآلهتِهم يرفعون أصواتَهم بِذِكْرِها.

---

(١) في «ن»: «بما».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٣١٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٣٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٣٦).

﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ﴾ أي: أُلْجِىء وأُحْوِجَ إلى أكلِ الميتة، وحَدُّ الاضطرارِ أن يخافَ على نفسِه، أو على بعضِ أعضائِه التلفَ، فليأكُلْ. قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (فَمَنُ اضْطُرَّ) بضمِّ النون، وأبو جعفر: بكسر الطاء[1].

﴿غَيۡرَ﴾ نصبٌ [على][2] الحال.

﴿بَاغٖ﴾ أي: خارجٍ على السلطان، وأصلُ البغيِ: الفسادُ.

﴿وَلَا عَادٖ﴾ أي: عاصٍ بسفره، روي عن يعقوبَ الوقفُ بالياء على (بَاغِي) وَ(عَادِي)[3]، وأصلُ العدوانِ: الظلمُ، فلا يجوزُ للعاصي بسفرِهِ أكلُ الميتةِ للضرورة، ولا الترخُّصُ برُخَصِ المسافرينَ عند الشافعيِّ، ومالكٍ، وأحمدَ، خلافاً لأبي حنيفة، واختلفوا في مقدارِ ما يحلُّ للمضطرِّ أكلُه من الميتة، فقال مالكٌ: يأكل حتى يشبعَ، وقالَ الثلاثةُ: يأكلُ مقدارَ ما يُمسِكُ رمقَهُ، وجوابُ (فَمَن):

﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ﴾ أي: لا حَرَجَ عليه في أكلِها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لمن أكلَ في حالِ الاضطرار.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٢)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٧٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٤٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٣٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٣)، «معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٣٦).

(٢) «على» لم ترد في جميع النسخ، والسياق يقتضيها.

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (٢/ ٢٣١).

﴿رَّحِيمٌ﴾ بترخيصه ذلكَ.

ونزل لمّا غيَّرَ علماءُ اليهودِ صفةَ محمدٍ ﷺ؛ خوفاً على فواتِ رياسَتِهم ومآكِلِهم التي كانوا يصيبونها من سِفْلَتِهم رجاءَ أن يكونَ النبيُّ المبعوثُ منهم[1]:

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ ﴾.

[١٧٤] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ يعني: صفة محمدٍ ﷺ ونبوّتَهُ.

﴿ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ﴾ أي: بالمكتوبِ.

﴿ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ عوضاً يسيراً، يعني: المآكلَ التي يصيبونها من سِفْلَتهم.

﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ﴾ ما يُؤَدِّيهم.

﴿ ٱلنَّارَ ﴾ وهو الرِّشْوَةُ والحرامُ، فلمَّا كان ذلكَ يُفضي بهم إلى النار، فكأنهم أكلوا النارَ.

﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ بالرحمة، وبما يَسُرُّهم إنما يكلِّمُهم بالتوبيخِ.

﴿ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾ لا يُطَهِّرُهم[2] من دَنَس الذنوب.

﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: مؤلم.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١٣٩ ـ ١٤٠).

(٢) في «ن»: «تطهيرهم».

﴿ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ﴾.

[١٧٥] ﴿ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ ﴾ أي: استبدلُوا الكفر بالإيمان.

﴿ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ ﴾ قرأ السوسي، ورُوَيْسٌ (وَالعَذَاب بِّالمَغْفِرَةِ) (الكِتَاب بِّالحَقِّ) بإدغامِ الباء في الباء[1]، ثم أعجبَ من حالهم وملازمتِهم ما يُوجبُ لهم النارَ، فقال:

﴿ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ وأصلُ الصبرِ: الإمساكُ في ضيقٍ.

***

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ ﴾.

[١٧٦] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: العذابُ مبتدأ، خبرُه:

﴿ بِأَنَّ ٱللَّهَ ﴾ أي: بسببِ أنَّ الله.

﴿ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ أي: الكتبَ.

﴿ بِٱلْحَقِّ ۗ ﴾ بما لا شكَّ فيه ولا تناقضَ، فاختلفوا فيها، فآمنوا ببعضٍ، وكفروا ببعضٍ.

﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍ ﴾ خلافٍ.

﴿ بَعِيدٍ ﴾ عن الهدَى.

---

(١) انظر: تفسير الآية (٢٠) من سورة البقرة.

ولما صَلَّى اليهودُ نحوَ المغربِ، وادَّعَوْا أنه البِرُّ، والنصارى نحوَ المشرقِ، وادَّعَوْا أنه البِرُّ، نزلَ ردّاً عليهم:

* * *

﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾.

[١٧٧] ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ ﴾ وهو كلُّ عملِ خيرٍ يُفضي بصاحبه إلى الجنة، وأصلُه: التوسُّعُ في فعلِ الخير. قرأ حمزةُ، وحفصٌ: (البِرَّ) بنصب الراء، والباقون: برفعها، فمن قرأ بالرفع، جعل البرَّ اسمَ ليس، وخبرُها (أن تولوا)، ومن قرأ بالنصب، جعلَ (أن تولوا) الاسمَ(١).

﴿ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾ المعنى: ليس البرُّ صلاتِكم إلى غير القبلة.

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ ﴾ أي: وإنما البر. قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ بتخفيفِ النون(٢)، ورفعِ الراء مبتدأ، خبرُه:

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٣٠)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٥)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٦٨).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٩٢)، و«الكشف» =

﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ ﴾ يعني: الكتبَ المنزلة.

﴿ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ أجمعَ.

﴿ وَءَاتَى ﴾ أي: أعطى.

﴿ ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ أي: حبِّ المال في حال صِحَّته ومَحَبَّتِهِ.

﴿ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ أهلَ القرابة، وقَدَّمهم؛ لأنهم أحقُّ.

﴿ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ هو المسافرُ، سُمِّي به لملازمتِهِ الطريقَ.

﴿ وَٱلسَّآئِلِينَ ﴾ المستطْعِمين.

﴿ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾ المكاتَبين.

﴿ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ﴾ أي: أعطى ﴿ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ ﴾ فيما بينَهم وبينَ الله ـ عز وجل ـ، وفيما بينَهم وبينَ الناس.

﴿ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ﴾ إذا وَعَدُوا[1] أَنْجزوا، وإذا حَلَفوا أو نَذَروا أَوْفَوا، وإذا قالوا صَدَقوا، وإذا ائتُمِنوا أَدَّوْا.

﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ منصوبٌ على المدح، والعربُ تنصبُ الكلام على المدح والكرم؛ كأنهم يريدون إفرادَ الممدوحِ والمذمومِ، ولا يُتبعونه أولَ الكلام وينصبونه.

= لمكي (١/ ٢٨١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٤٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٤١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٣٧).

(١) في «ن»: «توعدوا».

﴿فِي ٱلْبَأْسَآءِ﴾ الشدَّةِ والفقرِ.

﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ المرضِ والزَّمانةِ.

﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ القتالِ والحربِ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ فيما عاهدوا ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ محارمَ الله.

* * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾.

[١٧٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ﴾ فُرِضَ.

﴿عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾ المساواةُ.

﴿فِي ٱلْقَتْلَى﴾ والقصاصُ: المماثلةُ في الجراحِ والدِّيات، وأصلُه من قَصَّ الأثرَ: إذا تَبِعَهُ، وهو أن يُفعل بالجاني مثلُ ما فَعل، وسببُ نزولها أنه كان بين حَيَّين في الجاهلية جراحاتٌ ودياتٌ لم تُسْتَوْفَ حتى جاءَ الإسلام، فأقسمَ أحدُ الحيينِ ليقتلنَّ(١) بالرجلِ الواحد الرجلينِ، فنزلَت(٢).

﴿ٱلْحُرُّ﴾ مبتدأ، خبرُه تقديره: مأخوذ.

---

(١) في «ن»: «ليقتل».

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٣٠)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٥٦)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٤٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٤١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٣٨).

﴿بِٱلْحُرِّ﴾ كذلك ﴿وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ اختلفَ الأئمةُ في حكم الآية، فمالكٌ والشافعيُّ وأحمدُ ـ رضي الله عنهم ـ لا يقتلون الحرَّ بالعبد، ولا المؤمنَ بالكافر، ويجعلون هذه الآيةَ مفسِّرَةً للمبهَم في قوله: ﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥]، ولأن تلكَ حكايةُ ما خوطبَ به اليهودُ في التوراة، وهذه خطاب للمسلمين، وما فرض عليهم فيها، واستثنى مالك فقال: إلا أن يقتلَ المسلمُ الكافرُ غيلةً، فيُقتلُ به، وأبو حنيفة ـ رضي الله عنه ـ يقتلُ الحرُّ بالعبدِ، والمؤمنَ بالكافر، يجعلُ[1] هذه الآية منسوخَةً بقوله: ﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾، وبدليل ما رُوي: «المُسْلِمُونَ تتكافأُ دِمَاؤُهُمْ»[2]، ولأنَّ التفاضُلَ في الأنفسِ[3] غيرُ معتبرٍ؛ بدليلِ قتلِ الجماعةِ بالواحدِ بالاتفاق، واتفقوا على أنه يُقْتَلُ الذكرُ بالأنثى، وعكسُه، والصغيرُ بالكبير، والصحيحُ بالأعمى، وبالزَّمِنِ، وبناقِصِ الأطرافِ، وبالمجنونِ.

ونقل الزمخشريُّ في «كَشَّافِه» أنَّ مذهبَ مالكٍ والشافعيِّ لا يقتل الذكرُ بالأنثى؛ أخذاً بهذه الآية[4] ، وهو وهمٌ؛ فإن مذهبَهما يُقْتَلُ الذكرُ بالأنثى، وعكسُه، وقد صرَّحَ بذلك علماءُ المذهبَيْنِ في كتبِهِم المبسوطاتِ والمختصراتِ.

﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾ أي: تُرِكَ له، وصُفِحَ عنهُ من الواجِبِ عليه،

---

(١) في «ن»: «ويجعل».

(٢) رواه أبو داود (٢٧٥١)، كتاب: الجهاد، باب: في السرية ترد على أهل العسكر، وابن ماجه (٢٦٨٥)، كتاب: الديات، باب: المسلمون تتكافأ دماؤهم، وغيرهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ.

(٣) في «ت»: «النفس».

(٤) انظر: «الكشاف» للزمخشري (١/ ٢٤٦).

وهو القصاصُ في قتل العمد، ورُضي منه بالدية، وأصلُ العفوِ: المحوُ والتجاوزُ، وقولُه: (مِنْ أَخيهِ)؛ أي: من دم أخيهِ المقتولِ، وقولُه: (شيءٌ) دليلٌ على أن بعض الأولياء إذا عفَا، سقطَ القَوَدُ، وتعَيَّنَتِ الدِّيَةُ؛ لأنَّ شيئاً من الدم قد بطلَ، وهو قولُ الثلاثة، وقال مالكٌ: إن عَفَا بعضُ مَنْ له الاستيفاءُ، فإن كانَ الجميعُ رجالاً، سقطَ القودُ، وإن كُنَّ نساءً، نظرَ الحاكمُ، فإن كانوا رجالاً ونساءً، لم يسقطْ إلا بهما، أو ببعضِهما، وإلا فالقولُ قولُ المقتصِّ، ومهما سقطَ البعضُ، تعيَّنَ لباقي الورثة نصيبُهم من ديةِ عمدٍ.

﴿ فَٱتِّبَاعٌۢ ﴾ أي: على الطالبِ للدياتِ الاتباعُ.

﴿ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ فلا يأخذُ منه أكثرَ من الدية، ولا يطالبُه بعنفٍ.

﴿ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ ﴾ أي: على المطلوبِ منه أداءُ الديةِ إلى وليِّ الدمِ.

﴿ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ بلا مماطلةٍ ولا بَخْس، وهذا تأديبٌ للقاتل، ولوليِّ الدمِ.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: المذكورُ من العفوِ وأخذِ الدية.

﴿ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ لأن القصاص كان حتماً على اليهود، وحُرِّمَ عليهِمُ العفوُ والديةُ، وكانتِ الديةُ حَتْماً على النصارى، وحُرِّمَ عليهم القصاصُ، فَخيِّرَتْ هذه الأمةُ بينَ الأمرين تخفيفاً ورحمةً.

﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ ﴾ أي تجاوزَ ما شُرِعَ، فقتلَ الجانيَ بعدَ العفوِ وقَبولِ الدية، أو قتلَ غيرَ القاتلِ.

﴿ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: بعدَ أخذِ الدية.

﴿ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ في الآخرة.

* * *

﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾.

[١٧٩] ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ أي: بقاءٌ؛ لأنه يزجُرُ عن القتل.

﴿ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ العقولِ.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ أي: تنتهونَ عن القتل مخافةَ القَوَد. وفي معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ من الأمثالِ الدائرةِ على ألسُنِ الناس: القَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ.

* * *

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾.

[١٨٠] ﴿ كُتِبَ ﴾ أي: فُرِضَ.

﴿ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ أي: أسبابُه من الأمراضِ.

﴿ إِن تَرَكَ خَيْرًا ﴾ أي: مالاً.

﴿ ٱلْوَصِيَّةُ ﴾ والفاءُ مقدرة؛ أي: فالوصيةُ رفع مبتدأ، خبرُه:

﴿ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ كانت فريضةً في ابتداء الإسلام، ثم نُسخت بآيةِ الميراثِ، وبقولِ النبيِّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَلاَ وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ»[١] ﴿ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ أي: بالعدلِ، لا يزيدُ على الثلثِ، ولا يوصي لغنيٍّ ويدعُ الفقيرَ.

---

(١) رواه أبو داود (٢٨٧٠)، كتاب: الوصايا، باب: ما جاء لا وصية لوارث، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٢٧١٣)، كتاب: الوصايا، باب: لا وصية لوارث، وغيرهم عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿حقًّا﴾ نصبٌ على المصدَر؛ أي: جَعَلَ الوصيةَ حقاً.

﴿عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ الله.

***

﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾﴾.

[١٨١] ﴿فَمَنۢ﴾ شرطٌ مبتدأ.

﴿بَدَّلَهُۥ﴾ غيَّرَ الإيصاءَ.

﴿بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ﴾ أي: قولَ الموصي، والجوابُ:

﴿فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ﴾ أي: حرجُ الإيصاءِ المبدَّلِ.

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ﴾ والميتُ بريءٌ منه ثم تهدَّدَ المبدِّلَ بقوله:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِما وَصَّى به الموصي.

﴿عَلِيمٌ﴾ بتبديل المبدِّلِ.

***

﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾.

[١٨٢] ﴿فَمَنْ خَافَ﴾ أي: علم.

﴿مِن مُّوصٍ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ، ويعقوبُ، وخلفٌ: (مُوَصٍّ) بفتح الواو وتشديد الصاد؛ لقوله تعالى: ﴿مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ [الشورى: ١٣]، ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [الأحقاف: ١٥]، وقرأ الباقون: بسكون

الواو وتخفيف الصاد؛ لقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوۡلَـٰدِكُمۡۖ﴾[1] [النساء: ١١].

﴿جَنَفًا﴾ أي: عُدولاً عن الحقِّ، وأصلُه: الميل.

﴿أَوۡ إِثۡمًا﴾ ظلماً.

﴿فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ﴾ أي: بين الموصَى لهم.

﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ﴾ أي: على الحاضر أو وليِّ أمورِ المسلمينَ أن يأمرَ الموصِيَ بالعدل بينَ الموصَى لهم، أو يصلحَ بعدَ موتِهِ بينَ ورثَتِهِ وبينَ الموصَى له، ويردَّ الوصيةَ إلى العدلِ والحقِّ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ وعدٌ للمصلح.

* * *

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾.

[١٨٣] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ﴾ أي: فُرِضَ.

﴿عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ وأصلُه في اللغة: الإمساكُ، وفي الشرعِ: إمساكٌ عن أشياءَ مخصوصةٍ بنيَّةٍ في زمنٍ معيَّنٍ من شخصٍ مخصوصٍ. ثم بَيَّنَ أن

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٣٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٢٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٨٢)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٤٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٤٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٤٠).

هذا الصيام؛ أعني: ثلاثين يوماً، كان مفروضاً على من تقدَّمنا، ولم نُخَصَّ به بقوله:

﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ من الأنبياء والأممِ، وكان صيامُ مَنْ تقدَّمنا من العتمة إلى الليلة القابلة، وكان النصارى قد يقع صيامهم في الحرِّ الشديد، فيشُقُّ عليهم، فجعلوه في الربيع، وزادوه عَشْراً كفارةً لِما صنعوا، ثم مرض ملكُهم فبرىء، فأتمَّهُ خمسين.

﴿ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ ما لم يَجُزْ شرعاً.

***

﴿ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ ﴾.

[١٨٤] ﴿ أَيَّامٗا ﴾ ظرفٌ لكُتِبَ؛ كقولك(١): نويتُ الخروجَ يومَ الجمعة.

﴿ مَّعۡدُودَٰتٖۚ ﴾ مُوَقَّتاتٍ بعددٍ، وكان في ابتداء الإسلام صومُ ثلاثةِ أيام من كلِّ شهرٍ واجباً، وصومُ عاشوراء، فَنُسِخَ بصيام رمضان، وأولُ ما نُسِخَ بعدَ الهجرةِ أمرُ القبلةِ والصومِ، وفُرِضَ رمضانُ في السنة الثانية من الهجرة إجماعاً، فصام ـ عليه السلام ـ تسعَ رمضاناتٍ إجماعاً.

﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ ﴾ أي: راكب سفر.

---

(١) في «ت»: «كقوله».

﴿فَعِدَّةٌ﴾ مبتدأ، خبرُه محذوف، تقديره، ومعناه: فأفطرَ، فعليه صيامُ عددِ أيامِ فطرِه.

﴿مِّنْ أَيَّامٍ﴾ نعتٌ لعِدَّة.

﴿أُخَرَ﴾ غيرِ أيامِ مرضِه وسفرِه.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ أي: على الذين يقدرون على الصيام، وهم مَنْ[1] لا عذرَ له في الفطر، فعليه إن أفطر:

﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ لأنهم كانوا قد خُيِّروا في ابتداء الإسلام بينَ أن يصوموا وبينَ أن يفطروا ويفتدوا، فَنُسِخَ التخييرُ بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ ذكوانَ عنِ ابنِ عامر: (فِدْيَةُ طَعَامِ) بالإضافة (مَسَاكِينَ) على الجمع بألف[2] بعدَ السين، وافقهم هشامٌ في جمع مساكين. وقرأ الباقون: (فِدْيَةٌ) منونةً (طَعَامُ) رفعٌ (مِسْكِينٍ) على التوحيد، فمن جمعَ، نصبَ النونَ، ومن وحَّدَ، خفضَ النونَ، ونوَّنَها[3]، وهي ثابتةٌ في حقِّ مَنْ كان يطيقُ في حالِ الشبابِ، ثم عجزَ لكبرِه، فله أن يُفطرَ ويفتديَ عندَ الثلاثة، وعندَ مالكٍ يفطرُ ولا فدية

---

(١) في «ن»: «ممن».

(٢) في «ن»: «بالألف».

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٣٦)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٨٢-٢٨٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٤٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٥٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٤٢).

عليه، لكنْ تستحَبُّ. والفديةُ: الجزاءُ، وهو أن يُطعمَ عن كلِّ يومٍ أفطرَ مسكيناً مُدّاً مِنْ بُرٍّ، وهو رِطْلٌ وثُلُثٌ بالعراقيِّ عندَ الشافعيِّ ومالكٍ وأحمدَ، وعندَ أبي حنيفةَ نصفُ صاعٍ بُرّاً، أو صاعٌ من غيره، وقدر الصاعِ عندَه ثمانيةُ أرطالٍ بالعراقيِّ.

﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ أي: زادَ على مسكينٍ واحدٍ، أو زادَ على الواجبِ عليه.

﴿فَهُوَ﴾ أي: فالتطوُّعُ.

﴿خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلف: (يَطَّوَّعْ)[1] أي: يَتَطَوَّعْ، ومحلُّ ﴿وَأَن تَصُومُوا۟﴾ رفعٌ مبتدأ، خبرُه:

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: والصيامُ خيرٌ من الفديةِ.

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلكَ، والحاملُ والمرضِعُ إذا خافتا على وَلَدَيهما وأَنْفُسِهما، أَفْطَرتا، وقَضَتا[2] بالاتفاق، ولا فديةَ عليهما عندَ أبي حنيفةَ، والمشهورُ عن مالكٍ وجوبُ الفديةِ على المرضِعِ دونَ الحاملِ، وعندَ الشافعيِّ وأحمدَ إنْ أفطرتا خَوْفاً على أنفسِهما، فلا فديةَ، أو على الولدِ لزِمَتْهما الفديةُ، وأما المريضُ والمسافرُ والحائضُ والنفساءُ، فعليهمُ القضاءُ دونَ الفديةِ بالاتفاق.

ثم بين اللهُ تعالى أيامَ الصيام فقال:

---

(١) انظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٠)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٦٩-٢٧٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٤٣).

(٢) في «ن»: «وقضيا».

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾.

[١٨٥] ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ﴾ سُمِّيَ الشهرُ شهراً؛ لشهرته، وسُمِّيَ رمضانَ من الرَّمْضاء، وهي الحجارةُ المُحَمَّاةُ. قرأ أبو عمرٍو (شَهْر رَّمَضَانَ) بإدغام الراء في الراء[1]، ورفْعُهُ مبتدأ، خبرُه:

﴿ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ جملةً واحدةً في ليلةِ القدرِ من اللَّوْحِ المحفوظِ إلى بيتِ العِزَّةِ في سماءِ الدُّنْيا، ثم نزلَ به جبريلُ ـ عليه السلام ـ نجوماً في نيِّفٍ وعشرينَ سنةً، وتقدَّمَ تفسيرُ معنى القرآن في الفصلِ الثامنِ أولَ التفسيرِ. قرأ ابنُ كثيرٍ (القُرَان) (وقُرَاناً) حيثُ وقعَ بفتحِ الراءِ غيرَ مهموزٍ[2].

وعن أبي ذَرٍّ ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «أُنْزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ فِي ثَلاَثِ لَيَالٍ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَتْ تَوْرَاةُ مُوسَى فِي سِتِّ لَيَالٍ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ إِنْجِيلُ عِيسَى فِي ثَلاَثَ عَشْرَةَ مَضَيْنَ مِنْ

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٣٧)، و«إتحاف الفضلاء» للدمياطي (ص: ١٤٨)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٤٣).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١٥٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٤٤).

رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ زَبُورُ دَاوُدَ فِي ثَمانِي عَشْرَةَ لَيْلَةً[1] مَضَتْ[2] مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى مُحَمَّدٍ فِي الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ لِستٍّ بَقِينَ بَعْدَهَا»[3].

﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ من الضلالة.

﴿وَبَيِّنَٰتٍ﴾ دلالاتٍ واضحاتٍ.

﴿مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾ ذكر أولاً أنه هُدًى للناس، ثم ذكر ثانياً أنه بيناتٌ من الهدى؛ ليؤذن أنه من جملةِ ما هَدَى الله تعالى به.

﴿وَٱلْفُرْقَانِ﴾ المفرِّقِ بينَ الحقِّ والباطِلِ.

﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ﴾ أي: كان[4] مقيماً في الحضر.

﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ وأعاد قولَهُ:

﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ ليعلمَ أنَّ هذا الحكمَ ثابتٌ في الناسخِ ثبوتَهُ في المنسوخ، واختلفوا في المرض الذي يُبيحُ الفطرَ، فقال أبو حنيفةَ ومالكٌ: يُباحُ بمطلَقِ المرضِ، وقالَ الشافعيُّ وأحمدُ: يُباحُ إذا خافَ ضَرَراً بزيادةِ مرضِه أو طولِه، والسفرُ المبيحُ للفطرِ

---

(١) «ليلة» ساقطة من «ن».

(٢) في «ن»: «مضين».

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٠٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٧٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٤٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٢٠٢)، عن واثلة بن الأسقع ـ رضي الله عنه ـ قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٩٧): فيه عمران بن داود القطان، ضعفه يحيى ووثقه ابن حبان، وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث، وبقية رجاله ثقات.

(٤) «كان» ساقط من «ن».

عندَ أبي حنيفة مسيرةُ ثلاثةِ أيامٍ، وعندَ الثلاثةِ سِتَّةَ عَشَرَ فَرْسَخاً [وهي][1] أربعةُ بُرُدٍ، وهي يومانِ قاصدانِ، واختلفوا في أفضلِ الأمرينِ، فقال الثلاثة: الصومُ أفضلُ، [وإنْ جهدَهُ الصومُ كانَ الفطرُ أفضلَ، وقالَ الإمامُ أحمدُ: الفطرُ أفضلُ][2]؛ لقولِ النبيِّ ﷺ: «لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ»[3].

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ حيثُ أباحَ الفطرَ بالمرضِ والسفرِ، واليُسْرُ: ما تسهل.

﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [العُسْرُ: ضدُّ اليسر، تلخيصُه: يريدُ أن يُيَسِّرَ عليكم ولا يُعَسِّرَ][4]. قرأ أبو جعفر (اليُسُرَ والعُسُرَ) ونحوَهما بضمِّ السين حيثُ وقعَ، والباقون: بالسكون[5].

﴿وَلِتُكْمِلُواْ﴾ تقديرُهُ: يريدُ بكمُ اليسرَ، ويريدُ بكم لتكمِلوا.

﴿ٱلْعِدَّةَ﴾ بقضاءِ ما أفطرتُم في مرضِكم وسفرِكم. قرأ أبو بكرٍ،

---

(١) لم ترد في جميع النسخ، والسياق يقتضيها.

(٢) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٣) رواه البخاري (١٨٤٤)، كتاب: الصوم، باب: قول النبي ﷺ لمن ظلل عليه واشتد الحر: «ليس من البر الصوم في السفر»، ومسلم (١١١٥)، كتاب: الصيام، باب: جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية، عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) ما بين معكوفتين سقط من «ن».

(٥) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١٥٦)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ١١٤)، و«تفسير القرطبي» (١/ ٣٠١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٤٤).

ويعقوبُ: (ولِتُكَمِّلُوا) بتشديد الميم، والباقون: بالتخفيف، وهو الاختيار؛ لقوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[1] [المائدة: ٣].

﴿ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ ﴾ أي: تُعَظِّموه حامِدينَ.

﴿ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ﴾ أرشدَكم إلى ما رَضِيَ به من صومِ شهرِ رمضان.

﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ لله ـ عز وجل ـ على نعمِه، والمرادُ بهذا التكبيرِ: هو تكبيرُ ليلةِ الفطرِ، وهو مستحَبٌّ، واختلفَ الأئمةُ في مُدَّته، فقال مالكٌ: يكبِّرُ في يومِ الفطرِ دون ليلته، وابتداؤه من أولِ اليوم إلى أن يخرجَ الإمامُ إلى الصلاة، وعندَ الشافعيِّ وأحمدَ من غروبِ الشمسِ ليلةَ الفطر، وانتهاؤه عندَ الشافعيِّ إلى أن يُحْرِمَ الإمامُ بالصلاة، وعندَ أحمدَ إلى فراغِ الخطبة، وقال أبو حنيفة: يكبِّرُ للأَضْحى، ولا يكبِّرُ للفطر، وعند صاحبيه يُكَبِّرُ إذا توجَّهَ للصلاة، فإذا انتهى إلى المصلَّى، سقطَ عنه التكبيرُ، والتكبيرُ في الفطرِ مطلَقٌ غيرُ مقيَّدٍ بوقتٍ ولا مكانٍ، فيكبر في المساجد، والمنازل، والطرق، وغيرها، ولا يكبر عقبَ الصلواتِ المكتوبةِ، وأما صلاةُ العيدين، فهي[2] فرضُ كفايةٍ عندَ أحمدَ وسُنَّةٌ عندَ الشافعيِّ ومالكٍ، وعندَ أبي حنيفةَ واجبةٌ على الأعيان، وليستْ فرضاً، ويأتي الكلامُ على

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٣٩)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٨٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٤٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٥٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٤٥).

(٢) في «ت»: «فهو».

التكبيرِ للأضحى وصفةِ التكبيرِ عندَ تفسيرِ قوله تعالى: ﴿۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، وأما وقتُ صلاةِ العيدِ وصفتُها وأحكامُها، فقد اتفقَ الأئمةُ على أنَّ أولَ وقتِها إذا ارتفعتِ الشمسُ، وآخرَهُ إذا زالتِ الشمسُ[١]، وسُمِّيَ عيداً؛ لاعتيادِ الناسِ له كلَّ حينٍ، ومعاودَتِهِمْ إياه، والسُّنَّةُ أن يُنادى لها: الصَّلاةَ جامعةً، ويُشْتَرَطُ لها إذنُ الإمامِ، والمِصْرُ عندَ أبي حنيفة، خلافاً للثلاثةِ، كما في الجمعة، ويشترطُ الاستيطانُ، وحضورُ أربعين عند الشافعيِّ وأحمدَ، وعندَ أبي حنيفةَ ومحمدٍ تنعقدُ بثلاثةٍ سوى الإمامِ، وعند أبي يوسفَ اثنانِ سوى الإمامِ، وعندَ مالكٍ ليسَ لهم حدٌّ محصورٌ كما قالَ كلٌّ منهم في الجمعة، وهي ركعتان يجهرُ فيهما بالاتفاق، وصفتُها[٢] عندَ أبي حنيفة أن يكبِّرَ تكبيرةَ الافتتاحِ، وثلاثاً بعدَها، فإذا قامَ للثانيةِ، بدأ بالقراءةِ، ثم يكبِّرُ ثلاثاً، وأُخرى للركوع، فيوالي بينَ القراءتين في الركعتين، ويسكتُ بينَ كلِّ تكبيرتينِ قدرَ ثلاثِ تسبيحاتٍ، ويرفعُ يدَيه في الزوائدِ، وعندَ مالكٍ يكبِّرُ في الأولى بعدَ تكبيرة الإحرام سِتّاً، وفي الثانيةِ بعدَ القيامِ خمساً، ويرفَعُ يديه في الأولى خاصَّةً، وليس عندَه بينَ التكبيرتين قولٌ، ولا للسكوتِ بينَهما حَدٌّ، وعندَ الشافعيِّ يكبِّرُ في الأولى بعدَ الافتتاحِ سَبْعاً، وفي الثانيةِ قبلَ القراءةِ خَمْساً، وعندَ أحمدَ في الأولى بعدَ الافتتاحِ سِتّاً؛ كقولِ مالكٍ، وفي الثانية بعدَ القيام خَمْساً؛ كقولِ الشافعيِّ، واتفقَ الشافعيُّ[٣] وأحمدُ على رفعِ اليدينِ مع كلِّ تكبيرةٍ، وعلى

---

(١) «الشمس»: زيادة من «ن».

(٢) في «ن»: «وصفتهما».

(٣) «واتفق الشافعي» ساقطة من «ن».

التكبيرِ والتحميدِ والتسبيحِ بينَ كلِّ تكبيرتينِ، فإذا فرغَ من الصلاةِ، خطبَ خُطْبتينِ، وهما سُنَّةٌ بالاتفاقِ، يفتتحُهما بالتكبيرِ، يحثُّهم في الفطرِ على الصدقة، ويبينُ لهم ما يُخرجون، وفي الأضحى على الأُضْحية، ويبينُ حكمَها، والتكبيراتُ الزوائدُ سُنَّةٌ بالاتفاق.

* * *

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾.

[١٨٦] ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ منهُم بالعلمِ والإجابة. عن ابنِ عباسٍ قال: قالَ يهودُ المدينةِ: يا محمدُ! كيفَ يسمعُ دعاءنا ربُّنا وأنتَ تزعُم أن بيننا وبينَ السماء خمسَ مئةِ عامٍ، وأنَّ غلظَ كلِّ سماءٍ مثلُ ذلك؟ فنزلَتْ هذهِ الآيةُ، وفيه ضمارٌ تقديرُه: فقل لهم: إني قريب.

﴿أُجِيبُ﴾ أسمعُ للإجابة.

﴿ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمرٍو: (الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي) بإثبات الياء فيهما وَصْلاً، بخلافٍ عن قالون. وقرأ يعقوبُ: بإثباتهما وَصْلاً ووَقْفاً، والباقون: بحذفِهما في الحالين[١].

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٦٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٦٩، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٤٦).

قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا عَلَى الأَرْضِ رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللهَ بِدَعْوَةٍ إِلاَّ آتَاهُ اللهُ إِيَّاهَا، أَوْ كَفَّ عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مِثْلَهَا، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ».

وروي أن أعرابياً قالَ: يا رسولَ الله! أقريبٌ ربُّنا فَنُناجِيهِ، أَمْ بعيدٌ فَنُنادِيه؟ فنزل:

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ أي: فَلْيُجيبوا إذا دعوتُهم إلى الإيمان، والإجابة في اللغة: الطاعةُ، فالإجابةُ من الله: العطاءُ، ومن العبدِ: الطاعةُ، وحقيقتُه: فليطيعوني.

﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ لكي يهتدوا، والرُّشْدُ ضِدُّ الغَيِّ. قرأ وَرْشٌ: (وَلْيُؤْمِنُوا بِيَ) بفتح الياء[1].

وكانَ في ابتداءِ الإسلامِ يحرمُ[2] الأكلُ والشربُ والجماعُ في رمضانَ بعدَ النوم وبعدَ صلاةِ عشاءِ الآخرةِ، ثم إنَّ عمرَ بنَ الخطاب ـ رضي الله عنه ـ واقعَ أهلَه بعدَ ما صلَّى العشاء، فلمَّا اغتسلَ، أتى النبيَّ ﷺ، واعتذرَ إليه، ثم قامَ رجالٌ فاعترفوا بمثلِه، فنزلَ في عمرَ وأصحابِه:

* * *

---

(1) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٣٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٤٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/١٤٦).

(2) في «ن»: «تحريم».

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾.

[١٨٧] ﴿أُحِلَّ﴾ أي: أُبيحَ.

﴿لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ﴾ ظَرْفٌ لـ«أُحِلَّ».

﴿ٱلرَّفَثُ﴾ الجماعُ ومقدِّماتُه.

﴿إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: الرَّفَثُ: كلمةٌ جامِعَةٌ لكلِّ ما يريدُ الرجلُ من النساءِ(١).

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ أي: سترٌ منَ النارِ بالتعفُّفِ.

﴿وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ واللباسُ: اسمٌ لكلِّ ما يستُرُ، فكأن كلَّ واحدٍ منهما ستراً لصاحبِهِ عمَّا لا يحلُّ، وجاءَ في الحديث: «مَنْ تزوَّجَ، فقَدْ أَحرزَ ثُلُثَيْ دِينهِ»(٢).

---

(١) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (٢/ ١٥٤)، (مادة: رفث).

(٢) قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٤٧٦): رواه ابن الجوزي في «العلل» عن أنس مرفوعاً، وقال: لا يصح. وهو عند الطبراني في «الأوسط» (٧٦٤٧)، بلفظ: «فقد استكمل نصف الإيمان....»، وقال: لم يروه عن عصمة إلا زافر. ورواه البيهقي في «الشعب» (٥٤٨٦)، من حديث الخليل بن مرة، عن الرقاشي، ولفظه: «إذا تزوج العبد فقد كمل نصف دينه، فليتق الله في=

﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ ﴾ تخونونَ.

﴿ أَنفُسَكُمْ ﴾ وتظلمونَها بالمجامعةِ بعدَ العشاء.

﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ تجاوزَ عنكُمْ.

﴿ وَعَفَا عَنكُمْ ﴾ مَحا ذنوبَكُمْ.

﴿ فَٱلْـَٰٔنَ ﴾ ظرفٌ لقول:

﴿ بَٰشِرُوهُنَّ ﴾ جامِعُوهُنَّ، وسُمِّيَتِ المجامعةُ مباشرةً لالتصاقِ بَشَرَتَيْهِما.

﴿ وَٱبْتَغُوا۟ ﴾ اطلُبوا.

﴿ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ في اللَّوْحِ المحفوظِ منَ الولدِ، وكان في ابتداءِ الإسلام إذا نامَ الإنسانُ أو صلَّى العشاءَ حَرُمَ عليهِ الطعامُ والشرابُ في صيامِ رمضانَ، فنزلَ رخصةً:

﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ ﴾ ليالي الصِّيامِ.

﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ ﴾ تبيَّنَ الشيءُ: ظهرَ.

﴿ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ ﴾ هو أولُ ما يبدو من بَياضِ النهار كالخيطِ الممدود.

﴿ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ ﴾ هو ما يمتدُّ من سواد الليل مع بَياض النهار، وشُبِّها بخيطين أبيضَ وأسودَ لامتدادِهما، والمرادُ: الفجرُ الثاني.

= النصف الباقي»، ومن حديث زهير بن محمد، عن أنس مرفوعاً، بلفظ: «من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله في الشطر الباقي»، وكذا هو عنده شيخه الحاكم في «مستدركه» (٢٦٨١)، وقال: إنه صحيح الإسناد ولم يخرجاه، انتهى مختصراً.

﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ بيانٌ للخيطِ الأبيضِ، واكتفى ببيان الخيطِ الأبيضِ عن بيانِ الأسودِ؛ لدلالتِهِ عليه، ولما أنزلت: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾، ولم ينزلْ منَ الفجر، كان رجالٌ إذا أرادوا الصوم، ربطَ أحدُهم في رِجْليه الخيطَ الأبيضَ والخيطَ الأسودَ، ولا يزالُ يأكلُ ويشربُ حتى يتبينَ له رؤيتُهما، فأنزل الله: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾، فعلموا أنَّما يعني الليلَ والنهارَ[1]، والفجرُ فجرانِ: كاذبٌ، وصادقٌ، فالكاذبُ يطلُعُ أولاً مستطيلاً يصعَدُ إلى السماء، فبطلوعِهِ لا يخرجُ الليلُ، ولا يحرُمُ الطعامُ والشرابُ على الصائم، ثم يغيبُ فيطلُعُ بعدَهُ الصادقُ، ينتشرُ سريعاً في الأفق، ولا ظلمةَ بعدَه، فبطلوعِه يدخلُ النهار، ويحرمُ الطعامُ والشرابُ على الصائم.

﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَاهُنَا، وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَاهُنَا، وَغَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ»[2].

﴿وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ﴾ المباشرةُ: الجِماعُ، نزلَتْ فيمَنْ كان يعتكِفُ في المسجد، فإذا عَرَضَتْ له حاجةٌ إلى امرأته، خَرَجَ فجامَعَها، ثُمَّ اغتسلَ فرجعَ إلى المسجد.

---

(١) رواه البخاري (١٨١٨)، كتاب: الصوم، باب: قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟....﴾، ومسلم (١٠٩١)، كتاب: الصيام، باب: بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر...، عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه البخاري (١٨٥٣)، كتاب: الصوم، باب: متى يحل فطر الصائم، ومسلم (١١٠٠)، كتاب: الصيام، باب: بيان وقت انقضاء الصوم وخروج النهار، عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ.

رُوِيَ عن يعقوبَ: الوَقْفُ على النون المشدَّدَةِ من جمعِ الإناثِ بالهاءِ[1] نحو: (هُنَّهْ) (وَمِنْهُنَّهْ) (وَلا تُبَاشِرُوهُنَّهْ) وشبهِه حيثُ وقعَ.

﴿وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ﴾ مقيمون ناوونَ الاعتكافَ.

﴿فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ ولا يجوزُ الاعتكافُ في غيرِ المساجد[2]، وهو سنَّةٌ بالاتفاق، وهو لزومُ مسجدٍ لطاعةِ الله تعالى على صفةٍ مخصوصةٍ من مسلمٍ عاقلٍ ولو مميزاً، طاهرٍ مما يوجبُ غسلاً، ولو ساعةً، ويجوزُ غيرَ صائمٍ عندَ الشافعيِّ وأحمدَ، خلافاً لأبي حنيفةَ ومالكٍ ـ رضي الله عنهما ـ. المعنى: الجماعُ محرَّمٌ عليكم مدَّةَ اعتكافِكُمْ ليلاً ونهاراً، وهو مُفْسِدٌ له بالاتفاق، وما دونَ الجماعِ من المباشراتِ؛ كالقبلةِ واللمسِ بالشهوةِ، فمكروهٌ، ولا يفسِدُ الاعتكافَ عندَ الشافعيِّ، وقال مالكٌ: يبطل اعتكافه، وعندَ أبي حنيفةَ وأحمدَ: إنْ أنزلَ، بطلَ، وإلاَّ فلا.

﴿تِلْكَ﴾ أي: الأحكامُ المذكورةُ وجميعُ المحرَّماتِ.

﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ أي: موانعُه، وأصلُ الحدِّ في اللغة: المنعُ، ومنهُ قيلَ للبواب: حَدّادٌ؛ لأنه يمنعُ الناسَ منَ الدخولِ. قرأ أبو عمرٍو (المَسَاجِد تِّلْكَ) بإدغام الدال في التاء.

﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ أي: فلا تأتوها.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ هكذا.

---

(١) انظر: «إتحاف الفضلاء» للدمياطي (ص: ١٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٤٧).

(٢) في «ن»: «المسجد».

﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ لكي يتقوها فينجوا من العذاب.

* * *

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾.

[١٨٨] ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم ﴾ أي: لا يأكلْ بعضُكم من مالِ بعضٍ.

﴿ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ من غيرِ الوجهِ الذي أباحَهُ اللهُ، وأصلُ الباطلِ: الشيءُ الذاهبُ. نزلَتْ في رجلين تخاصَما إلى النبي ﷺ في أرضٍ بينَهما، فأرادَ أحدُهما أن يحلِفَ على أرضِ أخيه(١).

﴿ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ ﴾ أي: لا تُلْقوا بالأموالِ الرشوةِ، وأصلُ الإدلاءِ: إرسالُ الدَّلْو وإلقاؤه في البئر، يقال: أدلَى دَلْوَهُ: إذا أرسلَهُ.

﴿ إِلَى ٱلْحُكَّامِ ﴾ قضاة السوء بإقامة شهادة الزور.

﴿ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا ﴾ أي: طائفةً.

﴿ مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ ﴾ أي: الظلمِ.

﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أنكم مُبْطِلون.

* * *

﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾.

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» (حديث رقم: ١٣٩).

[١٨٩] ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ﴾ نزلَتْ في مُعاذِ بنِ جَبَلٍ وثعلبةَ بنِ غنمٍ الأنصاريَّيْنِ قالا: يا رسولَ الله! ما بالُ الهلالِ يبدو دقيقاً، ثم يزيدُ حتى يمتلىء نوراً، ثم يعودُ دقيقاً كما بدأ، ولا يكون على حالة؟ فأنزل الله الآية[١]، والأهلةُ: جمعُ هلالٍ، سُمِّي بذلك؛ لرفعِ الناسِ أصواتَهُمْ عندَ رؤيته، وهو هلالٌ، إلى الليلةِ الثالثةِ[٢]، ثم يُقْمِرُ.

﴿ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ ﴾ جمعُ ميقات؛ أي: معالِمُ.

﴿ لِلنَّاسِ ﴾ يعلمون بها أوقات زراعتهم ومتاجرهم.

﴿ وَٱلْحَجِّ ﴾ أي: يعلمون أوقات الحجِّ والعمرةِ والصيامِ والإفطارِ وغيرِها، فلهذا خالف بينَهُ وبينَ الشمسِ التي هي دائمةٌ على حالةٍ واحدةٍ.

﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ﴾ كان المحرمُ جاهليةً وإسلاماً لا يدخُلُ بيتاً من بابه، بل يدخلُه من خلفِهِ، فإن كانَ حائطاً، نقبَهُ، أو يَتَّخِذُ سُلَّماً يصعَدُ منه حتى يُحِلَّ من إحرامِه، ويرونَ ذلك بِرّاً، إلا أَنْ يكون من الحُمْسِ، وهم قريشٌ وكِنانةُ، فأنزل الله الآيَةَ، وسُمِّيت قريشٌ حُمْساً؛ لشجاعتِهم وتصلُّبِهم في دينهم[٣]. قرأ ابنُ كثيرٍ، وقالونُ، وابنُ عامرٍ وحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ، وخلفُ (البِيُوتَ) و(بِيُوتاً) و(بِيُوتكم)[٤]

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ٢٥)، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بسند ضعيف، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٤٩٠).

(٢) «الثالثة» ساقطة من «ن».

(٣) انظر «تفسير الطبري» (٢/ ١٨٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٦٧)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٤٩٢).

(٤) في «ن»: «بيوتهم».

وشِبْهَهُ بكسرِ الباء حيثُ وقع، والباقون: بالضمِّ على الأصل[1]. المعنى: ليس البرُّ ما تفعلونه.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ ذلكَ وتجنَّبَهُ.

﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ حالَ الإحرامِ.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ لكي تظفروا بالهدى والبر.

وأولُ ما نزلَ في أمرِ القتال:

***

﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ (١٩٠)﴾.

[١٩٠] ﴿وَقَٰتِلُوا۟﴾ أي: و[2]جاهدوا.

﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: طاعتِهِ.

﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ كانَ في ابتداء الإسلام أُمِرَ رسولُ الله ﷺ بالكَفِّ عن قتالِ المشركين، ثم بعدَ الهجرةِ أُمر بقتالِ مَنْ قاتلَه منهم بهذه الآية.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٨)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٨٤_٢٨٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٥٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٦٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٤٨).

(٢) الواو زيادة من «ت».

﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ لا تبدؤوهم بالقتال، ثم نُسخت بعدَ ذلك بقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٤].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ﴾ أي: لا يرضى فِعْلَ.

﴿ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوِزينَ الحلالَ إلى الحرام.

* * *

﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ (١٩١)﴾.

[١٩١] ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ أي: وجدتُموهم، وتمكَّنتم منهُم، وأصلُ الثقافة: الحذقُ في إدراكِ الشيءِ وفعله.

﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ من مكَّةَ؛ لأنهم أخرجوا المسلمين أولاً منها، ثم أَخرجَ ﷺ ثانياً منها من لم يؤمنْ منهم يومَ الفتح، وكانوا يستعْظِمون القتلَ في الحرمِ، ويُعَيِّرونَ بهِ المسلمينَ، فنزل:

﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾ أي: شِرْكُهم بالله.

﴿أَشَدُّ﴾ أي: أعظمُ.

﴿مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ الذي يحلُّ بهم منكم في الحرَمِ والإحرامِ.

﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (ولا تَقْتُلُوهُمْ حَتَّى يَقْتُلُوكُمْ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ) بغير ألفٍ فيهن على معنى: ولا تقتلوا بعضَهم، تقولُ العرب: قتلْنا بني فلانٍ،

وإنما قتلوا بعضَهم. وقرأ الباقون: بالألف[1]، من القتال[2]. كان في ابتداء الإسلام لا يحلُّ بِدايَتُهم بالقتال في البلدِ الحرام، ثم صارَ منسوخاً؛ بقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣].

﴿كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يفعل بهم مثل ما فعلوا.

* * *

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾﴾.

[١٩٢] ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾ عنِ الشركِ والقتالِ.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لما سلَفَ من ذنوبهم.

﴿رَّحِيمٌ﴾ بعباده.

* * *

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾.

[١٩٣] ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ﴾ أي: المشركين.

﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: شركٌ، يعني: حتى يُسْلموا.

---

(١) في «ن»: «عن».

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٤٣)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٩)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٤٩)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٨٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٥٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٦٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٤٩ـ١٥٠).

﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ﴾ أي: العبادة.

﴿لِلَّهِ﴾ وحدَه، فلا يُعبد سواه، فلا يُقبل من غير الكتابي إلا الإسلامُ أو القتلُ.

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾ عن الشركِ.

﴿فَلَا عُدْوَٰنَ﴾ لا ظلمَ.

﴿إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ المعنى: لا تظلموا إلا الظالمين غيرَ المنتهين، وسُمِّي جزاءُ الظالمينَ ظلماً؛ لازدواجِ الكلام؛ كقوله: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٩٤] تلخيصُه: من آمنَ سَلِمَ، ويسمَّى الكافرُ ظالماً؛ لوضعِه العبادةَ في غير محلِّها.

* * *

﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾.

[١٩٤] ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ﴾ أي: المحرم.

﴿بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي: مقابَلٌ به وبما فيه من قتالٍ وحجٍّ وغيرِهما. سببُ نزولها: أن رسولَ الله ﷺ خرجَ معتمِراً في ذي القعدةِ سنةَ ستٍّ، فصَدَّه المشركون عن البيت بالحُديبية، فصالح أهلَ مكَّةَ على أن يرجعَ عامَهُ ذلكَ، ثم رجعَ فقضَى عُمرتَهُ في ذي القعدة أيضاً سنةَ سبعٍ من الهجرةِ، فنزلَتْ[1]. تلخيصُه: هذا الشهرُ بذلكَ الشهرِ.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٨)، و«تفسير الطبري» (٢/ ١٩٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٧٠)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٤٩٧).

﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ﴾ جمعُ حُرْمَةٍ.

﴿قِصَاصٌ﴾ مساواةٌ. المعنى: من هتكَ حرمةً، اقْتُصَّ منه بمثلِها، والهتكُ: خرقُ السترِ عمَّا وراءه.

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ﴾ وقاتلوه.

﴿بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ أي: جازوه بعقوبةٍ مماثلةٍ عقوبته، قال الله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ إذا انتصرتم ممَّنْ ظلمكم، فلا تظلموهم بأخذِ أكثرَ من حَقِّكم.

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ فيصلحُ شأنَهم.

* * *

﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾.

[١٩٥] ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: الجهاد. سببُ نزولها البخلُ وتركُ الإنفاقِ في سبيل الله حينَ قالَ ناسٌ: لو أنفقْنا أموالنا، بقينا بلا أموال(١).

﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ﴾ أصلُ الإلقاءِ: طرحُ الشيءِ حيث تراه، وعُبِّر عن الأنفسِ بالأيدي. المعنى: لا تطرحوا أنفسَكم.

﴿إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ أي: الهلاكِ بتركِ الإنفاقِ في سبيل الله، والعربُ لا تقولُ: ألقى بيدِهِ إلاَّ في الشرِّ.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٩)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٢٠٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٧١)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٤٩٩).

﴿وَأَحْسِنُوٓا۟﴾ باللهِ الظنَّ، وفي الإنفاقِ من غيرِ إسرافٍ ولا تقتيرٍ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فيما يصدُرُ منهم.

* * *

﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾.

[١٩٦] ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ وإتمامُهما أن يؤتَى بهما تامين بمناسكِهما[١] وسُنَنِهما، واتفقَ الأئمةُ على وجوبِ الحجِّ على مَنِ استطاعَ إليهِ سبيلاً، واختلفوا في العُمرة، فقال الشافعيُّ وأحمدُ: هي واجبةٌ؛ لأنها قرينةُ الحجِّ في كتاب الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾، وقال أبو حنيفةَ ومالكٌ: هي سُنَّةٌ، وتأوَّلا قولَه تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ معناه: أَتِمُّوها إذا دخلتُم فيها، أما ابتداءُ الشروعِ[٢] فيها، فتطوُّعٌ.

واتفقَ الأئمةُ على جوازِ أداءِ الحجِّ على ثلاثةِ أوجُهٍ: الإفراد، والتمتُّع، والقِران.

فصورةُ التمتُّع: أن يعتمرَ في أشهرِ الحجِّ، ثم بعدَ الفراغ من أعمالِ

(١) في «ن»: «مناسكهما».
(٢) في «ن»: «الشرع».

العُمرة يُحرِمُ بالحجِّ من مكةَ، فيحجُّ في ذلكَ العامِ، وهو الأفضلُ عندَ الإمامِ أحمدَ.

وصورة الإفرادِ: أن يحجَّ، ثم بعدَ الفراغِ منه يعتمرُ من خارجِ مَكَّةَ من أدنى الحِلِّ، وهو الأفضلُ عندَ مالكٍ والشافعيِّ.

وصورةُ القِرانِ: أن يحرمَ بالحجِّ والعمرةِ معاً، أو يحرمَ بالعمرةِ ثم يُدخلُ عليها الحجَّ قبل أن يطوفَ، فيندرج أفعالُ العمرةِ في أفعال الحجِّ، وهو الأفضلُ عندَ أبي حنيفة.

ويأتي الكلامُ على وجوبِ الحجِّ وشيءٍ من أحكامِه في سورة الحج عندَ تفسيرِ قوله تعالى ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ [الحج: ٢٧].

﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ أصل الإحصارِ: المنعُ، والمانعُ المبيحُ للمحرمِ التحلُّلَ ما كان بعدوٍّ عندَ الشافعيِّ وأحمدَ ومالكٍ، وعندَ أبي حنيفةَ كلُّ ما صَدَّ عن الوصول إلى البيت؛ كعدوٍّ، ومرضٍ، وذهابِ نفقةٍ وراحلة، وتقديرُه: إن صُدِدتم عن الوصول إلى البيت.

﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ﴾ أي: فعليه ما تيسرَ.

﴿مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ جمعُ هَدِيَّة، والهديُ: ما يُهْدَى إلى الحَرَم من نَعَمٍ وغيرِها تقرُّباً إلى الله تعالى، والمرادُ هنا: النَّعَمُ، فأيسرُهُ شاةٌ، وأوسطُه بقرةٌ، وأعلاه بَدَنَةٌ، فيتحلَّلُ المحرمُ بذبحِ الهديِ وحَلْقِ الرأسِ حيث أُحْصِرَ عندَ الشافعيِّ وأحمدَ، وعندَ مالكٍ أن المحصَرَ بعدوٍّ لا يجبُ عليه هَدْيٌ، ويتحلَّلُ بدونه، وقال أبو حنيفةَ: يبعثُ بهديِه إلى الحَرَمِ، ويُقيم على إحرامِهِ، ويواعدُ مَنْ يذبحُهُ عنهُ، ثم يُحِلُّ. تلخيصُه: فإنْ مُنِعْتُم عن البيت مُحْرَمين، فعليكم إذا أردتم التحلُّلَ ما تَسَهَّلَ من الهَدْي.

﴿ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ ﴾ في حالِ الإحرام، فالحلقُ والتقصيرُ مشروعٌ في الحجِّ بالاتفاقِ، فعندَ الشافعيِّ هو ركنٌ على الأصحِّ، وعندَ الثلاثةِ واجبٌ.

﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ﴾ مَنْحَرَهُ الذي يُذْبح فيه، فيذبحُه حيثُ يحلُّ، وتقدَّم قريباً ذكرُ اختلافِ الأئمة في محلِّه.

﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا ﴾ في جَسده.

﴿ أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ ﴾ من هَوامّ أو صُداعٍ صراع[1] أو جراحةٍ[2]. المعنى: يثبتُ على إحرامِه من غيرِ حلقٍ حتى يذبحَ هَدْيَه، إلا أن يُضْطَرَّ إلى الحلق، فإن فعلَ ذلك[3] للضرورةِ ﴿ فَفِدْيَةٌ ﴾ أي: فعليه فديةٌ، نزلتْ في كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ حينَ رآه رسولُ الله ﷺ وَهَوامُّهُ تسقطُ على وجهه، فقال: «أَيُؤْذِيكَ هَوَامُّكَ؟»، فأمره رسولُ الله ﷺ بالحلق والفدية، وهو بالحديبية[4].

﴿ مِّن صِيَامٍ ﴾ أي: صيامِ ثلاثةِ أيامٍ بالاتفاق.

﴿ أَوْ صَدَقَةٍ ﴾ يُطعمها لستةِ مساكينَ، لكلِّ مسكينٍ نصفُ صاعٍ من طعام عندَ الثلاثة، وعندَ أحمدَ مُدُّ بُرٍّ، أو نصفُ صاعِ تمرٍ أو شعيرٍ.

﴿ أَوْ نُسُكٍ ﴾ جمعُ نَسيكة، وهي ذبيحةُ شاةٍ بالاتفاق، واتفقوا على أنه مخيَّرٌ بين الصيام والذبح والتصدُّق؛ لأن (أو) للتخيير.

---

(١) «صراع» زيادة من «ن».

(٢) «جراحة» ساقطة من «ن».

(٣) «ذلك» زيادة من «ن».

(٤) رواه البخاري (٣٩٢٧)، كتاب: المغازي، باب: غزوة الحديبية، ومسلم (١٢٠١)، كتاب: الحج، باب: جواز حلق الرأس للمحرم.

واختلفوا في الدماء المتعلِّقَةِ بالإحرام بمن تختصُّ تفرقتُها؟ فقال أبو حنيفة: لا يجوزُ الذبحُ إلا بالحرم، ولا يختصُّ تفرقتهُ بأهله، وقال مالكٌ: ليس شيءٌ منها مخصوصاً، وجائز أن يفعلَها حيثُ شاء بمكةَ وغيرِها، والاختيارُ أن يأتيَ بالكفارة حيثُ وجبتْ عليه، فإن أتى بها في غيره، أجزأت عنه، وقال الشافعيُّ: الدمُ الواجبُ بفعلِ حرامٍ أو تركِ واجبٍ لا يختصُّ بزمانٍ، ويختصُّ ذبحُه بالحرم، ويجب صرفُ لحمِه إلى مساكينه؛ إلاَّ دمَ الإحصار فحيث أُحصِرَ، وقال أحمدُ: كلُّ هديٍ أو إطعامٍ فهو لمساكين الحرم، إلا فديةَ الأذى والإحصار، فحيث وجدا، ولهُ تفرقتُها في الحرم أيضاً، أما الصومُ فيجزىء بكلِّ مكانٍ بالاتفاق.

﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ من خوفكم، وبرئْتُم من مرضِكم.

﴿فَمَن تَمَتَّعَ﴾ ومعنى التمتع ﴿بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾ في قول ابن عباسٍ وعطاءٍ وجماعةٍ: هو الاستمتاعُ بعدَ الخروجِ من العمرةِ بما كان محظوراً عليه في الإحرام إلى وقتِ إحرامِه بالحج، وقيل: هو الاستمتاعُ والانتفاعُ بالتقرُّبِ بها إلى الله تعالى قبلَ الانتفاعِ بالتقرُّب إلى الله تعالى بالحج(١)، ﴿فَمَن﴾ شرطٌ محلُّه رفعٌ ابتداء، وجوابُه:

﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ﴾ أي: عليه دمٌ، شاةٌ يذبحُها، لأنه ترفق بأداء النُّسكين في سَفْرَةٍ واحدةٍ، وكذا القارنُ بشرطِ ألاَّ يكون(٢) من حاضري المسجدِ الحرامِ بالاتفاق، ويلزمُ دمُ التمتُّع بطلوعِ الفجرِ يومَ النحر عندَ أبي حنيفةَ وأحمدَ، وعند مالكٍ والشافعيِّ بإحرامِ الحجِّ، وإذا وجبَ، جازَ

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١٧٩).

(٢) في «ن»: «أن يكون».

إراقتُهُ، ولم يتوقَّتْ بوقتٍ عند الشافعيِّ، والأفضلُ عندَه إراقتُه يومَ النحر، وهو مذهبُ الثلاثة.

ولوجوب الدم على المتمتع عند أَحمدَ سبعةُ شروط: أحدهما: ألاَّ يكونَ من حاضري المسجد الحرام، والثاني: أن يعتمرَ في أشهر الحجِّ، والعبرةُ بالشهرِ الذي أحرم فيه، لا بالذي حَلَّ فيه، الثالث: أن يحجَّ من عامِهِ، الرابع: ألاَّ يسافر بين العمرة والحج مسافةَ قصرٍ فأكثرَ، الخامسُ: أن يحلَّ من العمرة قبلَ إحرامه بالحجِّ، السادسُ: أن يحرمَ من الميقات أو من مسافةِ قصرٍ فأكثرَ من مكةَ، السابع: أن ينويَ التمتُّعَ في ابتداء العمرة، أوْ أثنائها، ولا يُعتبر وقوعُ نسكين عن واحدٍ، فلو اعتمر لنفسِه، وحجَّ عن غيره، أو عكسه، أو فعل ذلك عن اثنين، كان عليه دمُ المتعة.

وعندَ الشافعيِّ أربعةُ شروطٍ: الثلاثةُ الأُوَلُ، والرابعُ: ألاَّ يعود إلى ميقاتِ بلدِه لإحرامِ الحجِّ.

وعند مالكٍ خمسةُ شروط: ألاَّ يكونَ من حاضري المسجد الحرام، الثاني: أن يخرجَ من العمرة ولو آخرها في أشهر الحج، ولو أحرمَ قبلَها؛ كما لو أحرمَ في رمضانَ، وأكملَ سعيَهُ بدخولِ شوال، الثالث: ألاَّ يعود إلى أُفُقِه أو مِثله؛ بخلاف لوْ عاد مثلُ[1] المصريِّ إلى نحوِ المدينة، الرابع: أن يكونا عن واحد؛ بأن تكونَ العمرةُ والحجُّ عن نفسه، أو عمَّن استنابَه، أما لو كان أحدُهما عن نفسه، والآخر عن غيره، سقط الهدي، الخامس: أن يكونا في عامٍ.

---

(١) «مثل» ساقطة من «ن».

وعند أبي حنيفة أربعة: أن يحرم من الميقات، الثاني: أن يفعل أفعالَ العمرةِ أو أكثرَها في أشهر الحج، فلو طاف أقلَّ أشواطِ العمرة قبلَ أشهر الحجِّ، وأتمها فيها، وحجَّ، كان متمتعاً، وعكسه لا، لأن للأكثر حكمَ الكلِّ، الثالث: أن يحجَّ من عامِه، الرابع: ألاَّ يرجع إلى وطنه، فلو خرج من الحرم، ولم يجاوز الميقات، أو خرجَ من الميقات، ولم يرجعْ إلى وطنه، فهو متمتع، وخالفه صاحباه في الثاني[1]، فقالا: إذا خرجَ من الميقات، بطلَ التمتُّعُ.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ الهدي.

﴿فَصِيَامُ﴾ أي: فعليه صيامُ.

﴿ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ﴾ أي: في وقته وأشهُرِه، فيصوم يوماً قبلَ التروية، ويومَ التروية، ويومَ عرفةَ، وهذا هو الأفضلُ عند أبي حنيفة وأحمدَ، وعند مالكٍ والشافعيِّ يُستحبُّ أن يصومَ الثلاثة قبلَ يوم عرفة؛ لأن صومه يُضعفه عن الدعاء، فإن صامه، أجزأه، ويجوزُ الصومُ قبلَه بعد الإحرام بالعمرة عندَ أبي حنيفة وأحمدَ، وعند مالكٍ والشافعيِّ بعدَ الإحرام بالحج، ولا يجوزُ صومُ هذه الثلاثةِ في أيام التشريق عندَ أبي حنيفةَ والشافعيِّ، وقال مالكٌ وأحمدُ: يجوز؛ لأن نهيه ـ عليه السلام ـ عن صيام أيام منى معناهُ التطوعُ، وهذا واجبٌ.

﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى أهليكم وبلدكم، فلو صامها قبلَ الرجوع، لم يجزْ في الأظهر من مذهبِ الشافعيِّ، وقالَ الثلاثةُ: يجوزُ صومُها قبلَ

---

(١) في «ت»: «الباقي».

الرجوع، لكن لا يصحُّ عندَهم صومُها في أيام التشريق، ويجوزُ صيامُها بعدَ الفراغ من أعمال الحجِّ إذا توطَّنَ بمكةَ بالاتفاق.

﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ في الثوابِ والأجرِ، أو ذكرَها على وجه التأكيد، وهذا لأنَّ العربَ ما كانوا يهتدون إلى الحساب، فكانوا يحتاجون إلى فَضْلِ شرحٍ وزيادةِ بيانٍ، وكلُّ واحدٍ من صومِ الثلاثةِ والسبعةِ لا يجبُ فيه التتابعُ بالاتفاق، وإذا فاتَ صومُ الثلاثة أيامٍ حتى أتى يومُ النحر، فعندَ أبي حنيفة لم يجزِه إلا الدمُ، ولا يجوزُ أن يصومَ الثلاثةَ ولا السبعةَ بعدَها.

وعند مالكٍ والشافعيِّ إذا فاتَ صومُها في الحج لزمه قضاؤها ولا دم عليه، وعند أحمد إن لم يصمها في أيام منى صام بعد ذلك عشرة أيام وعليه دم مطلقاً، ويلزمه التفريق من الثلاثة والسبعة عند الشافعي، وعند أحمد لا يلزمه، وعند مالك إن شاء وصل الثلاثة بالسبعة، وإن شاء فرقها منها.

﴿ذَلِكَ﴾ أي: هذا الحكم الواجب من الهدي أو الصيام عند مالك والشافعي وأحمد.

﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وذلك عند أبي حنيفة وأصحابه، إشارة إلى التمتع، فلا متعة ولا قران عندهم لحاضري المسجد الحرام، فمن تمتع وقرن منهم فعليه دم وهو دم جناية لا يأكل منه، واختلفوا في حاضري المسجد الحرام؛ فعند أحمد: هم أهل مكة، ومن كان من آخر الحرم دون مسافة القصر، وعند الشافعي: من كان وطنه من الحرم أقل من مسافة القصر، وعند أبي حنيفة: أهل المواقيت فما دونها، وعند مالك: أهل مكة فقط.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أداء الأوامر.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ على ارتكاب المناهي.

﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾.

[١٩٧] ﴿ٱلْحَجُّ﴾ مبتدأ، خبره:

﴿أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ أي: وقته أشهر وهو شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة عند أبي حنيفة وأحمد، وعند الشافعي: وتسعة من ذي الحجة إلى طلوع الفجر من يوم النحر، وعند مالك: وجميع ذي الحجة، فمن قال: عشر، عبَّر به عن الليالي، ومن قال: تسعة، عبَّر به عن الأيام، فإن آخر أيامه يوم عرفة وهو التاسع، وإن من قال: أشهر بلفظ الجمع وهي شهران وبعض الثالث على قول الأئمة الثلاثة لأنها وقت والعرب تسمي الوقت تاماً بقليله وكثيره، فتقول: زرتك العام، وإنما زاره في بعضه، فالميقات: زماني ومكاني، فالزماني للحج وهو ما تقدم آنفاً، وأما العمرة: فتصح في جميع السنة بالاتفاق فلو أحرم بالحج قبل أشهر صح، وانعقد عند الثلاثة، وقال الشافعي ينعقد عمرة مجزية عن عمرة الإسلام، وأما المكاني: فميقات أهل المدينة من ذي الحليفة، وهو اسم لجميع الوادي وهو من المدينة على نحو ستة أميال وبينه وبين مكة نحو عشرة أيام، وميقات أهل الشام ومصر والمغرب الجحفة، واسمها في الأصل: مهيعة، وسميت جحفة لأن السيل جحف أهلها؛ أي: استأصلهم، وهي قرية بينها وبين مكة نحو أربعة أيام، وميقات أهل نجد اليمن ونجد الحجاز والطائف قَرْبه بإسكان الراء، ويُسمىٰ قرن المنازل، وقرن الثعالب، وهو جبل مشرف على عرفات، وميقات أهل اليمن يلملم، وميقات أهل المشرق كخراسان

والعراق ذات عرق، وهذه الثلاثة بين كل واحد منها وبين مكة ليلتان وهذه المواقيت يجب الإحرام على من مر بها أو حاذاها براً أو بحراً إذا كان قاصداً مكة مريداً للنسك من حج أو عمرة بالاتفاق، فإن لم يرد نسكاً لم يلزمه الإحرام عند الشافعي، كله يستحب. وعند الثلاثة لا يجوز دخول مكة بغير إحرام، واستثنى أبو حنيفة مَنْ منزله في الميقات أو داخله، وأباح القائلون بوجود الإحرام الدخول لمن شأنه التردد؛ كحطاب ونحوه، ويباح لقتال مباح وخوف من عدو عند الشافعي وأحمد، فإن لم يحرم من وجب عليه الإحرام فقد أساء ولا شيء عليه؛ لأن دخول محل الفرض لا يوجب الدخول في الفرض، ولا قضاء عليه لفواته، كما لا تقضى تحية المسجد إذا جلس قبل أن يصليَها، ولا فدية عليه، وهذا قول الأئمة الثلاثة خلافاً لأبي حنيفة في قوله يجب أن يأتي بحجة أو عمرة، فإن أتي بحجة الإسلام أو عمرة أجزأه عن عمرة الدخول، ومَنْ منزله دون الميقات فميقاته من موضعه بالاتفاق، وميقات أهل مكة للحج عند الشافعي نفس مكة فقط، وعند أبي حنيفة من حيث شاؤوا من الحرم، وعند مالك وأحمد من مكة، ويصح من الحل، وميقاتهم للعمرة من الحل كالتنعيم وغيره بالاتفاق، فلو أحرم من الحرم صح وعليه دم بالاتفاق، فلو خرج إلى الحل قبل طوافه سقط الدم عنه[1] عند الثلاثة، وعند أبي حنيفة: إن خرج محرماً ملبياً سقط الدم، وعند صاحبيه: يسقط بعدده إلى الميقات، لبى أو لم يلبِّ، وإن رجع بعد طوافه لم يسقط الدم بالاتفاق، وعند مالك: يعيد طوافه وسعيه لكونهما وقعا بغير شرطهما، وإن حلق أعادهما أيضاً وأهدى لكونه حلق في إحرامه.

---

(١) «عنه» زيادة من «ن».

﴿ فَمَن فَرَضَ ﴾ أي: أوجب على نفسه.

﴿ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ ﴾ بالإحرام والتلبية.

﴿ فَلَا رَفَثَ ﴾ أي: لا جماع فيه.

﴿ وَلَا فُسُوقَ ﴾ كل أنواع المعاصي فسوق.

﴿ وَلَا جِدَالَ ﴾ لا خصام.

﴿ فِي ٱلْحَجِّ ﴾ بأن يقول بعضهم: الحج اليوم، ويقول بعضهم: الحج غداً. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب ﴿فلا رفثٌ ولا فسوقٌ﴾ بالرفع والتنوين فيهما ﴿ولا جدالَ﴾ بالنصب من غير تنوين. وقرأ أبو جعفر الثلاثة بالرفع والتنوين. وقرأ الباقون بالنصب من غير تنوين في الثلاثة، فالقراءة بالرفع والتنوين إخبار بمعنى النهي؛ أي: لا ترفثوا ولا تفسقوا، وبالنصب من غير تنوين نفي، تلخيصه: لا تفعلوا ما نهيتم عنه.

﴿ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ ﴾ أي: برٍّ وطاعة.

﴿ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾ أي: لا يخفىٰ عليه.

﴿ وَتَزَوَّدُواْ ﴾ ما تتبلغون به ويقيكم عن السؤال وغيره. نزلت فيمن كان يحج بلا زاد ويقل على الناس.

﴿ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ أي: اجعلوا زاد الحج الطعام، وزاد الآخرة التقوى.

﴿ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ يا ذوي العقول، فمن من لم يتقه فليس بذي لبٍّ، قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر (واتقوني) بإثبات الياء حالة الوصل، وأثبتها يعقوب وصلاً ووقفاً، وحذفها الباقون فيهما.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾﴾.

[١٩٨] ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ أي: إثم، وأصله من الجنوح، الميل عن القصد.

﴿أَن تَبْتَغُوا۟﴾ أي: تقصدوا.

﴿فَضْلًا﴾ أي: رزقاً وتفضلاً، وهو الربح في التجارة.

﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ في مواسم الحج. نزلت لما تأثم المسلمون من التجارة أيام الحج.

﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم﴾ دفعتم، أصل الإفاضة الدفع بكثرة، من أفاض الرجل ماءه.

﴿مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾ جمع عرفة، جمع بما حولها، وإن كانت بقعة واحدة، وهي اسم علم للموقف، سميت به لأنها وصفت لإبراهيم عليه السلام، فلما رآها عرفها. وقيل: إن آدم ـ عليه السلام ـ لما أهبط وقع بالهند وحواء بجدة، فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات يوم عرفة، وتعارفا، فسمي اليوم عرفة، والموضع عرفات، وقيل غير ذلك.

﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بالدعاء والتهليل والتلبية.

﴿عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي: بالقرب منه، وهو ما بين جبلي مزدلفة من مأزمي عرفة إلى محسر، وجميع المزدلفة موقف إلا المحسر،

وقيل: هو جبل قزح، وسمي مشعراً، من الإشعار، الإعلام لأنه من معالم الحج، وأصل الحرام: المنع فلا يفعل فيه ما نهي عنه، والإفاضة من عرفات بعد غروب الشمس، ومن المزدلفة قبل طلوعها يوم النحر، وسمي المزدلفة جمعاً؛ لأنه يجمع فيه بين صلاتي العشاء، والمزدلفة لازدلاف الناس إليها؛ أي: دنوُّهم منها.

﴿وَٱذۡكُرُوهُ﴾ بالتوحيد ذكراً حسناً.

﴿كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾ لدينه ومناسك حجه.

﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ﴾ أي: قبل الهدى.

﴿لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ الجاهلين بعبادته وذكره.

* * *

﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٩﴾.

[١٩٩] ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ كانت قريش وحلفاؤها وهم الحمْس يقفون بالمزدلفة ترفعاً على الناس لئلا يساووهم في الموقف والناس بعرفات، فنهوا عن ذلك بقوله ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ والمراد بالناس: جميع الناس إلا الحمْس.

﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ يغفر ذنب المستغفر وكان رسول الله ﷺ من الحمْس، ولكنه يقف مُذْ كان بعرفة هداية من الله.

* * *

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ ﴾.

[٢٠٠] ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ ﴾ جمع منسك، أي: إذا فرغتم من عباداتكم، وذبحتم ذبائحكم بعد رمي جمرة العقبة، قرأ أبو عمرو ﴿مناسككم﴾ بإدغام الكاف الأولىٰ في الثانية، ولم يدغم من المثلين في كلمة إلا موضعين لا غير، أحدهما هذا، والثاني في المدثر ﴿ما سلككم﴾ وأظهر ما عداهما نحو ﴿جباههم﴾ و﴿وجوههم﴾ و﴿بشرككم﴾ و﴿أتحاجوننا﴾ و﴿أتعدانني﴾ وشبهه.

﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ ﴾ بالتكبير والثناء عليه.

﴿ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ ﴾ لأن العرب كانت إذا فرغت من حجها وقفت مفاخر آبائها.

﴿ أَوْ أَشَدَّ ﴾ أي: وأكثر.

﴿ ذِكْرًا ﴾ ثم أومأ إلى اختلاف أغراض الخلق بقوله تعالى:

﴿ فَمِنَ النَّاسِ ﴾ يعني المشركين.

﴿ مَن يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا ﴾ كانوا لا يسألون الله في الحج إلا الدنيا، يقولون: اللهم أعطنا غنماً وإبلاً وبقراً وعبيداً وغير ذلك.

﴿ وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ نصيب خير.

* * *

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ .

[٢٠١] ﴿ وَمِنْهُم ﴾ يعني المؤمنين .

﴿ مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ العلم والعبادة، قرأ أبو عمرو ﴿يقول ربنا﴾ وشبهه حيث وقع بإدغام اللام في الراء .

﴿ وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ الجنة . وعن علي رضي الله عنه : «الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة ، وفي الآخرة الحوراء» .

﴿ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ كل ما يبعد عن الله ؛ لأنه سبب العذاب ، وقيل : امرأة السوء . وتلخيصه : أكثروا ذكر الله ، وسلوه سعادتكم في داريه .

* * *

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾ .

[٢٠٢] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ أي المؤمنين .

﴿ لَهُمْ نَصِيبٌ ﴾ حظ .

﴿ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ﴾ دعوا ، ويسمىٰ الدعاء كسباً ؛ لأنه عمل ، والعمل يوصف بالكسب ، المعنى : لهم جزء من جنس عملهم .

﴿ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ إذا حاسب لا يحتاج إلى عقد يد ولا وعي صدر ولا نظر وفكر ، بل أسرع من لمح البصر سبحانه وتعالى .

* * *

﴿ ۞ وَاذْكُرُواْ اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾.

[٢٠٣] ﴿ ۞ وَاذْكُرُواْ اللَّهَ ﴾ بالتكبير عقب الصلوات، وعند رمي الجمرات يكبر مع كل حصاة.

﴿ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴾ هي أيام التشريق وهي ثلاثة أيام بعد يوم النحر، سميت معدودات لقلتهن كقوله: ﴿ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ [يوسف: ٢٠].

والتشريقُ: التكبيرُ، وهو في الأضحى[١] مطلَقٌ كما تقدَّمَ في الفِطْر، ومقيَّدٌ عَقِبَ الصلواتِ، فعندَ أبي حنيفةَ وأحمدَ يكبر دُبُرَ كُلِّ فريضةٍ صلاَّها في جماعة، وعندَ مالكٍ يكبرُ عقبَ الفرائضِ، ولو منفرداً، وعندَ الشافعيِّ عقبَ كلِّ صلاةٍ، فريضةً كانتْ أو نافلةً، منفرداً صلاها أو في جماعة.

وهذا التكبيرُ مسنونٌ عندَ الأئمةِ الثلاثة، واجبٌ عندَ أبي حنيفةَ.

واختلفوا في ابتدائه وانتهائه، فقال أبو حنيفةَ: يبتدىءُ عقبَ صلاةِ الفجرِ يومَ عرفةَ إلى أن يكبرَ لصلاةِ العصر يومَ النحر، ثم يقطعُ.

وقال مالك: يبتدىء عقبَ صلاةِ الظهر من يوم النحر، ويختمُ بعدَ الصبح من آخر أيام التشريق.

ولا فرق عندهما بينَ المحرِمِ وغيرِه.

وقال الشافعيُّ: يكبرُ الحاجُّ من ظهر النحر، ويختمُ بصبح أيام التشريق، وأما غيرُ الحاجِّ، ففيه خلاف، والذي عليه العملُ عند المحققين

---

(١) في «ن»: «في الأضحى وهو».

من الشافعية أنه يكبرُ من صبحِ عرفةَ إلى العصرِ من آخرِ أيام التشريق.

وقال أحمد: ابتداؤه للمُحِلِّ من صلاةِ الفجرِ يومَ عرفةَ، وللمُحْرِمِ من صلاةِ الظهرِ يومَ النحر؛ لأنه كان مشغولاً قبلَ ذلك بالتلبية، وانتهاؤه عقبَ صلاةِ العصر من آخر أيام التشريق مطلقاً.

وتقدم اختلافُهم في التكبير للفطر عندَ تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وأما صفةُ التكبيرِ، فعندَ الشافعيِّ: الله أكبرُ ثلاثاً نَسَقاً في الأول، ثم يهلِّلُ، ويشفَعُهُ، ثم يقول: ولله[1] الحمد.

وعند أبي حنيفةَ وأحمدَ: يشفعُ التكبير في أوله وآخرِه، وصفتُه: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

وعن مالك كالمذهبين، وكلاهما جائز عنده، والله أعلم.

﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾ أي: فمن عَجِلَ وطلبَ الخروجَ من مِنًى.

﴿فِى يَوْمَيْنِ﴾ نفرَ في اليوم الثاني من أيام التشريق، فتركَ المبيتَ بمنىً في الليلة الثالثة، وهذا النَّفْرُ الأول.

﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بتعجيلِه؛ لأنه مرخَّص له في ذلك.

﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ حتى نفر في اليوم الثالِث، وهو أفضلُ، وهذا النَّفْرُ الثاني.

﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بتركِ الترخُّصِ. تلخيصُه: هم مخيَّرون بينَ نفرين، وإن كان المتأخِّرُ أفضلَ.

---

(١) «ولله» ساقطة من «ن».

﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ المناهيَ، أي: جوازُ التخيير، ونفيُ الإثم لمن اتقى شيئاً نهاه اللهُ عنه.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ للجزاءِ، وأصلُ الحشرِ: الجمعُ وضَمُّ المتفرِّقِ.

* * *

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾.

[٢٠٤] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ﴾ يروقُكَ ويعظُمُ في قلبكَ.

﴿قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: يَسُرُّكَ ما يقولُه في معنى الدنيا؛ لأن دعواهُ مَحبَّتَكَ إنما هو لطلب حَظٍّ من الدنيا. قرأ أبو عمرٍو: (يَعْجِبُك قَوْلُهُ) بإدغام الكاف في القاف. نزلتْ في الأخنسِ بن شَرِيقٍ الثقفيِّ، وكان حلوَ الكلامَ، يَلْقى النبيَّ ﷺ ويحلِف له أنه يحبُّهُ، ويظهر الإسلامَ، وكان منافقاً[1].

﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ﴾ أي: يقول: اللهُ شاهدٌ على ما في قلبي من مَحبَّتِكَ، ومن الإسلامِ.

﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ أي: هو شديدُ الجِدالِ والعداوةِ للمسلمين.

* * *

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٣)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٣١٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٩١)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٥٧١).

[٢٠٥] ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾ أدبرَ عنكَ.

﴿سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بعمل المعاصي.

﴿لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ بقطعِ الرَّحِمِ وسفكِ دماءِ المسلمين.

﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ﴾ الزَّرْعَ.

﴿وَٱلنَّسْلَ﴾ ولدَ آدمَ والحيوانَ.

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ﴾ أي: لا يرضى.

﴿ٱلْفَسَادَ﴾ فاحذروا غضَبه عليه.

* * *

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾.

[٢٠٦] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ أي: خَفِ اللهَ.

﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ﴾ حملَتْهُ النَّخْوةُ والتكبُّرُ على العمل.

﴿بِٱلْإِثْمِ﴾ أي: الظلم.

﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾ أي: كافيهِ جزاء.

﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ الفراشُ.

* * *

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾.

[٢٠٧] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ﴾ أي: يبيعُها.

﴿ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ أي: طلبَ رضوانِ الله. قرأ الكسائي: (مَرْضَاةِ) بالإمالة، ووقف بالهاء حيثُ وقع[1]. سببُ نزولِها أن المشركين كانوا[2] أَسَروا خُبَيْبَ بنَ عَدِيٍّ الأنصاريَّ وصلبوه بالتَّنْعيم، فلما بلغ[3] النبيَّ ﷺ هذا الخبرُ، قال لأصحابه: «أيُّكُمْ يُنْزِلُ خُبَيْباً عن[4] خَشَبَتِهِ وَلَهُ الجَنَّةُ؟» فقال الزبيرُ بنُ العوَّام: أنا وأخي المقداد بنُ الأسودِ، فخرجا يمشيان بالليل، ويَكْمُنان بالنهار، حتى أتيا التنعيمَ ليلاً، وأنزلاه، وقَدِما على رسولِ الله ﷺ وجبريلُ عندَهُ، فقال: يا محمدُ! إن الملائكةَ لَتُباهي بهذين مِنْ أصحابِكَ، فنزل فيهما: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ حينَ شَرَيا أنفسَهما لإنزالِ خُبيب من خَشَبته، وقيلَ غيرُ ذلك، والقصةُ فيها طولٌ واختلافٌ بين المفسرين[5].

﴿ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ أَن كلَّفهم الجهادَ لحصولِ الثوابِ لهم.

* * *

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٤-٩٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٧٥).

(٢) «كانوا» ساقطة من «ن».

(٣) «بلغ» ساقطة من «ت».

(٤) في «ن»: «من».

(٥) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١٩٥)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/ ٥٢٧).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ ﴾.

[٢٠٨] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ ﴾ أصلُه: الاستسلامُ والانقياد، والمرادُ: الإسلامُ، ويقالُ للصلح: سلْم. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، والكسائيُّ، وأبو جعفرٍ: (السَّلْمِ) بفتح السين، والباقون: بكسرها(١).

﴿ كَآفَّةٗ ﴾ أي: جميعاً، وأصلُها من الكفِّ: الجمع. نزلت في مؤمني أهلِ الكتاب عبدِ الله بنِ سلامٍ وأصحابِه، وذلك أنهم كانوا يُعَظِّمونَ السبتَ، ويكرهون لحومَ الإبل بعدَما أسلموا، وقالوا: يا رسول الله! إن التوراةَ كتابُ الله، فدعْنا فَلْنَقُمْ بها صلاتَنا بالليل، فأنزل الله تعالى الآية(٢).

﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ ﴾ أي: آثارَه فيما زَيَّنَ لكم من تحريمِ السبتِ ولحومِ الإبلِ وغيرِه.

﴿ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ ظاهر العداوة.

* * *

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٨٧)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٥٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٥/ ٢٢٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٥٨).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٩٧)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/ ٥٢٩).

﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾.

[٢٠٩] ﴿ فَإِن زَلَلْتُم ﴾ أي: مِلْتُم عن الإسلامِ مجتمعين.

﴿ مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ أي: الدَّلالاتُ على أنَّ ما دعيتم إليه حقٌّ.

﴿ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ أي: غالبٌ قادرٌ على الانتقام.

﴿ حَكِيمٌ ﴾ لا ينتقمُ إلا بالحق.

* * *

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ ﴾.

[٢١٠] ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾ أي: ينتظرون، النظرُ والانتظارُ: الإمهالُ. المعنى: ما ينتظرُ تاركو الدخولِ في الإسلام.

﴿ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ ﴾ جمعُ ظُلَّةٍ، وهي ما أَظَلَّ.

﴿ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ وهو السحابُ الأبيضُ الرقيقُ سُمِّيَ غماماً؛ لأنه يَغُمُّ؛ أي: يَسْتر.

﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ قرأ أبو جعفرٍ: ﴿والملائكةِ﴾ بالخفضِ عطفاً على الغمام، تقديرُه: معَ الملائكة، وقرأ الباقون: بالرفعِ على معنى: إلا أنْ يأتيهم اللهُ والملائكة في ظُلَلٍ من الغمام[١]، والأَوْلى في هذه الآيةِ وفي

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٥١)، و«تفسير الطبري» (٤/ ٢٦١)، =

ما شاكَلَها أن يؤمنَ الإنسانُ بها، ويُمِرَّها كما جاءت بلا كيفٍ، ويَكِلَ علمَها إلى الله سبحانه، وهو مذهبُ أئمةِ السلف وعلماءِ السنة، قال سفيانُ بنُ عُيينةَ: كلُّ ما وصف الله تعالى به نفسَه في كتابه، فتفسيرُهُ قراءتُه، والسكوتُ عنهُ، ليسَ لأحدٍ أن يفسِّرَهُ إلا اللهُ ورسولُهُ[(١)].

﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: فُرِغَ من حسابهم، ووجبَ العذابُ، وذلكَ فصلُ اللهِ[(٢)] القضاءَ بالحقِّ بينَ عبادِهِ يومَ القيامةِ.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، ويعقوبُ: (تَرْجِعُ) بفتح التاء وكسر الجيم، وقرأ الباقون: بضمِّ التاءِ وفتحِ[(٣)] الجيم[(٤)].

* * *

﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾﴾.

= و«تفسير البغوي» (١/ ١٩٧ـ١٩٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٥٩ـ١٦٠).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١٩٨).

(٢) «الله» لفظ الجلالة لم يرد في «ت».

(٣) في «ن»: «ورفع».

(٤) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٨٩)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٥٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٩٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٦١).

[٢١١] ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: يا محمدُ! سلْ يهودَ المدينة.

﴿كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم﴾ أعطينا آباءهم وأسلافهم.

﴿مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾ دلالةٍ واضحةٍ على نبوةِ موسى ـ عليه السلام ـ، وقيل: معناه: الدلالاتُ التي في التوراة والإنجيلِ على نبوةِ محمدٍ ﷺ.

﴿وَمَن يُبَدِّلْ﴾ يُنْكِرْ ويغيِّرْ.

﴿نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ أي: الدلائل على نبوة محمد ﷺ.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ﴾ أي: بعد ما عرفَها وصَحَّتْ عنده.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ فيعاقبُه[1] أشدَّ عقوبة.

* * *

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾.

[٢١٢] ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ نزلَتْ في مشركي العرب: أبي جهلٍ وأصحابه، كانوا يتنعمون بما بُسِطَ لهم في الدنيا من المال، ويُكَذِّبون بالمعادِ، والمزيِّنُ اللهُ تعالى بأنْ خلقَ الأشياءَ العجيبةَ، فنظروا إليها فأعجبتهم، فَفُتِنوا بها[2].

﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: يستهزئون بالفقراء من المؤمنين؛ كعبدِ الله بن مسعود، وعمارِ بنِ ياسر، وصُهيبٍ، وخُبيبٍ، وبلالٍ، وغيرهم.

---

(١) في «ن»: «فيعاقبون».

(٢) «بها» ساقطة من «ن».

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ لأن هؤلاءِ الفقراءَ في أعلى عليين في الجنة، وهؤلاء الكفارَ في أسفلِ السافلين في النار.

﴿ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ رزقاً واسعاً من غيرِ تقتير.

* * *

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾.

[٢١٣] ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ متفقين على دينٍ واحدٍ وهو الإسلامُ، من آدمَ إلى نوحٍ، ثم اختلفوا.

﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ وجملتُهم مئةُ ألفِ نبيٍّ وأربعةٌ وعشرونَ ألفَ نبيٍّ، والمرسلون منهم ثلاثُ مئةٍ وثلاثةَ عشَرَ، والمذكورون في القرآن باسم العَلَم ستةٌ وعشرون نبياً، وهم: محمدٌ، وآدمُ، وإدريسُ، ونوحٌ، وهودٌ، وصالحٌ، وإبراهيمُ، ولوطٌ، وإسماعيلُ، وإسحاقُ، ويعقوبُ، ويوسفُ، وأيوبُ، وذو الكِفْلِ، وشُعيبٌ، وموسى، وهارونُ، وداودُ، وسليمانَ، وعُزَيْرٌ، ويونُسُ، وزكريّا، ويحيى، وإلياسُ، واليسعُ، وعيسى ـ صلواتُ الله عليهم أجمعين ـ، وأُشير إلى أشموئيلَ بقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، وأُشير إلى أَرْميا بقوله تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وأُشير إلى يوشَعَ في سورة الكهف بقولِه: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ ﴾ [الكهف: ٦٠]، وأُشير إلى إخوةِ يوسفَ بقوله: ﴿ ۞ لَّقَدْ

كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ﴾ [يوسف: ٧]، ويأتي ذكرُ أسمائِهم عندَ تفسيرِ الآية، والأسباطُ ذُكروا إجمالاً، وهم من ذريةِ أولادِ يعقوبَ الاثني عَشَرَ، وكانَ فيهم أنبياءُ، وفي لقمانَ وذي القَرْنينِ خلافٌ كالخَضِر.

﴿مُبَشِّرِينَ﴾ بالثوابِ للمؤمن.

﴿وَمُنذِرِينَ﴾ بالعقابِ للعاصي.

﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ المرادُ: الجنسُ، لا أنه معَ كلِّ نبيٍّ كتابٌ؛ لأن منهم من لم يكن له كتابٌ، وإنما أخذ بكتبِ مَنْ قبلَه.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: الصدق.

﴿لِيَحْكُمَ﴾ قرأ أبو جعفر: (لِيُحْكَمَ) بضم الياء وفتح الكاف؛ لأنَّ الكتابَ لا يحكمُ في الحقيقة إنما يُحْكَمُ به، **وقرأ** الباقون: بفتح الياء وضم الكاف؛ أي: لِيَحْكُم الكتابُ؛ كقوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾(١) [الجاثية: ٢٩].

﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ أي: في دينِ الإسلام.

﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾ أي: في الحقِّ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ أي: أُعطوا الكتابَ المنزلَ.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ على صدقِ الكتبِ.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٥٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٠٠)، و«تفسير القرطبي» (٣/ ٣٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٦٣).

﴿ بَغۡيَۢا ﴾ حَسَداً.

﴿ بَيۡنَهُمۡ ﴾ أي: بينَ المختلفينَ؛ بأن كذَّبَ بعضٌ[1] بعضاً، وكتموا صفةَ محمدٍ ﷺ على حُطامِ الدنيا ورياستِها.

﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ ﴾ وقولُه: ﴿ مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴾ بيانٌ للمختلَفِ فيه. تلخيصُهُ: فهدى اللهُ المؤمنين إلى الحقِّ [المختلَف فيه من الحقِّ][2].

﴿ بِإِذۡنِهِۦ ﴾ بعلمِه وإرادته. قيلَ في هذه الآية: اختلفوا في القِبْلَة، فمنهم من يصلِّي إلى المشرق، ومنهم من يصلي إلى المغرب، ومنهم من يصلي إلى بيت المقدس، فهدانا اللهُ للكعبةِ، واختلفوا في الصيام، فهدانا الله لشهر رمضان، واختلفوا في الأيام، فأخذتِ اليهودُ السبتَ، والنصارى الأحدَ، فهدانا الله للجمعة، واختلفوا في إبراهيم، فقالت اليهود: كان يهودياً، وقالت النصارى: كان نصرانياً، فهدانا الله للحق من ذلك، واختلفوا في عيسى، فجعله اليهودُ لغيرتهم ولدَ زِنًى، وجعلَه النصارى إلهاً، فهدانا الله للحقِّ فيه[3].

﴿ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴾ لا يَضِلُّ سالِكُه. واختلافُ القراء في الهمزتين من قوله: (يشاء إلى) كما تقدَّم في قوله: و﴿ لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [البقرة: ١١٥].

***

---

(١) في «ت»: «بعضهم».

(٢) ما بين معكوفتين ساقطة من «ت».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٢٠١).

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ .

[٢١٤] ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ ﴾ نزلَتْ في غزوةِ الخندق لما أصابَ المسلمين الجهدُ؛ تطييباً لقلوبهم، وقيل: في حرب أُحد(١). تلخيصُه: أَظَننتم أنكم تدخلون الجنةَ من غيرِ مَشَقَّةٍ.

﴿ وَلَمَّا يَأْتِكُم ﴾ و(لما) فيه معنى التوقُّع. المعنى: إن إتيانَ ذلكَ متوقَّع منتظَرٌ.

﴿ مَّثَلُ ﴾ أي: شَبَهُ.

﴿ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ ﴾ أي: مضوا.

﴿ مِن قَبْلِكُم ﴾ منَ النبيينَ والمؤمنين.

﴿ مَّسَّتْهُمُ ﴾ أصابَتْهُم.

﴿ ٱلْبَأْسَآءُ ﴾ الفقرُ.

﴿ وَٱلضَّرَّآءُ ﴾ المرضُ.

﴿ وَزُلْزِلُوا۟ ﴾ أُزعجوا بأنواعِ البلاء.

﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ﴾ المعنى: إن الأهوال اشتدَّت عليهم إلى غايةٍ قالَ فيها الرسولُ والمؤمنونَ استبطاءً للنصرِ لا شَكّاً:

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٠١)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/ ٥٣٢)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٥٨٤).

﴿ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ ﴾ الذي وَعدناه؟ قال الله تعالى:

﴿ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴾ غيرُ متأخِّر. قرأ نافعٌ: (حَتَّى يَقُولُ) بالرفع على أنه في معنى الحال، نحو: شربتِ الإبلُ حتى يجيءُ البعيرُ يجرُّ بطنَه، فهيَ حالٌ ماضيةٌ مَحْكِيَّةٌ، وقرأ الباقون: بالنصب بإضمارِ (أن)، وجعلِ الفعلِ مستقبَلاً؛ أي: إلى أن يقول[1].

* * *

﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٢١٥ ﴾.

[٢١٥] ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ ﴾ نزلتْ في عَمْرِو بنِ الجَمُوح، وكان شيخاً ذا مال، فقال: يا رسول الله! بماذا نتصدَّقُ، وعلى من ننفق؟ فأنزلها الله تعالى[2]، و(ما) استفهامٌ. المعنى: أيُّ شيءِ الذي يُنفقونَهُ؟.

﴿ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم ﴾ وقوله:

﴿ مِّنۡ خَيۡرٖ ﴾ بيانٌ للمنفَقِ، ثم بيَّنَ مَصْرِفَ النفقةِ بقوله:

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٥٥)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٥-٩٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٨٩-٢٩١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٥٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٦٥).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٠٢)، و«العجاب» لابن حجر (١/ ٥٣٤).

﴿ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ تلخيصه : ما أنفقتُم من حلالٍ، فهو خيرٌ كلُّه إذا كان على هؤلاء المذكورينَ.

﴿ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ يجازيكم به، ثم نُسخت بفرض الزكاة.

* * *

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦) ﴾.

[٢١٦] ﴿ كُتِبَ ﴾ فُرِضَ.

﴿ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ ﴾ أي: الجهادُ، وهو قتالُ الكفار، وهو فرضُ كفايةٍ إذا قامَ به من يَكْفي، سقطَ عن الباقين الفرضُ؛ كصلاةِ الجنازةِ، وردِّ السلامِ بالاتفاق.

﴿ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ أي: شاقٌّ عليكم.

﴿ وَعَسَىٰٓ ﴾ من أفعال المقاربَةِ فيه طَمعٌ.

﴿ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ لأن في الغزو إحدى الحسنيين: إما الظَّفَرُ والغَنيمةُ، وإما الشهادةُ والجنةُ.

﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا ﴾ يعني: القعودَ عن الغزْوِ.

﴿ وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ﴾ لما فيه من فَواتِ الغَنيمةِ والأجر.

﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ﴾ مصالحَكُمْ.

﴿ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ذلكَ.

روي أن النبيَّ ﷺ بعثَ عبدَ اللهِ بنَ جَحْشٍ، وهو ابنُ عمةِ النبيِّ ﷺ في آخِرِ جُمادى الآخرةِ قبلَ بَدْرٍ بشهرينِ في سَرِيَّةٍ على رأسِ سبعةَ عشرَ شَهْراً من مقدِمِه المدينةَ؛ ليرصُدوا عِيراً لقريشٍ فيها عمرُو بنُ الحَضْرَمِيِّ وثلاثةٌ معهُ، وهم الحَكَمُ بنُ كَيْسانَ، وعثمانُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ المغيرةِ، ونَوْفَلُ بنُ عبدِ اللهِ المخزوميَّانِ، فقتلوا عَمْرَو بنَ الحضرميِّ، فكانَ أولَ قتيل من المشركين، واستأسروا الحكمَ وعثمانَ، فكانا أولَ من أُسِرَ في الإسلام، وأَفْلَتَ نوفلُ، فأعجزَهم، وكانت الوقعةُ ببطنِ نخلةَ بينَ مكةَ والطائفِ، وجاء عبدُ اللهِ وأصحابُه النبيَّ ﷺ بالعِيرِ والأسيرينِ، وقالوا: يا رسول اللهِ! قتلنا ابنَ الحضرميِّ، ثم أمسينا فرأينا هلالَ رَجَبٍ، فما ندري أفي رجبٍ أصبناهُ أم في جُمادى؟ قال ابن عباس: كانوا يحسبونَ تلكَ الليلةَ من جُمادى، وكانتْ من رجبٍ، فوقف رسولُ الله ﷺ العيرَ والأسيرين، وامتنع عن أخذِها، فعظمَ ذلكَ على أهلِ السريَّةِ، وسُقِطَ في أيديهم، وقال المشركون: قد استحلَّ محمدٌ الشهرَ الحرام، فنزل:

***

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾.

[٢١٧] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾[١] يعني: رجباً، سُمِّيَ بذلك لتحريمِ القتالِ فيه.

﴿قِتَالٍ فِيهِ قُلْ﴾ يا محمدُ.

﴿قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ عظيمٌ، تمَّ الكلامُ هاهنا، ثم ابتدأه فقال:

﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: وصدُّكم المسلمينَ عن الإسلام.

﴿وَكُفْرٌ بِهِۦ﴾ أي: بالله.

﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي: مكةَ، عطفٌ على سبيل الله.

﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ﴾ أي: أهلِ المسجد.

﴿مِنْهُ﴾ وهم النبيُّ ﷺ والمؤمنون.

﴿أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أعظمُ وِزْراً من القتال في الشهر الحرام.

﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾ أي: الشركُ.

﴿أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ أي: من قتلِ ابنِ الحضرميِّ في الشهرِ الحرام، فلما نزلَتْ أخذَ رسولُ الله ﷺ العيرَ، فعزلَ منه الخمسَ، وقسمَ الباقيَ بينَ أصحابِ السريةِ، وكانتْ أولَ غنيمةٍ في الإسلام، وبعثَ أهلُ مكةَ في فداءِ أسيريهم، فقال: بل نَقِفُهُمْ حتى يَقْدُمَ سعدٌ وعُتبةُ، فإن لم يقدما، قتلناهما بهما، فلما قدما، فاداهم، فأما الحكمُ بنُ كيسان، فأسلمَ وأقامَ مع النبيِّ ﷺ بالمدينة، فقتل يومَ بئرِ مَعونةَ شَهيداً، وأما عثمانُ بنُ عبد الله، فرجع إلى مكةَ، فماتَ بها كافراً، وأما نوفلٌ، فضربَ بطنَ فرسِه يومَ

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٣٤٨)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤).

الأحزاب ليدخلَ الخندقَ، فوقعَ في الخندقِ مع فرسه، فتحطَّما جميعاً، وقتلَه اللهُ، فطلب المشركون جيفَتَهُ بالثمن، فقالَ رسول الله ﷺ: «خُذُوهُ؛ فَإِنَّهُ خَبِيثُ الجِيفَةِ خَبِيثُ الدِّيَةِ»(١)، قال الله تعالى:

﴿ وَلَا يَزَالُونَ ﴾ أي: الكفار.

﴿ يُقَٰتِلُونَكُمْ ﴾ أيها المؤمنون.

﴿ حَتَّىٰ ﴾ أي: كي.

﴿ يَرُدُّوكُمْ ﴾ أي: يصرِفوكم.

﴿ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ قَدَروا، ثُمَّ تهددهم بقوله:

﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ ﴾ أي: يرجعْ.

﴿ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ ﴾ إلى دينِهم.

﴿ فَيَمُتْ ﴾ عطفٌ على ﴿ يَرْتَدِدْ ﴾.

﴿ وَهُوَ كَافِرٌ ﴾ أي: مرتداً و(من) رفع ابتداء، خبرُه:

﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ﴾ أي: بَطَلَتْ حسناتهم.

﴿ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ لأن عباداتهم لم تَصِحَّ في الدنيا، فلم يُجَازوا عليها في الأخرى.

﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ في هذا دليلٌ للشافعي

---

(١) انظر: «مسند الإمام أحمد» (١/٢٤٨)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٦/٤٩٦)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٥ ـ ٣٦)، و«تفسير البغوي» (١/٢٠٤ ـ ٢٠٥)، و«العجاب» لابن حجر (١/٥٣٧).

وأحمد أن الردَّةَ لا تحبطُ العمل حتى يموتَ مرتدّاً، وأبو حنيفةَ ومالكٌ يبطلانه بالردَّة، وإن رجعَ مسلماً.

واختلفوا في حكم المرتدِّ، وهو الذي يكفرُ بعد إسلامه ـ والعياذ بالله ـ، فقال أبو حنيفةَ: يجبُ قتلُه في الحال، ولكن يُستحبُّ أن يُحبس ثلاثةَ أيامٍ، ويُعرض عليه الإسلامُ، وتُكشف شُبْهَتُهُ، فإن أسلمَ، وإلا قُتل، ويُكره القتلُ قبلَ العرض.

وقال مالكٌ وأحمدُ: يجب أن يُستتابَ ثلاثاً، فإن تابَ، وإلاَّ قتل.

وقال الشافعيُّ: تجبُ استتابتُه في الحال، فإن أَصَرَّ، قُتل، وإن أسلم، صَحَّ وتُرِك.

واختلفوا في المرأة إذا ارتدَّتْ، فقال أبو حنيفة: تُحبس وتُخرج في كل أيام، ويُعرض عليها الإسلامُ، وتُضربُ حتى تسلم، ولا تُقتل.

وعند الثلاثة: حكمُها كالرجل في الاستتابة والقتل.

ولما أنزلت الآية، قال أصحابُ السرية: يا رسول الله! أنؤجَرُ على فعلنا هذا؟ فأنزل الله تعالى:

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾ ﴾.

[٢١٨] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ ﴾ لأنهم فارقوا أهلَهم ومنازلَهم.

﴿ وَجَٰهَدُواْ ﴾ فجعلَها جهاداً، جمعَ بينَ هذه الخصالِ ترغيباً، وإن كان الثوابُ حاصلاً بكلِّ واحدةٍ منها.

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: طاعةِ الله.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ﴾ أخبرَ أنهم على رجاء الرحمة، و(رَحْمَتَ) رسمت بالتاء في سبعة مواضع، وقفَ عليها بالهاءِ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ، والكسائيُّ.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ يغفرُ الخطأ، ويُجْزِلُ الثوابَ والأجرَ.

وكانت الخمرُ حلالاً إجماعاً، وكان المسلمون يشربونها، فجاء معاذُ بنُ جبَلٍ وعُمرُ بنُ الخطاب بجماعة، فقالوا: يا رسول الله! أَفْتِنا في الخمرِ، فإنها مَذْهَبَةٌ للعقل، مَسْلَبَةٌ للمال، ورُوي أنه سُئل عن الخمرِ والميسرِ معاً فنزلت[1]:

* * *

﴿۞يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢١٩﴾.

[٢١٩] ﴿۞يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ﴾ وهو المُسْكِرُ؛ لأنه يَخْمُرُ العقلَ؛ أي: يستُرُهُ.

﴿وَٱلۡمَيۡسِرِۖ﴾ القِمارُ؛ لأنه يأخذ مال غيره بسهولة ويُسر؛ أي: يسألونك عن جوازِ تناولهما واستعمالهما؛ لأن السؤالَ لم يكن عن أعيانهما.

---

(١) في «ن»: «فنزل». وانظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٠٦)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٦٠٥).

﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ أي: وزر. قرأ حمزة والكسائي: (إِثْمٌ كَثِيرٌ) بالثاء المثلثة، والباقون: بالباء[1]، فتركَها قوم لقوله: ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، وشربها قومٌ لقوله:

﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ بلذَّةِ الشربِ والفرح، وإصابةِ المالِ من غيرِ كَدٍّ ولا تعب.

ثم دعا عبدُ الرحمن بنُ عوفٍ جماعةً، فَسَكِروا، فأَمَّهم بعضُهم في المغربِ، فقرأ: قل يا أيها الكافرون. أعبدُ ما تعبدون، بحذف (لا) فنزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣]، فتركوها في حالِ السُّكر.

ثم دعا عتبانُ بنُ مالكٍ جماعةً، فشربوا الخمرَ، فأنشدَ سعدُ بنُ أبي وَقَّاصٍ قصيدةً فيها هجاءُ الأنصار، فضربَ بعضُ الأنصار رأسَ سعدٍ بِلَحْيِ جمل، فشجَّهُ مُوضِحَةً، فشكا إلى النبيِّ ﷺ، فقال عمرُ: اللهمَّ بيِّنْ لنا في الخمرِ بيانَ شِفاء، فنزل: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ في المائدة إلى ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، فقال عمرُ: انتهينا، فَحُرِّمَتِ الخمرُ، وأُريقت[2].

والخمرُ ما غَلَىٰ واشتدَّ وقذَف بالزَّبَدِ من غيرِ طبخِ النار، من عصيرِ

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٦٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٣٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٢)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٩١-٢٩٢)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢١٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٦٨).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٢٠٦ - ٢٠٧).

العنبِ والرُّطَبِ، ونقيعِ الزَّبيبِ والتمرِ، وغيرِها، يُحَدُّ شاربُهُ، ويُفَسَّقُ، ويَكْفُرُ مُسْتَحِلُّها باتفاقِ الأئمة الثلاثة، وقال أبو حنيفة: إنما يكفرُ باستحلالِ ما اتخذ من عصيرِ العنب فقط، ولا يُحَدُّ عندَه بشربِ غيرِه حتى يسكرَ.

وقدرُ الحدِّ للحرِّ أربعون جلدةً عندَ الشافعيِّ، وثمانون عندَ الثلاثة، ويتنصَّفُ[1] بالرِّق باتفاقِهم.

والميسرُ: قالَ ابنُ عباسٍ: كان الرجلُ في الجاهليةِ يخاطِرُ الرجلَ على أهله وماله، فأيُّهما قمرَ صاحبَهُ، ذهبَ بأهلِه ومالِه، فأنزل اللهُ الآيةَ[2].

وكان أصلُ الميسر أنَّ أهلَ الثروةِ من العرب يشترونَ جَزُوراً، ويُجَزِّئونها عشرةَ أجزاء، ثم يقتسمونَ[3] عليها بعشرةِ قِداح يقالُ لها: الأزلامُ لسبعةٍ منها أنصباءُ، وثلاثةٌ لا أنصباءَ لها، فمن خرجَ سهمُه من السبعة، أخذَ نصيبَه، ومن خرج سهمُه من الثلاثة، لا يأخذ شيئاً، ويغرمُ ثمنَ الجزورِ كلِّه، ثم يدفعون ذلكَ الجزورَ إلى الفقراء، ولا يأكلون منه شيئاً، وكانوا يفتخرون بذلك، ويذمُّون مَنْ لم يفعلْه.

﴿وَإِثْمُهُمَآ﴾ بعدَ التحريم.

﴿أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ﴾ قبلَه.

﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ أي: في الصدقة، وذلك أن رسول الله ﷺ حَثَّهم على الصدقة، فقالوا: ماذا ننفقُ؟.

﴿قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ﴾ هو ما فضلَ عن الحاجة. قرأ أبو عمرٍو: (العَفْوُ) بالرفع،

---

(١) في «ت»: «وينتصف».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٥٨).

(٣) في «ن»: «يقسمون».

معناهُ: الذي تنفقون هو العفوُ. وقرأ الباقون: بالنصب؛ أي: قلْ أنفقوا العفوَ[1]، ثم نُسخ بآية الزكاة، ثم خاطبَ النبيَّ ﷺ والمرادُ: الأمةُ، فقال: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

* * *

﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾.

[٢٢٠] ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ المعنى: هكذا يبينُ الله لكم الآياتِ في أمر الدنيا والآخرة لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ في أمرهما، فتسعَوْنَ فيما هو صلاحُكم فيهما، ولا وقفَ على (تتفكرون) لئلاَّ يفصل بين العامل ومعموله.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ لما نزلَ قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقولُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ [النساء: ١٠]، فتركوهم، واجتنبوا مُؤاكلتهم، فاشتدَّ ذلك عليهم، فسألوا رسولَ الله ﷺ، فنزل: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ أي: الإصلاحُ لأموالهم من غيرِ أجرةٍ، ولا أخذِ عِوَضٍ خيرٌ وأعظمُ أجراً.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٦٠)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٢)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٩٢-٢٩٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢١٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٦٩).

﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ﴾ أي: تَخْلِطوا أموالَكُم إلى أموالهم، وتشاركوهم فيها.

﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ أي: فهم إخوانُكم في الدين؛ لأن الأخَ يصيبُ من مال أخيه، ويعينُ بعضُهم بعضاً.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ﴾ لأموالِهم.

﴿مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ لها.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ إعناتكُم.

﴿لَأَعْنَتَكُمْ﴾ أي: لضيَّقَ عليكم، والعَنَتُ: المشقَّةُ. قرأ البزيُّ (لأعْنَتكُمْ) بتسهيل الهمزة، بخلافٍ عنه، والباقون: بتحقيقها[1].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ آمِرٌ بعِزَّةٍ، سَهُلَ على العبادِ أَو صَعُبَ.

﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعِه.

* * *

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾.

[٢٢١] ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟﴾ أي: لا تتزوَّجوا.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦١)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ١٣٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٧).

﴿ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾ والمرادُ: الوثنياتُ: بدليل قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [المائدة: ٥]، وقوله ﷺ: «نتزوج نساء أهل الكتاب ولا يتزوجون نساءنا»(١)، فلا يجوزُ لمسلمٍ نكاحُ الوثنيَّات، ولا المجوسيَّات، ولا غيرِهن من أنواعِ المشركاتِ اللاتي لا كتابَ لهنَّ بالاتفاق، وسببُ نزولِها: أن أبا مَرْثَدٍ سألَ النبيَّ ﷺ عن تزويجِ عَناقَ، وكانت مشركةً، فنزلت(٢):

﴿ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ بجمالِها ومالِها. نزلَتْ في خَنْساءَ: وَليدةٍ سوداءَ كانَتْ لحذيفةَ بنِ اليمان، قالَ حذيفةُ: يا خنساء! قد ذُكِرْتِ في الملأِ على سوادِكِ ودهامَتِكِ، فأعتقَها وتزوَّجها(٣)، والمرادُ: كلُّ امرأةٍ مؤمنةٍ، حُرَّةً كانت أو أَمَةً.

﴿ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ أي: لا تُزَوِّجوهم.

﴿ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ﴾ فلا يجوزُ تزويج مسلمةٍ بكافرٍ إجماعاً.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٧٨)، وقال: هذا الخبر وإن كان في إسناده ما فيه، فالقول به لإجماع الجميع على صحة القول به.

(٢) رواه أبو داود (٢٠٥١)، كتاب: النكاح، باب: في قوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً ﴾ والنسائي (٣٢٢٨)، كتاب: النكاح، باب: تزويج الزانية، والترمذي (٣١٧٧)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة النور، وقال: حسن غريب، وغيرهم عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ. قال ابن حجر في «تخريج أحاديث الكشاف» (١/ ١٣٦): فظهر أن هذا الحديث ليس في هذه الآية التي في البقرة، وإنما هو في الآية التي في النور، لكن ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٧) في هذه الآية التي في البقرة عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٢١٣).

﴿ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ ﴾ لأنَّ الخلقَ كلَّهم عبيدُ الله وإماؤه، و(لو) هنا بمعنى (إن).

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ يعني: المشركين.

﴿ يَدۡعُونَ إِلَى ﴾ أعمالِ أهلِ.

﴿ ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ ﴾ على لسانِ رسلِهِ[1].

﴿ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴾ أي: إلى أعمالِها.

﴿ بِإِذۡنِهِۦۖ ﴾ بإرادتِهِ.

﴿ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ أوامرَهُ ونواهِيَهُ.

﴿ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ يتَّعِظون.

* * *

وكانتِ اليهودُ إذا حاضَتْ منهم المرأةُ، لم يؤاكِلوها، ولم يشارِبوها، ولم يجالِسوها، فسُئِلَ رسولُ الله ﷺ عن ذلك، فأنزل الله تعالى:

﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾.

[٢٢٢] ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِ ﴾[2] هو مصدرُ حاضَتْ تحيضُ حَيْضاً

---

(١) في «ت»: «رسوله».

(٢) رواه مسلم (٣٠٢)، كتاب: الحيض، باب: الاضطجاع مع الحائض في لحاف واحد، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

ومَحيضاً، وأصلُه: الانفجارُ والسيلانُ. والمعنى: يسألونك عن الوطء في زَمَنِ المحيضِ.

﴿ قُلْ هُوَ أَذًى ﴾ أي: مستقذَرٌ يؤذي مَنْ يقربُه مُجامِعاً.

﴿ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ﴾ فاتركوا مجامعتَهُنَّ أيامَ حيضِهن.

﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ ﴾ مجامِعينَ، فيحرم وَطْءُ الحائضِ، ويعصي فاعلُه بالاتفاقِ، أما الملامسةُ والمضاجَعَةُ معها، فجائزٌ بالاتفاقِ. واختلفَ الأئمةُ في وجوبِ الكفارةِ على من وَطِئَ الحائضَ، فذهبَ أكثرُهم أنه لا كفَّارةَ عليه، منهم: مالكٌ، والشافعيُّ، وأبو حنيفةَ، قالوا: يستغفرُ اللهَ ويتوبُ إليه، ويُستحبُّ عندَ الشافعيِّ أن يتصدَّقَ بدينارٍ إن جامعَ في إقبالِ الدمِ، أو بنصفِ دينارٍ إن جامعَ في إدبارِه، وذهب قوم إلى وجوب الكفارة عليه، منهم: الإمامُ أحمدُ ـ رضي الله عنه ـ، فيجب عندَهُ على مَنْ جامعَ ـ ولو بحائلٍ ـ قبلَ انقطاعِ الحيضِ في الفرجِ دينارٌ أو نصفُه على التَّخْييرِ، ويجزىءُ إلى مسكينٍ واحدٍ؛ كنذرٍ مطلقٍ، وتسقط بالعجز، وكذا هي إن طاوعَتْهُ ـ ولو كانَ ناسِياً أو مُكْرَهاً أو جاهِلَ الحيضِ أو التحريم، أوهما ـ، واللهُ أعلم.

﴿ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾ أي: ينقطعَ الدمُ. وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ، وخلفٌ: (يَطَّهَّرْنَ) بفتح الطاء والهاء وتشديدهما، يعني: يغتسلْنَ(١).

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٢)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٦)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢١٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«النشر في =

﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ أي: اغتسلْنَ.

﴿ فَأْتُوهُنَّ﴾ أي: جامعوهن.

﴿ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ والمرادُ: الفرج.

قال ابن عباس: طَؤُوهُنَّ في الفَرْجِ، ولا تَعْدُوه إلى غيرِه[1]؛ أي: اتَّقوا الأدبارَ.

ولا يجوز وطءُ الحائضِ حتى ينقطعَ دمُها وتغتسلَ عندَ الشافعيِّ ومالكٍ وأحمدَ، وعند أبي حنيفة يجوزُ وطؤها إذا انقطعَ دمُها نهايةَ حيضِها، وإن لم تغتسلْ.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ من الذنوبِ، ولا يعودون إليها.

﴿ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ من الشرك، وبالماءِ من الأحداثِ والنجاساتِ.

* * *

﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣)﴾.

[٢٢٣] ﴿ نِسَآؤُكُمْ﴾ مبتدأ، خبرُه:

﴿ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ أي: مَزْرَعٌ ومَنْبَتٌ للولدِ بمنزلةِ الأرضِ للنباتِ؛ تشبيهاً لما يلقىٰ في أرحامِهنَّ من النُّطَفِ بالبذرِ.

﴿ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ﴾ نساءكم.

= القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٧١).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٨٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١/ ٣٠٩).

﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ مُقبلاتٍ ومُدْبِرات. المعنى: جامِعُوهنَّ من أيِّ شِقٍّ شئتُم في المأتَى، وكانت اليهودُ تقولُ في الذي يأتي امرأتَه[1] من دُبرِها في قُبلها: إن الولدَ يكونُ أحولَ، فنزلتْ: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ ولا يجوزُ إتيانُ المرأةِ في دُبُرِها بالاتفاق، وعن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ أنه قيلَ له: إنه نُقِلَ عنكَ أنك أَبَحْتَهُ، فقال: كَذَبُوا عليَّ، كذبوا عليَّ[2].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَلْعُونٌ مَنْ أَتَى امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا»[3].

وعن أبي هريرةَ أيضاً عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَتَى حَائِضاً، أَوِ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا، أَوْ كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فقد كَفَرَ بِمَا أُنزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»[4] رواهُنَّ كُلَّهن الأثرَم. قرأ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ، وورشٌ: (شِيتُمْ) بغير همز، والباقون: بالهمز[5].

﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ التسميةُ عندَ الجماع.

وعن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ أَهْلَهُ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا

---

(١) في «ت»: «المرأة».

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٨/ ٤٠٥).

(٣) رواه أبو داود (٢١٦٢)، كتاب: النكاح، باب: في جامع النكاح، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩٠١٥)، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤٤٤)، وانظر: «التلخيص الحبير» لابن حجر (٣/ ١٨٠).

(٤) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٩٠١٧)، والترمذي (١٣٥)، كتاب: الطهارة، باب: ما جاء في كراهية إتيان الحائض، وابن ماجه (٦٣٩)، كتاب: الطهارة، باب: النهي عن إتيان الحائض، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤٠٨).

(٥) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٧٢)، حيث ذكرا القراءة عن أبي عمرو فقط.

الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا؛ فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ، لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ»(١).

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ على كلِّ حالٍ.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾ صائِرونَ إليه، فاستعِدُّوا له.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يا محمدُ.

* * *

﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾.

[٢٢٤] ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ جمعُ يمينٍ. نزلتْ فيمن حلفَ ألاَّ يفعلَ شيئاً، وكانَ حنثهُ أولى، والعُرْضَةُ أصلُها: الشدَّةُ والقوَّةُ. معنى الآية: لا تجعلوا الحلفَ باللهِ سبباً مانعاً لكمْ من البرِّ والتَّقْوى، يُدْعى أحدُكم إلى صلةِ رحمٍ أو برٍّ فيقولُ: حلفتُ باللهِ ألاَّ أفعلَهُ، فيعتلُّ بيمينِهِ في تركِ البرِّ.

﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ أي: ألاَّ تبروا؛ كقولِه: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء: ١٧٦]؛ أي: لئلاَّ تضلوا.

﴿وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ﴾ أي: لا تجعلوا الحلفَ باللهِ شيئاً مانعاً لكم من البرِّ والتقوى والإصلاحِ ﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾.

قال ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا،

---

(١) رواه البخاري (١٤١)، كتاب: الوضوء، باب: التسمية على كل حال وعند الوقاع، ومسلم (١٤٣٤)، كتاب: النكاح، باب: ما يستحب أن يقوله عند الجماع، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

فَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ، وَلْيَفْعَلِ الَّذي هُوَ خَيْرٌ»[1].

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ بنيَّاتكم.

* * *

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾.

[٢٢٥] ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ﴾ أي: لا[2] يعاقِبُكم.

﴿ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ﴾ اللَّغْوُ: كُلُّ مطروحٍ من الكلام لا يُعْتَدُّ به، وأصلهُ: الباطلُ، واللغوُ في اليمين: ما سبقَ إليه اللسانُ من غير قصدِ اليمين؛ نحو: لا واللهِ، وبلى والله عندَ الشافعيِّ وأحمدَ، وعندَ أبي حنيفةَ ومالكٍ هو أن يحلفَ على شيء يرى أنه صادقٌ، ثم يظهرُ خلافُ ذلك، ولا كفارةَ فيه ولا إثمَ بالاتفاق، وقوله:

﴿فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾ حالٌ من اللغو؛ أي: باللغو كائناً في أيمانكم.

﴿وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم﴾ أي: يعاقبُكم.

﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ أي: نَوَتْ.

﴿قُلُوبُكُمْ﴾ وفُهِمْتُمْ به. قرأ ورشٌ، وأبو جعفرٍ: (يُوَاخِذُكُمْ) بفتح الواو بغير همز[3].

---

(١) رواه مسلم (١٦٥٠)، كتاب: الأيمان، باب: ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير، ويكفر عن يمينه، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) «لا» ساقطة من «ن».

(٣) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي =

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ لا يَعْجَلُ بالمؤاخذةِ.

وتنعقدُ اليمينُ باللهِ وبأسمائهِ وصفاتِه بالاتفاق، وعند الثلاثةِ تنعقدُ إذا حلفَ بكلامِ اللهِ، أو بالمصحفِ، أو بالقرآنِ، خلافاً لأبي حنيفةَ، وتنعقدُ عندَ الإمامِ أحمدَ بالنبيِّ ﷺ خاصَّةً؛ خلافاً للثلاثة، فإذا حلفَ على أمرٍ مستقبَلٍ، فَحَنِثَ، فعليه كفارةٌ بالاتفاق، وإن حلفَ على أمرٍ ماضٍ أنه كانَ، ولم يكنْ، أو بالعكسِ، عالماً كان أو جاهلاً، فَحَنِثَ، فهيَ[1] اليمينُ الغموسُ؛ لغمسِهِ في الإثم، فتجبُ الكفارةُ عندَ الشافعيِّ، ولا تجبُ عندَ الثلاثةِ؛ لأنه إنْ كان عالماً، فهي كبيرةٌ، ولا كفارةَ في الكبائر، وإن كان جاهلاً، فهي يمينُ اللغو.

وقد رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَنْ حلَفَ بِيَمِينٍ كَاذِبَةٍ، نَازَعَ اللهَ فيها حَوْلَهُ وقُوَّتَهُ، عَجَّلَ اللهُ لَهُ العُقُوبَةَ قَبْلَ ثَلَاثٍ»، وصفةُ اليمينِ أن يقولَ: تقلَّدْتُ الحولَ والقوَّةَ دونَ حولِ اللهِ وقُوَّتِهِ، إلى حَوْلي وَقُوَّتي إنْ لَمْ يَكُنْ ما قُلْتُه حَقاً. ونُقل أَنَّ بعضَ الناسِ حلفَ بهذهِ اليمين، وكان كاذباً، فهلكَ في يومِهِ، ذُكر ذلكَ في «شرح المقامات» للشريشي[2] بأبسطَ من هذا.

***

= (ص: ١٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٧٢).

(١) في «ن»: «فهو».

(٢) هو أحمد بن عبد المؤمن بن موسى أبو العباس الشريشي الأندلسي المالكي النحوي، المتوفى سنة (٦١٩هـ)، له ثلاثة شروح على «مقامات الحريري» أصغر وأكبر وأوسط. انظر: «هدية العارفين» للبغدادي (١/ ٤٧).

﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ ﴾.

[٢٢٦] ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ ﴾ يُقْسِمون.

﴿ مِن نِّسَآئِهِمْ ﴾ المعنى: يَبْعُدُون من نسائِهم مُؤْلِينَ.

﴿ تَرَبُّصُ ﴾ أي: انتظارُ.

﴿ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍۖ ﴾ تلخيصهُ: استقرَّ للمؤلين تربُّصُ أربعةِ أشهرٍ. والإيلاءُ من المرأةِ عندَ مالكٍ والشافعيِّ وأحمدَ: أنْ يحلفَ ألاَّ يقربَها أكثرَ من أربعةِ أشهرٍ، فإذا مضتْ، وقفَ، فإما أن يجامِعَ، أو يطلِّقَ، فإن امتنعَ، طلَّقَ عليه القاضي، وإن عجزَ عن الجماعِ، فاءَ بلسانِهِ، فيقولُ: إذا قَدَرْتُ جامَعْتُ، وعند[1] أبي حنيفةَ: هو أن يحلفَ ألاَّ يقربَها أربعةَ أشهرٍ فصاعداً، أو ألاَّ يقربها مطلَقاً، وعليه كفارةٌ إن وَطِئَها قبلَ المدةِ، فإنِ انقضتِ الأربعةُ أشهر[2]، وقعتْ تطليقةٌ بائنةٌ عندَ أبي حنيفةَ.

ومدةُ الإيلاءِ في الحرِّ والعبدِ سَواءٌ عندَ الشافعيِّ وأحمدَ، وعندَ أبي حنيفةَ ومالكٍ يتَنَصَّفُ[3] بالرِّقِّ، فأبو حنيفةَ يعتبرُ رِقَّ المرأة، ومالكٌ يعتبرُ رِقَّ الزوجِ؛ كما قالا في الطلاق، ويأتي ذكرُه قريباً.

﴿ فَإِن فَآءُو ﴾ رَجَعُوا عن اليمين.

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ ﴾ للمؤمنين.

﴿ رَّحِيمٌ ﴾ لهم.

---

(١) في «ت»: «وعن».

(٢) «أشهر» زيادة من «ن».

(٣) في «ن»: «تتنصف».

﴿ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَـٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ .

[٢٢٧] ﴿ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَـٰقَ ﴾ أي: أوقعوه، وأصلُ العزمِ والعزيمةِ: عَقْدُ القلبِ على إمضاءِ شيءٍ يريدُ فعلَه، والطلاقُ: هو حَلُّ قيدِ النكاحِ أو بعضِه بوقوعِ ما يملكُهُ من عددِ الطلقات، أو بعضِها، وأصلُه من الإطلاق.

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ لقولهم.

﴿ عَلِيمٌ ﴾ بنياتهم.

* * *

﴿ وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَـٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾ .

[٢٢٨] ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ ﴾ أي: المُخَلَّياتُ من حبالِ أزواجِهِنَّ بعدَ الدخولِ بهنَّ.

﴿ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ ينتظِرْنَ، وهذا خبرٌ معناه: أَمْرٌ؛ أي: لِيَتَرَبَّصْنَ.

﴿ بِأَنفُسِهِنَّ ﴾ فلا يتزوَّجْنَ.

﴿ ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ جمعُ قَرْءٍ ـ بفتح القاف، وقد يضم ـ، ومعناه في اللغة: الوقتُ المعتادُ تَرَدُّدُهُ، وهو الحيضُ عندَ أبي حنيفةَ وأحمدَ، والطهرُ عند مالكٍ والشافعيِّ، وفائدةُ الخلافِ أن المعتدَّةَ إذا شَرَعَتْ في الحيضةِ الثالثةِ، انقضَتْ عِدَّتُها عندَ مَنْ يجعلُه الطهرَ، ويحسبُ بقيةَ الطهرِ الذي وقعَ فيه الطلاق قَرْءاً، وعندَ مَنْ يجعلُه الحيضَ لا تنقضي عِدَّتُها حتى تطهُرَ من

الحيضةِ الثالثةِ، وزادَ الإمامُ أحمدُ: حتى تغتسلَ، أو يمضيَ وقتُ صلاة.

﴿ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ ﴾ من الحيضِ والحبلِ، وهو أن يريدَ الرجلُ مراجعتَها، فتقول: قد حضتُ الثالثةَ، أو تنكرُ الحبلَ ليبطلَ حقَّ الزوجِ من الرجعةِ والولدِ، وربما أسقطَتِ الولدَ خوفاً ألاَّ تعودَ.

﴿ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ لأن المؤمنَ يخافُ هذا الفعلَ.

﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ ﴾ جمعُ بَعْلٍ، وهو الزوجُ، سُمِّيَ بذلك لقيامِهِ بأمرِ الزوجةِ، وأصلُ البعلِ: السيدُ والمالكُ، والبِعالُ النِّكاحُ.

﴿ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ ﴾ أَوْلى برجعتِهِنَّ.

﴿ فِى ذَٰلِكَ ﴾ في العِدَّةِ.

﴿ إِنْ أَرَادُوٓا۟ ﴾ أي: الزوجُ والزوجةُ والوليُّ بالرجعَةِ.

﴿ إِصْلَٰحًا ﴾ بينَهُما وحُسْنَ عشرةٍ.

﴿ وَلَهُنَّ ﴾ على الرِّجالِ.

﴿ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ ﴾ للرجال من الحقوق.

﴿ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ بما عُرِفَ شَرْعاً. قال ﷺ: «إِنَّ أَكْمَلَ المُؤْمِنِينَ إِيمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ»(١).

﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ بالمَهْرِ وإنفاقِ المال. قرأ يعقوبُ: (عَلَيْهُنَّ) بضم الهاء حيثُ وقع(٢).

---

(١) رواه الترمذي (١١٦٢)، كتاب: الرضاع، باب: ما جاء في حق المرأة على زوجها، وقال: حسن صحيح، وابن حبان في «صحيحه» (٤١٧٦)، وغيرهما عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: (ص: ٢٣) من هذا الجزء.

﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ قال ﷺ: «لَوْ أَمَرْتُ أَحَداً أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ، لأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا»(١).

* * *

﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٢٢٩) ﴾.

[٢٢٩] ﴿ ٱلطَّلَٰقُ ﴾ تقديرُه: عَدَدُ الطلاقِ الذي يملكُ الزوجُ بعدَهُ الرَّجْعَةَ.

﴿ مَرَّتَانِۖ ﴾ كانَ الناس في الابتداءِ يُطَلِّقونَ من غيرِ حَصْرٍ ولا عَدَدٍ، وكانَ الرجلُ يطلِّقُ امرأتَهُ، فإذا قاربَت انقضاء عِدَّتها، راجعَها، ثم طَلَّقَها كذلكَ، ثم راجعَها، يقصدُ بذلك مُضارَّتَها، فنزلتِ الآيةُ، وقولُه مَرَّتان؛ أي: مرةً بعدَ مرةٍ، ولم يُرِدِ الجمعَ بينهما، فإن راجعَها بعدَ الثانيةِ.

﴿ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ ﴾ شرعاً؛ أي: يُمسكُها بما عُرِفَ من الحقوق، ولا يراجعُها بقصدِ تطويلِ العِدَّةِ مضارَّةً لها.

﴿ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ ﴾ أصلُ التسريحِ: الإرسالُ؛ كالطلاقِ من الإطلاق. المعنى: يتركُها، ولا يقصدُها بسوء.

---

(١) رواه الترمذي (١١٥٩)، كتاب: الرضاع، باب: ما جاء في حق الزوج على المرأة، وقال: حسن غريب، وفي الباب: عن عائشة، وابن عباس، وابن أبي أوفى، وأنس، وابن عمر، ومعاذ، وغيرهم ـ رضي الله عنهم ـ.

وصريحُ اللفظِ الذي يقعُ به الطلاقُ من غير نيةٍ عندَ مالكٍ والشافعيِّ ثلاثةٌ: الطلاق، والفِراقُ، والسَّراحُ، وعندَ أبي حنيفةَ وأحمدَ هو لفظُ الطلاقِ.

واختلف الأئمةُ فيما إذا كان أحدُ الزوجين رقيقاً، فقال مالكٌ والشافعيُّ وأحمدُ: يعتبَرُ عددُ الطلاق بالزوج، فيملكُ الحرُّ على زوجتِهِ الأمةِ ثلاثَ طلقاتٍ، والعبدُ لا يملكُ على زوجته الحرَّةِ إلا طلقتينِ، وقال أبو حنيفةَ: الاعتبارُ بالمرأةِ، فيملكُ العبدُ على زوجتِهِ الحرَّةِ ثلاثَ طلقاتٍ، ولا يملكُ الحرُّ على زوجتِهِ الأمةِ إلا طلقتين.

﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ أيها الأزواج.

﴿أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهور.

﴿شَيْـًٔا﴾ ثم استثنى الخُلْعَ، فقال:

﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ تقديره: إِلاَّ أَنْ يخافا تركَ حدودِ اللهِ المعروفةِ شرعاً من حُسْنِ الصحبةِ. قرأ أبو جعفرٍ، وحمزةُ، ويعقوبُ: (يُخَافَا) بضمِّ الياء؛ أي: يُعْلَمَ ذلك منهما؛ يعني: يعلم المسلمون والقاضي ذلك من الزوجين؛ بدليل قوله:

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ فجعلَ الخوفَ لغيرِ الزوجين، ولم يَقُلْ: فإن خافا. وقرأ الباقون: بفتح الياء[1]؛ أي: يعلم الزوجانِ من أنفسِهما.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٦٥)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٩٤ـ٢٩٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«النشر في =

﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ نزلت في جميلةَ بنتِ عبدِ اللهِ بنِ أُبَيٍّ ابنِ سلولَ وزوجِها ثابتِ بنِ قيسِ بنِ شماس، وكان يحبُّها، وهي تُبْغِضُه، وكان قد أعطاها حديقةً، فافتدَتْ بها نفسَها منهُ، وهو أولُ خُلْعٍ في الإسلام(١).

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ أي: على الزوج فيما أخذ، ولا على الزوجة.

﴿فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ نفسَها من المال؛ لأنها ممنوعةٌ من إتلافِ المالِ بغيرِ حقٍّ، وهذه الآيةُ دليلُ جوازِ الخُلْعِ بسؤالِ الزوجةِ على مالٍ تفتدي به نفسَها.

واختلفَ الأئمةُ في الخلع، فقال الثلاثةُ: هو تطليقةٌ بائنةٌ، وقال أحمدُ: هو فَسْخُ عِصْمَةٍ إذا وقعَ بلفظِ خُلْعٍ، أو فَسْخٍ، أو مفاداةٍ لا يُنقصُ عددَ الطلاقِ، وهو قولُ ابن عباسٍ، وعبدِ الله بنِ عمَر، واحتجَّ ابنُ عباس بقولِهِ تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾ ثم قال: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ ثم قال: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ فذكرَ تطليقتينِ والخلعَ وتطليقةً بعدها، ولم يَكُ للخُلْعِ حكمٌ يُعْتَدُّ به، فلو كان الخلعُ طلاقاً، لكانَ الطلاقُ أربعاً، ولأنَّها فُرْقَةٌ خلَتْ عن صريح الطلاقِ ونيتهِ، فكانتْ فسخاً كسائر الفُسوخِ، ومن قالَ: هو طلقةٌ، جعل الطلقة الثالثة: ﴿أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾.

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ أي: هذه أوامرُه ونواهيه.

= القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٧٤).

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٤٦٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٢٨)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٦٧٠).

﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ لا تتجاوزوها.

﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ يتجاوزْها.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

* * *

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٢٣٠)﴾.

[٢٣٠] ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ الطلقةَ الثالثةَ.

﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ﴾ أي: بعدَ الطلقةِ الثالثةِ.

﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ غيرَ مطلِّقِها، فيجامعُها. والنكاحُ شرعاً: يتناولُ العَقْدَ والوَطْءَ جميعاً، فهو حقيقةٌ فيهما عندَ الإمامِ أحمدَ، وعندَ أبي حنيفةَ ومالكٍ هو حقيقةٌ في الوطءِ، مَجازٌ في العقدِ، وعندَ الشافعيِّ بالعكس، وهو في اللغةِ الضَّمُّ والجمعُ، فعلى القول بأنه حقيقةٌ في العقد، فهو ضمٌّ وجمعٌ بالنسبة إلى الإيجابِ والقَبولِ؛ فإنَّ القبولَ يُضَمُّ ويُجْمَعُ إلى الإيجاب، وعلى القولِ بأنه حقيقةٌ في الوطءِ، فهو ضَمٌّ وجمعٌ بالنسبةِ إلى جمعِ أحدِ الفَرْجينِ إلى الآخر وضَمِّهِ إليه؛ لأن الزوجينِ حالةَ الوطءِ يجتمعانِ، وينضَمُّ كلُّ واحدٍ منهما[1] إلى صاحبه حتى يصيرا كالشَّخْصِ الواحدِ، والحقيقةُ: اللفظُ المستعملُ فيما وُضِعَ له، والمجازُ: اللفظُ

(١) «منهما» زيادة من «ن».

المستعمَلُ في غير ما وُضع له على وجهٍ يصحُّ، والحقيقةُ لا تستلزمُ المجازَ، والمجازُ يستلزمُها بالاتفاق.

عن عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ قالت: جاءتِ امرأةُ رفاعةَ إلى رسولِ الله ﷺ، فقالت: كنتُ عندَ رفاعةَ، فطلَّقني فَبَتَّ طلاقي، فتزوَّجْتُ بعدَه عبدَ الرحمنِ بنَ الزَّبيرِ، وإنما معهُ مثلُ هُدْبَةِ الثوبِ، فتبسَّمَ رسولُ الله ﷺ، وقال: «تُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى رِفَاعَةَ؟ لا، حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ، وَيَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ»[1].

﴿ فَإِن طَلَّقَهَا﴾ أي: الزوجُ الثاني.

﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ﴾ أي: على الزوجِ الأولِ والزوجةِ بعدَ انقضاءِ العِدَّةِ.

﴿ أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ أي: يرجعَ كلٌّ واحدٍ منهما إلى صاحبه بنكاحٍ جديدٍ.

﴿ إِن ظَنَّآ﴾ أي: رَجَوا.

﴿أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ الواجبةَ في حقِّ الزوجيةِ، وقال مجاهد: إنْ عَلِما أنَّ نكاحَهُما على غيرِ دلسة، وهي التَّحليل.

واختلف الأئمةُ في الرجلِ إذا تزوَّجَ امرأةً طُلِّقَتْ ثلاثاً لِيُحِلَّها للزوجِ الأولِ، فقالَ مالكٌ وأحمد: النكاحُ باطِلٌ، ولا تحلُّ للأولِ، وقال أبو حنيفةَ والشافعيُّ: النكاحُ صحيحٌ، ويحصُلُ بهِ التحليلُ إذا لم يُشْتَرَطْ في النكاح مع الثاني أن يفارقَها، غيرَ أنه يُكْرَه إذا كانَ في عزمِهما ذلك.

﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ما أَمَرَهُمْ به.

---

(١) رواه البخاري (٥٠١١)، كتاب: الطلاق، باب: إذا طلقها ثلاثاً ثم تزوجت بعد العدة زوجاً غيره فلم يمسها، ومسلم (١٤٣٣)، كتاب: النكاح، باب: لا تحل المطلقة ثلاثاً لمطلقها حتى تنكح زوجاً غيره.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٣١﴾﴾.

[٢٣١] ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي: قَرُبْنَ من انقضاءِ العدةِ. نزلتْ في ثابتِ بنِ يسارٍ الأنصاريِّ، طلقَ امرأتَهُ، فلمَّا دَنَتْ عِدَّتُها، راجعَها، ثم طلقَها مُضارَّةً[١].

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ راجِعُوهُنَّ.

﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غيرِ طلبِ ضِرارٍ بالمراجعةِ.

﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ﴾ أي: اتركوهنَّ.

﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ حتى تنقضيَ عدتُهنَّ، فيكُنَّ أملكَ بأنفسِهنَّ.

﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ أي: لا تقصِدوا بالرجعةِ المضارَّةَ.

﴿لِّتَعْتَدُواْ﴾ لتظلموهُنَّ بتطويلِ الحبسِ.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ قرأ: الليث عن الكسائي (يفعل ذلك) بإدغام الذال في اللام حيث وقع.

﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ بتعريضِهِ إلى عذابِ اللهِ. قرأ أبو عمرٍو، وورشٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (فَقَد ظَّلَمَ) حيثُ وقعَ بإدغامِ الدالِ في الظاء، والباقونَ بالإظهار[٢].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٩٣).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٧٦).

﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ ﴾ بأن يطلِّقَ ويقولَ: كنتُ لاعباً، ويعتقَ وينكحَ ويقولَ: كنتُ لاعباً، قال ﷺ: «ثَلاثَةٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ، وَهَزْلُهُنَّ جِدٌّ: الطَّلاقُ وَالنِّكَاحُ وَالْعِتَاقُ»[1].

﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾ بالإيمان (نعمت) رُسمت بالتاء في أحدَ عشرَ موضعاً، وقفَ عليها بالهاء ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، والكسائيُّ، ويعقوبُ.

﴿ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ أي: القرآنِ.

﴿ وَٱلۡحِكۡمَةِ ﴾ يعني: السنَّةَ.

﴿ يَعِظُكُم بِهِۦۚ ﴾ بالنازلِ عليكم.

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ تأكيدٌ وتهديدٌ.

ثم خاطبَ الأزواجَ والأولياءَ فقال:

* * *

﴿ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢٣٢ ﴾.

[٢٣٢] ﴿ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ أي: انقضَتْ عدَّتهن. نزلتْ في جميلةَ بنتِ يسارٍ أختِ مَعْقِلِ بن يَسارٍ المزنيِّ، كانت تحتَ أبي البراح

---

(١) رواه أبو داود (٢١٩٤)، كتاب: الطلاق، باب: في الطلاق على الهزل، والترمذي (١١٨٤)، كتاب: الطلاق واللعان، باب: ما جاء في الجد والهزل في الطلاق، وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٢٠٣٩)، كتاب: الطلاق، باب: من طلق أو نكح أو راجع لاعباً، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

عاصمِ بنِ عديٍّ بنِ عَجلانَ، فطلَّقها، فلما انقضتْ عدَّتُها، جاء يخطبُها، فقالَ له أخوها: زَوَّجْتُكَ وفَرَشْتُكَ وأكرمتُكَ، فطلَّقْتَها، ثم جئتَ تخطبُها! لا واللهِ لا تعودُ إليكَ أبداً، وكان رجلاً لا بأسَ به، وكانت المرأةُ تريد أن ترجعَ إليه، فأنزل الله تعالى:

﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ [1] أصلُ العَضْلِ: المنعُ والشدَّةُ. المعنى: لا تمنعوهن من ﴿أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ الذين يرغَبْنَ فيهم، ويصلحون لهنَّ.

﴿إِذَا تَرَٰضَوْا۟﴾ أي: الخطَّابُ والنساء.

﴿بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بعقدٍ حلالٍ ومهرٍ جائز.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: النهيُ.

﴿يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ذَٰلِكُمْ﴾ أيها الجمع.

﴿أَزْكَىٰ﴾ أي: خير.

﴿لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ لقلوبِكم من الرِّيبةِ.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما في قلبِ أحدِهما من حبِّ الآخرِ.

﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلكَ، فلما نزلت الآية، قال أخوها: الآن أَفعلُ يا رسول الله.

* * *

---

(1) رواه البخاري (٤٢٥٥)، كتاب: التفسير، باب: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ...﴾.

﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣) ﴾.

[٢٣٣] ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ ﴾ أي: المطلَّقاتُ اللاتي لهنَّ أولاد من أزواجهن.

﴿ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ ﴾ خبرٌ، ومعناه: أَمْرُ استحبابٍ.

واختلف الأئمةُ هل تُجبر الأمُّ على إرضاعِ ولدِها؟ فقال أبو حنيفةَ وأحمدُ: لا تُجبر، إلا أن يُضطرَّ إليها، ويُخْشى عليه.

وقال مالكٌ: تُجبر إن كانَتْ تحتَ الأبِ، أو رجعيةً، إلا أن تكون عَلِيَّةَ القَدْرِ، فلا تُجبر إلا أَلاَّ يقبلَ ثَدْيَ غيرِها، أو يكونَ الأبُ معسِراً، أو ميتاً، وليس للولدِ مالٌ.

وقال الشافعيُّ: يجبُ عليها إرضاعُه اللِّبَأَ، ثم بعدَهُ إن لم يوجدْ إلا هي، أو أجنبيةٌ، وجبَ إرضاعُه، فإن وُجِدتا، لم تُجبرِ الأمُّ.

واختلفوا فيما إذا طلبت الأمُّ أجرةَ مثلِها في إرضاعِ ولدها، فقال أبو حنيفة: لها ذلك بشرطِ أَلاَّ تكونَ في عصمة الأب، ولا عِدَّتِه، فإن وَجَدَ متبرعةً، أو من تُرضعُ بدون أجرةِ المثلِ، كان للأبِ أن يسترضعَ غيرَ الأمِّ، بشرطِ أن تكونَ المرضعةُ عندَ الأمِّ؛ لأن الحضانةَ لها.

وقال مالك: لها طلبُ أجرةِ المثلِ بعد البينونةِ، ولو في العدَّة، فإن وُجد من يُرضعُهُ بدونِ أجرةِ المثل، فإن كان ذلكَ عندَ الأم، فتُخيَّرُ بينَ إرضاعِه بذلك، أو تسليمِه للظِّئْرِ، وليس لها طلبُ أجرةِ المثلِ، فإن لم يكن عندَها، فليس له ذلك، ولو كانتِ المرضعةُ متبرعةً، وعليه أن يرضعَه عندَ أمِّه، ولا يخرجَهُ من حَضانتها؛ كقولِ أبي حنيفة.

وقال الشافعيُّ: لها أخذُ الأجرةِ في العصمةِ والبينونةِ، فإن وجَدَ متبرعة، أومن يرضى بدونِ أجرةِ المثلِ، فله انتزاعُ الولدِ منها.

وقال أحمد: هي أحقُّ بأجرةِ مثلها، ولو وجدَ متبرعةً، سواءٌ كانت في حبالِ الزوجيّة، أو مطلَّقةً.

﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ يعني: أربعة وعشرين شهراً، ثم جاء بالتخفيف فقال:

﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ﴾ أي: يكمل.

﴿ٱلرَّضَاعَةَ﴾ أي: هذا منتهى الرضاع، وليس فيما دون ذلك حَدٌّ محدود، وإنما هو على مقدار إصلاحِ الصبيِّ أو ما يعيشُ به.

﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾ أي: الأبِ.

﴿رِزْقُهُنَّ﴾ طعامُهُن.

﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ لباسُهُن.

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي: قدر اليُسْرَةِ.

﴿لَا تُكَلَّفُ﴾ لا تُحَمَّلُ.

﴿نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: طاقَتها.

﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا﴾ فينزع منها بعدَ رضاها بإرضاعه. قرأ: ابن

كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ: (تُضَارُّ) برفع الراء نَسَقاً على قولِه: ﴿لَا تُكَلَّفُ﴾، وأصلُه: تُضارَرُ، فأُدغمتِ الراء في الراء. قرأ نافعٌ، وعاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وابنُ عامرٍ: بنصبِ الراءِ، وقالوا: لما أُدغمت الراءُ في الراء، حركت إلى أخفِّ الحركات، وهو النصب، وأبو جعفرٍ: بإسكانِ الراء(١).

﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ بأن تلقيَ الولدَ إلى أبيه بعدَما أَلِفَها تضارُّه بذلكَ.

﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ﴾ أي: وارثِ الصبيِّ عندَ فقدِ أبيه.

﴿مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ أي: مثلُ الذي كان على أبيه في حياته.

واختلف الأئمة في وجوبِ النفقة على القريب، فعند مالكٍ والشافعيِّ: لا نفقةَ للصبيِّ إلا على الوالدينِ فقط، وعندَ أبي حنيفةَ تجبُ إلاّ على مَنْ ليس بذي رَحِم محرمٍ؛ كابن العمِّ، وعندَ أحمدَ تجبُ على كلِّ وارثٍ على قدرِ ميراثِه.

﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ الوالدانِ.

﴿فِصَالًا﴾ فِطاماً للصغير قبلَ الحولينِ، فليكنْ.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٦٨)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٩٦)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٣٥)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ١٤١)، و«تفسير القرطبي» (٣/ ١٦٧ ـ ١٦٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٧ـ٢٢٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٧٨ـ١٧٩).

﴿عَن تَرَاضٍ﴾ اتفاقٍ.

﴿مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ بأن يستخرجَ الوالدانِ رأيَ العلماءِ أنَّ الفطامَ لا يضرُّهُ، واعتبرَ اتفاقُهما، لِمَا للأبِ من الولايةِ، وللأمِّ من الشفقة.

﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ أي: لا حَرَجَ.

﴿عَلَيْهِمَا﴾ في الفطام قبلَ الحولين. قرأ يعقوبُ: (عَلَيْهُما) بضمِّ الهاء[1].

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ أي: لأولادكم مراضعَ غيرَ أمهاتهم إذا أبتْ أمهاتُهم أن يُرْضِعْنَهم، أو تعذَّرَ لعلَّةٍ بهنَّ؛ كانقطاعِ لبنٍ، أو أردْنَ النكاحَ.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم﴾ إلى أمهاتهم.

﴿مَّآ ءَاتَيْتُم﴾ ما سَمَّيتم لهنَّ بقدرِ ما أرضعن. قرأ ابنُ كثيرٍ: (مَا أَتَيْتُمْ) بقصر الألف، ومعناه: ما فعلتم، والباقون بالمدّ[2].

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي: سلمتم الأجرةَ إلى المراضعِ بطيبِ نفسٍ وسرور.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ حَثٌّ وتهديدٌ.

---

(1) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٧٩).

(2) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٩٦-٢٩٧)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٣٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٨٠).

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ ﴾.

[٢٣٤] ﴿ وَٱلَّذِينَ ﴾ قائمٌ مقامَ المبتدأ المحذوف؛ أي: وأزواجُ الذينَ[١].

﴿ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ ﴾ أي: يتوفَّى آجالُهم، والتوفِّي: أخذُ الشيءِ وافياً.

﴿ وَيَذَرُونَ ﴾ أي: يتركون.

﴿ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ ﴾ أي: يَعْتَدِدْنَ[٢].

﴿ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ ﴾ أي: ليال باتفاقٍ؛ لأن التاريخ بالليلة؛ لأنها أول الشهر، واليومُ تبَعٌ، فإن كانت حاملاً، فانقضاءُ عدتها بوضعِ الحملِ بالاتفاق.

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ أي: انقضَتْ عدتهنَّ.

﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ أيها الأولياء.

﴿ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ ﴾ من اختيارِ الأزواجِ، والتزيُّنِ.

﴿ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ فيجازيكم عليه.

ويجبُ الإحدادُ على المعتدَّةِ من الوفاةِ باجتنابِ الطيبِ و[٣] الزينةِ

---

(١) «أي وأزواج الذين» ساقطة من «ن».

(٢) في «ن»: «يعتدون».

(٣) «الطيب و» ساقطة من «ن».

والادِّهان بالمطيَّبِ بالاتفاق، وجَوَّزَ أبو حنيفةَ ومالكٌ وأحمدُ الاكتحالَ بالأسودِ للضرورة، وعند الشافعي تكتحلُ به[1] ليلاً، وتمسحُه نهاراً للضرورة، وأما المطلقة، فإن كان طلاقُها رجعياً، فلا إحدادَ عليها بالاتفاق، وإن كان بائناً، فقال أبو حنيفة: يجبُ عليها الإحدادُ، وقال مالكٌ وأحمد: لا يجبُ عليها، وعندَ الشافعيِّ يُستحبُّ، وعنه قولٌ يجبُ.

***

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَـٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَـٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾.

[٢٣٥] ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ أي: المعتدَّات، والتعريضُ: التلويحُ بالشيء، وهو ما يلوحُ؛ أي: يبين منه المرادُ من غيرِ تصريحٍ، فالتعريضُ بالخِطبةِ مباحٌ في العدَّةِ من الوفاةِ والطلاقِ البائنِ بالاتفاق، نحو قوله: إنِّي في مثلِكِ لراغبٌ، ولا تفوتيني بنفسِكِ، وتجيبُه: ما يُرْغَبُ عنكَ، وإن قُضي شيءٌ كانَ، ونحوهما، ولا يجوز التعريضُ للرجعية، ولا التصريحُ للبائن قبلَ انقضاءِ العدةِ بالاتفاق، والخِطْبَةُ: التماسُ النكاح، فإذا خطبَ الرجلُ امرأةً، وأُجيب، حَرُمَ على غيره أن يخطبَ على خِطبته بالاتفاق، فلو خالفَ وفعلَ، صحَّ

---

(١) «به» ساقطة من «ن».

النكاحُ، ولزمَ عندَ الثلاثة، وقال مالكٌ: يُفْسخ قبل الدخولِ لا بعده.

﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ﴾ أي: أَضْمَرْتم. قرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وابنُ عامرٍ، ورَوْحٌ عن يعقوبَ (النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ) وشبهه حيثُ وقعَ بتحقيق الهمزتين والباقون بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية وهي أن تبدل ياء(1).

﴿فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ في قلوبِكم. تلخيصُه: لا تَبِعَةَ عليكم في التلويح بالنكاح.

﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ ولكم ميلٌ إليهنَّ، فاذكروهُنَّ.

﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ والسرُّ: الجِماعُ؛ أي: لا تَصِفوا أنفسَكُم لهنَّ بكثرةِ الجِماع، وإنما قيلَ للجماعِ: السِّرُّ؛ لأنه يكون في خُفْيَةٍ بينَ الرجل والمرأة.

﴿إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ وهو التعريضُ بالخِطبةِ.

﴿وَلَا تَعْزِمُواْ﴾ أي: تَنْووا.

﴿عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ في العدَّةِ.

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ بانقضائِها، وسُمِّيتِ العدَّةُ كِتاباً؛ لأنها فرضٌ في الكتاب، فعَقْدُ النكاحِ في العدَّةِ لغيرِ المطلِّقِ دونَ الثلاثِ باطلٌ بالاتفاق.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ فخافوه عقابه.

---

(1) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٨ ـ ١٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٨١).

﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ ﴾ يغفرُ.

﴿ حَلِيمٞ ﴾ لا يعجِّلُ بالعقوبة.

* * *

﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ ﴾.

[٢٣٦] ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ ﴾ أي: تُجامعوهنَّ. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (تُمَاسُّوهُنَّ) بالألفِ في الموضعينِ على المفاعَلَة، لأن بدنَ كلٍّ واحدٍ يلاقي بدنَ[1] صاحبه كما قال تعالى: ﴿ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ﴾ [المجادلة: ٣]، وقرأ الباقون: (تَمَسُّوهُنَّ)؛ لأن الغشيانَ يكونُ من فِعل الرجل؛ لقوله تعالى حكايةً عن مريم: ﴿ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ ﴾[2] [مريم: ٢٠].

﴿ أَوۡ تَفۡرِضُواْ ﴾ أي: تُسَمُّوا.

﴿ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ ﴾ مَهْراً. نزلتْ في رجلٍ من الأنصار تزوَّج امرأةً من بني حنيفةَ، ولم يُسَمِّ لها مَهْراً، ثم طلقها قبلَ أن يمسَّها، فنزلتْ هذه الآيةُ، فقالَ

---

(١) «بدن» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٣ ـ ١٨٤)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٤١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٨٢).

لهُ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَتِّعْهَا، وَلَوْ بِقَلَنْسُوَتِكَ»(١) ونَفْيُ الجُناحِ عن المطلِّقِ؛ لأنَّ الطلاقَ مكروهٌ، وجاء في الحديث: «أَبْغَضُ الْحَلَالِ إِلَى اللهِ الطَّلاقُ»(٢). تلخيصه: لا تَبِعَةَ عليكم إن أردتُم الطلاقَ قبلَ الدخولِ والمسيسِ، فطلِّقوهُنَّ.

﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ أصلُ المتعةِ والمتاعِ: البلاغُ؛ أي: أعطوهُنَّ ما يتبلَّغْنَ وينتفعْنَ به.

﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ﴾ أي: ذي السعة منكم.

﴿قَدَرُهُۥ﴾ أي: بقدر(٣) وُسْعِهِ.

﴿وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ﴾ الضَّيِّقِ الحالِ.

﴿قَدَرُهُۥ﴾ بقدرِ ضِيقه. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وابنُ ذكوانَ، وأبو جعفرٍ (قَدَرُهُ) بفتح الدال فيهما، والباقون: بسكونها، وهما لغتان(٤).

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٢٤١)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/ ٥٩٦).

(٢) رواه أبو داود (٢١٧٨)، كتاب: الطلاق، باب: في كراهية الطلاق، وابن ماجه (٢٠١٨)، كتاب: الطلاق، باب: حدثنا سويد بن سعيد، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

(٣) في «ن»: «قدر».

(٤) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٩٨-٢٩٩)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٤١)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٤/ ٢٢٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٨٢).

﴿مَتَٰعًا﴾ نصبٌ على المصدر.

﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ﴾ أي: بما أمركم الله به من غيرِ ظلمٍ.

﴿حَقًّا﴾ مصدرُ حَقَّ.

﴿عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ إلى المطلَّقاتِ بالتمتُّع، فمن تزوَّجَ امرأةً، ولم يفرضْ لها مهراً، ثم طلَّقَها قبلَ المسيسِ، فلها المتعةُ بالاتفاق، وإن طلَّقها قبلَ المسيسِ، وقد فرضَ لها، فلها نصفُ المفروض، ولا متعةَ لها بالاتفاق.

واختلف الأئمةُ في المطلقةِ بعدَ الدخول، فقال الشافعيُّ: تستحقُّ المتعةَ؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ﴾ [البقرة: ٢٤١]؛ لأن استحقاقَها المهرَ بمقابلةِ ما أتلفَ عليها من منفعةِ البُضْعِ، فلها المتعةُ على وحشةِ الفراق.

وقال أبو حنيفةَ ومالكٌ وأحمدُ: لا متعةَ لها، واختلفوا في قدر المتعة، فقال أبو حنيفةَ: مبلغُها إذا اختلفَ الزوجانِ قدرُ نصفِ مهرِ مثلِها لا يجاوز، وقال الشافعيُّ: يُستحبُّ ألاَّ تنقصَ عن ثلاثين درهماً، فإن تنازعا، قَدَّرَها(١) القاضي بنظرِهِ معتبراً حالَهما، وقال أحمدُ: أعلاها خادمٌ، وأدناها كسوةٌ تجزئها الصلاةُ فيها، وقال مالكٌ: ليس لها حدٌّ محصور، وإنما يعطيها شيئاً يجري مجرى الهبةِ بحسبِ ما يحسُنُ على قدرِ حالِه من يُسرٍ وعُسرٍ.

* * *

﴿وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعۡفُوٓاْ

---

(١) في «ن» و«ت»: «قدره»، والتصويب من «ظ».

أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾.

[٢٣٧] ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ أي: قبلَ الدخول.

﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ أي: سميتم لهنَّ مهراً.

﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ أي: فيجبُ عليكم نصفه، والمرادُ بالمسِّ: الجِماعُ، وإن ماتَ أحدُهما قبلَ المسيسِ، استقرَّ المهرُ كاملاً بالاتفاق، واختلفوا فيما إذا خلا الرجلُ بامرأته، ثم طلقها قبلَ المسيسِ، فقال أبو حنيفةَ وأحمدُ: لها كمالُ المهر، وعليها العِدَّةُ، وقال الشافعيُّ: لها نصفُ الصَّداقِ، ولا عِدَّةَ عليها، وقال مالكٌ: عليها العدَّةُ، ولها نصفُ المهرِ، فإن طال مقامُها معه، وقد تلذَّذَ بها وابتذلَها، فلها جميعُ المهر[1]، وقد حدَّه ابنُ القاسمِ بالعامِ.

﴿إِلَّا أَن يَعْفُونَ﴾ أي: الزوجاتُ، وأصلُ العفوِ: التركُ؛ أي: إلا أن تتركَ المرأةُ نصيبَها، فيعودُ جميعُ الصداقِ إلى الزوج.

﴿أَوْ يَعْفُوَا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ وهو الوليُّ عندَ مالكٍ، فيجوزُ عفوُه إن كانَتْ بكراً، أو غيرَ جائزةِ الأمر، وعند أبي حنيفةَ وأحمدَ، والشافعيِّ في الجديد: هو الزوجُ، وقالوا ـ أعني الثلاثة ـ: لا يجوزُ لوليها تركُ شيء من صَداقها، بكراً كانت أو ثيباً، كما لا يجوزُ له ذلكَ قبلَ الطلاق، بالاتفاق، وكما لا يجوزُ له أن يهبَ شيئاً من مالها. المعنى: تعفو المرأةُ بتركِ نصيبِها للزوجِ، ويعفو الزوجُ بصرفِ جميعِ الصَّداق إليها.

---

(١) «المهر» ساقطة من «ت».

﴿ وَأَن تَعْفُوٓاْ﴾ محلُّه رفعٌ بالابتداء؛ أي: والعفوُ.

﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي: العفوُ أقربُ من أَجلِ التقوى، والخطابُ للرجالِ والنساءِ، معناه: ويعفو بعضكم عن بعض أقربُ للتقوى.

﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي: لا تنسَوا تفضُّلَ بعضِكم على بعض بإعطاءِ الرجلِ جميعَ الصداق، وتركِ المرأةِ نصيبَها منه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ خبرٌ في ضمنِه الوعدُ للمحسنِ، والحرمانُ لغيره.

* * *

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾.

[٢٣٨] ﴿حَٰفِظُواْ﴾ داوموا.

﴿عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ أي: المكتوباتِ بمواقيتِها وحدودِها.

﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ وخُصَّتْ بالذِّكر تفضيلاً، وهي العصر عندَ أبي حنيفةَ وأحمدَ؛ لما رُوي عن النبي ﷺ أنه قالَ يومَ الخندقِ: «شَغَلُونَا عَنْ صَلاَةِ الْوُسْطَى صَلاَةِ الْعَصْرِ، مَلأَ اللهُ أَجْوَافَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَاراً»[1]؛ ولأنها بينَ صلاتَي نهارٍ وصلاتَي ليلٍ، وقد خَصَّها النبيُّ ﷺ بالتغليظ.

وعندَ مالكٍ والشافعيِّ هي صلاةُ الفجرِ؛ لأنَّ الله تعالى قال: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ

---

(١) رواه البخاري (٢٧٧٣)، كتاب: الجهاد والسير، باب: الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، ومسلم (٦٢٧)، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: الدليل لمن قال: الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، عن علي ـ رضي الله عنه ـ.

قَـٰنِتِينَ﴾ والقنوتُ: طول القيامُ، وصلاةُ الصبحِ مخصوصةٌ بطولِ القيامِ، وبالقُنوتِ؛ ولأنَّها بينَ صلاتَي جمعٍ، وهي لا تُقْصر ولا تُجمع إلى غيرها.

﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ في صلاتكم.

﴿قَـٰنِتِينَ﴾ طائعين خاضعين، والقنوتُ في صلاة الصبح عندَ مالكٍ قبلَ الركوع سراً، وعند الشافعيِّ بعدَه جهراً، وسيأتي ذكر مذهبِ أبي حنيفةَ وأحمدَ في القنوتِ في صلاةِ الوترِ في سورةِ الفجر ـ إن شاء الله تعالى ـ. وأصلُ القنوتِ: الطاعةُ، رُوي عن زيدِ بنِ أرقمَ أنه قال: «كُنَّا نتكلَّمُ في الصَّلاةِ إلى أن نزل: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾، فَأُمِرْنا بالسُّكوت، ونُهينا عنِ الكلامِ»[1].

* * *

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾.

[٢٣٩] ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ من عدوٍّ وغيره.

﴿فَرِجَالًا﴾ أي: فصلُّوا رجالاً، جمعُ راجلٍ.

﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ على دوابِّكُم، جمعُ راكبٍ. المعنى: إن لم تمكنْكُم الصلاةُ قانتين، فصلُّوا رجالةً ورُكباناً، وهذا في حال القتالِ والمُسايَفَةِ[2] ـ

---

(١) رواه البخاري (١١٤٢)، كتاب: العمل في الصلاة، باب: ما ينهى من الكلام في الصلاة، ومسلم (٥٣٩)، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة.

(٢) في «ن»: «المسابقة».

أي: الضرب بالسيف[1] - يصلِّي حيثُ كان وجهُه إلى القبلةِ وغيرِها، يومىء بالركوع والسجود على قَدْر الطاقة، ويجعل السجودَ أخفضَ من الركوع، وبذلك قالَ مالكٌ والشافعيُّ وأحمدُ، وقال أبو حنيفةَ: لا يصلِّي ماشِياً ولا مُسايِفاً إذا لم يمكن الوقوفُ، ولا ينقصُ عددُ الركعات عندَهم بالخوف، وسيأتي في سورة النساء بيانُ أقسام صلاةِ الخوف، وصفتها عقبَ تفسيرِ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٠١].

﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ أي: زالَ الخوفُ.

﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: صلُّوا الصلواتِ الخمسَ، واشكروهُ على الأمنِ وأداءِ الصلاة.

﴿كَمَا عَلَّمَكُم﴾ من صلاةِ الخوفِ وغيرِها.

﴿مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ ذكرَهُ.

* * *

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾.

[٢٤٠] ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾ يا معشرَ الرجال.

﴿وَيَذَرُونَ﴾ يتركون.

﴿أَزْوَٰجًا﴾ أي: زوجاتٍ.

﴿وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم﴾ قرأ أبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، وحفص:

---

(١) «أي: الضرب بالسيف» زيادة من «ظ».

(وَصِيَّةً) بالنصب؛ أي: يوصون وصيةً، والباقون: بالرفع؛ أي: فعليهم وصيةٌ[1].

﴿مَّتَـٰعًا﴾ نصبٌ على المصدر؛ أي: مَتِّعوهنَّ متاعاً.

﴿إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾ أي: يوصي لها بنفقةِ حولٍ كاملٍ، وهي مدَّةُ العِدَّةِ في ابتداءِ الإسلام.

﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ فإن خرجتْ من منزلِ زوجِها، سقطتْ نفقتُها، ثم نُسِخَ الحولُ بأربعةِ أشهرٍ وعشر، والنفقةُ بالميراثِ.

﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ من قِبَلِ أنفسِهِنَّ.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يا أولياءَ الميت.

﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾ يعني: التزيُّنَ والنكاحَ، ولرفعِ[2] الجناحِ عن الرجالِ وجهان: أحدهما: لا جناحَ عليكم في قطع النفقةِ عنهنَّ إذا خرجْنَ قبلَ انقضاءِ الحولِ، والآخرُ: لا جناحَ عليكم في تركِ منعِهِنَّ من الخروجِ؛ لأنَّ مقامَها في بيتِ زوجِها حولاً غيرُ واجبٍ عليها، خَيَّرَها الله تعالى بينَ أن تقيمَ حولاً، ولها النفقةُ والسُّكْنى، وبين أن تخرجَ إلى أن نُسختْ بأربعةِ أشهرٍ وعَشْرٍ.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٧٤)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٨)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٨٦).

(٢) في «ن»: «لدفع».

﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ راعي مصالحهم.

* * *

﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ ﴾.

[٢٤١] ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ لما نزل ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ ﴾ إلى ﴿ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ قال رجلٌ من المسلمين: إن أحسنتُ فعلتُ، وإن لم أُردْ لم أفعلْ، فنزلت هذه الآية[1]، وجعلَ الله المتعةَ لهنَّ بلامِ التمليك، ثم أكَّد ذلك بقوله:

﴿ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ للشركِ، وتقدم ذكرُ الخلاف في الآية المتقدمة.

* * *

﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ﴾.

[٢٤٢] ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ تفهمونها.

* * *

﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾.

خرج جماعةٌ من قريتهم داوَرْدانَ قِبَلَ واسط خوفَ الطاعون، فنزلوا وادياً أَفْيَحَ؛ أي: أوسعَ، فلما استقروا فيه، ماتوا جميعاً، وبقوا موتى ثمانية أيام، فسأل حزقيلُ النبيُّ فيهم ربَّهُ، فأحياهم فعاشوا بعدَ ذلكَ دهراً

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٨٤)، عن ابن زيد.

لا يلبسون ثوباً إلا عادَ رميماً كالكفن، قال ابنُ عباس: «فإنها لَتوجدُ اليومَ في ذلك السِّبْطِ من اليهودِ تلكَ الريحُ»(١) فنزل تعجُّباً من حالهم:

[٢٤٣] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي: تعلمْ؛ لأنها من رؤية القلب، وكذا كلُّ ما لم يعايَنْ.

﴿إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ جمعُ ألفٍ، أي: جماعاتٌ كثيرةٌ، واختُلف في مبلغ عددِهم، فورد فيه أقوال كثيرة، أولاها: قولُ من قالَ: كانوا زيادةً على عشرة آلاف.

﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ﴾ على لسان مَلَكٍ:

﴿مُوتُوا۟﴾، فماتوا، ثم عطف على قوله: ماتوا المقدَّرة قولَه:

﴿ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾ ليعلموا أنْ لا فرارَ من القدر، وهذا تبكيتٌ(٢) لمن يفرُّ من قضاءِ اللهِ المحتومِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ كافَّةً في الدنيا، وخاصة على المؤمنين في الأخرى.

﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ على ذلك، أما الكفارُ، فلم يشكروا، وأما المؤمنون، فلم يبلغوا غايةَ شكرِه، ثم عطف ما بعد على محذوف مخاطِباً للذين أُحيوا، وتقديره: لا تحذروا الموت.

* * *

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٨٧).

(٢) في «ن»: «تنكيت».

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ ﴾.

[٢٤٤] ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ في طاعتِه أعداءَه.

﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ بالضمائرِ. أَمَرَهم أن يجاهِدوا، هذا قولُ أكثر المفسرين، وقيل: هو خطابٌ لهذه الأمة، والله أعلم.

* * *

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾.

[٢٤٥] ﴿ مَّن ﴾ استفهامٌ ابتداء.

﴿ ذَا ﴾ خبرُه.

﴿ ٱلَّذِي ﴾ صفةُ الخبر، وصِلَةُ الذي.

﴿ يُقْرِضُ ٱللَّهَ ﴾ ينفقُ في طاعته.

﴿ قَرْضًا ﴾ أي: إقراضاً.

﴿ حَسَنًا ﴾ حلالاً، وأصلُ القرضِ لغةً: القطعُ؛ لأنه يقطعُ له من مالِه شيئاً يعطيه ليرجعَ إليه مثلُه.

﴿ فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ ﴾ قرأ عاصم: (فَيُضَاعِفَهُ) بنصبِ الفاء، وقرأ ابنُ عامرٍ، ويعقوب: (فَيُضَعِّفَهُ) بالتشديد ونصبِ الفاء، وقرأ ابنُ كثيرٍ وأبو جعفرٍ: (فَيُضَعِّفُهُ) بالتشديد وضم الفاء، والباقون: (فَيُضَاعِفُهُ لَهُ) بالألف مخففاً وضمِّ الفاء، وهما لغتان، فالقراءةُ بنصبِ الفاءِ على جواب الاستفهام، وبالضمِّ نَسَقاً على قوله. (يُقْرِضُ)[1]، ودليلُ التشديد قولُه:

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٧٦)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: =

﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ لأنَّ التشديدَ للتكثير، وهذا التضعيفُ لا يعلمُ عددَه إلا اللهُ، وأصلُ التضعيفِ: أن يُزاد على الشيء مثلُه أو أمثالُه. تلخيصه: مَنِ المعطي عبادَ اللهِ من حلالِ مالهِ بطيبِ نفسٍ وغيرِ مِنَّةٍ؟ فإنَّ الله يُثيبُه على ذلك أفضلَ ثوابٍ.

﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ﴾ بإمساك الرزقِ.

﴿وَيَبْصُۜطُ﴾ بتوسيعِه على خلقه. قرأ خلفٌ لنفسِه، وعن حمزةَ، والدوريُّ عن أبي عمرٍو، وهشامٌ عن عامرٍ، ورُوَيْسٌ عن يعقوبَ: (وَيَبْسُطُ) بالسين؛ لأنها الأصل. وقرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، والكسائيُّ، والبزيُّ عن ابنِ كثيرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ، وروحٌ عن يعقوبَ: بالصاد إبدالاً من السين[1]، واختلِفَ عن قنبل، والسوسيِّ، وابنِ ذكوانَ، وحفصٍ، وخلاد، ورسمها بالصاد.

﴿وَإِلَيْهِ﴾ أي: إلى الله.

﴿تُرْجَعُونَ﴾ فيجازيكم.

= ١٣٨-١٣٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٤-١٨٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٠٠-٣٠١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٣٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٥٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٨ و٢٩١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٨٨-١٨٩).

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٧٦)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٠٣-٢٠٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٥٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٨-٢٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٨٩).

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ ﴾.

[٢٤٦] ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ الملأُ من القوم: وجوهُهم وأشرافُهم، وأصلُ الملأ: الجماعةُ من الناس.

﴿ مِنۢ بَعْدِ ﴾ موت.

﴿ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ﴾ هو أشموئيل، ومعناه بالعبرانية إسماعيل، مولدُه بقرية يقال لها: شيلوا، ويقال: إنها المشهورةُ يومئذٍ بالسيلةِ من أعمالِ نابُلُسَ، بعثه الله نبياً لما صار له أربعون سنةً، فدبَّرَ بني إسرائيل، ولبثوا أربعين سنةً بأحسنِ حال، وكان قوامُ أمر[١] بني إسرائيل بالاجتماع على الملوك، وكان ملوكُهم يطيعون أنبياءهم، فظهر لهم عدوٌّ عظيم، وهم قومُ جالوتَ، وهم العمالقة، كانوا يسكنون ساحلَ بحرِ الروم بينَ مصرَ وفلسطين، فظهروا على بني إسرائيل، وغلبوا على كثير من أرضهم، وسَبَوا منهم، وأسروا، فقالوا لنبيهم أشموئيل:

﴿ ٱبْعَثْ ﴾ أي: آثِرْ وأرسلْ.

﴿ لَنَا مَلِكًا ﴾ أي: معنا سلطاناً يتقدَّمُنا.

﴿ نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ فلما قالوا له ذلك.

(١) «أمر» ساقطة من «ت».

﴿قَالَ﴾ لهم:

﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ استفهامُ شَكٍّ، يقول: لعلكم. قرأ نافعٌ: (عَسِيتُمْ) بكسر السين؛ كخشيتم، والباقون: بالفتح كرميتُم، وهي اللغة الفصيحة[1].

﴿إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾ مع ذلكَ الملكِ.

﴿أَلَّا﴾ تقوموا بما تقولون، ولا ﴿تُقَاتِلُوا۟﴾ معه. تلخيصُه: أنتم جبناءُ عن القتال، فكيف تقاتلون؟ فثمَّ استفهموا منكرين، و:

﴿قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَاتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ المعنى: أيُّ عذرٍ لنا في تركِ الجهاد.

﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ المعنى: أُخرجَ بعضُنا؛ لأن القائلين كانوا في ديارهم.

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟﴾ أعرضوا عن الجهاد، وضيَّعوا أمرَ الله.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ وهم الذين عَبَروا النهرَ مع طالوت، واقتصروا على الغَرْفةِ، وكانوا ثلاثَ مئةِ رجلٍ وثلاثةَ عشرَ رجلاً كأهلِ بدرٍ، ثم تهدَّدَهم فقال:

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بترك الجهاد.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٢٧)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٠٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٩٠).

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ﴾.

[٢٤٧] ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ ﴾ وكانَ طالوتُ اسمُه بالعبرانيةِ شاولُ بنُ قيس من سِبْطِ بِنْيامين، ولم يكنْ من أعيانهم، قيل: كان راعياً، وقيل: سَقّاءً، وقيل: دبّاغاً، فلما عرَّفَهم نبيُّهم أن طالوتَ ملكُهم.

﴿ قَالُوٓا۟ ﴾ منكرين:

﴿ أَنَّىٰ ﴾ أي: كيف.

﴿ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا ﴾ وليسَ من بيتِ الملك؛ لأن الملكَ كانَ في سِبْطِ يهوذا بنِ يعقوبَ، والنبوة في سبطِ لاوي بنِ يعقوب.

﴿ وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ ﴾ لأنه فقيرٌ.

﴿ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً ﴾ أي: كثرةً.

﴿ مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ ﴾ تلخيصُه: بعيدٌ تملُّكه علينا؛ لعدمِ استحقاقِهِ للملكِ لوجود مستحقِّه، وفقره، فثم ﴿ قَالَ ﴾ نبيُّهم راداً عليهم:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ ﴾ اختارَهُ.

﴿ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ ﴾ نفَّلَهُ.

﴿بَسْطَةً﴾ سَعَة.

﴿فِي ٱلْعِلْمِ﴾ بالحرب.

﴿وَٱلْجِسْمِ﴾ بالطول، قيل: سُمِّيَ طالوتَ لطولِه، وكان أعلمَ بني إسرائيلَ بالحرب، وأطولَ من كلِّ إنسان برأسه ومنكبه، وكان أجملَ رجل في بني إسرائيل.

﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾ لأنه مختصٌّ بالملْكِ.

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ ذو السعة.

﴿عَلِيمٌ﴾ بما يصنع.

ثم قالوا لنبيهم: فما آيةُ ملكهِ؟ فأجابهم:

***

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾.

[٢٤٨] ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ وهو صندوقُ التوراة، ومن قِصَّته أن الله أنزلَ تابوتاً على آدمَ من خشبِ الشِّمشارِ نحواً من ثلاثةِ أذرُع في ذراعينِ، فكان عندَ آدمَ، ثم عند شيثٍ، ثم توارثه أولادُ آدمَ إلى أن بلغَ إبراهيمَ، ثم كانَ عندَ إسماعيل، ثم عندَ يعقوب، ثم كان في بني إسرائيل إلى أن وصلَ إلى موسى، فكان موسى

يضعُ فيه التوراة، ومتاعاً من متاعه إلى أن مات، ثم تداولَه أنبياءُ بني إسرائيل، وكان كما ذكر(1) الله تعالى:

﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: طُمَأنينة وحكمةٌ؛ لأنهم كانوا يسكنون إليه أينما كان، وإذا حضروا القتال، قَدَّموه بينَ أيديهم يَسْتنصرون به، وقيل: كانَ فيه شيءٌ كرأس الهرةِ إذا سمعوا صوتَهُ أيقنوا بالنصر، وإذا اختلفوا في شيء، تكلَّمَ وحكمَ بينهم.

﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ أي: موسى وهارون نفسُهما، وكان فيه لوحانِ من التوراة، ورضاضُ المنكسرِ من ألواحِها، وعصا موسى ونعلاه، وعِمامةُ هارون، وخاتمُ سليمانَ، وقفيزٌ من المنِّ الذي أُنزل على بني إسرائيل.

﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قال ابن عباس: «جاءتِ الملائكةُ بالتابوتِ تحملُه بينَ السماء والأرض، وهم ينظرون إليه حتى وضعَتْه عندَ طالوتَ، فأقروا بملكه، قال ابنُ عباس: التابوتُ وعصا موسى في بحيرة طبرية يخرجان قبلَ يوم القيامة(2).

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ لعبرة.

﴿لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فلما رأوا التابوتَ، أيقنوا بالنصر، فتسارعوا إلى الجهاد، فقال طالوتُ: لا أبتغي إلا الشابَّ النشيطَ الفارغَ(3)، فاجتمعَ له ثمانون ألفاً من شرطه.

---

(1) في «ت»: «ذكره».

(2) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٠٩).

(3) في «ن» و«ت»: «الفارع».

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾.

[٢٤٩] ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ ﴾ أي: خرجَ من بيت المقدس.

﴿ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ ﴾ وكان حراً شديداً، فشكوا قلةَ الماءِ بينهم وبين عدوهم.

﴿ قَالَ ﴾ طالوتُ.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم ﴾ مختبرُكم ليرى طاعَتكم، وهو أعلمُ.

﴿ بِنَهَرٍ ﴾ هو الأُرْدُنُّ نهرُ الشريعة شرقي بيتِ المقدس، وقيل غيره.

﴿ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ ﴾ أي: كرعَ فيه.

﴿ فَلَيْسَ مِنِّي ﴾ أي: من أتباعي وأهل ديني.

﴿ وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ ﴾ لم يذقْه.

﴿ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ﴾ **قرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، ويعقوبُ: (مِنِّي إِلَّا)[1] بسكون الياء، وقرؤوا أيضاً:**

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٧٩)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٩)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٠٣-٣٠٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٥٩)، =

(غُرْفَةً) بضمِّ الغين، وافقهم ابنُ كثير في (مِنِّي إِلاَّ). والغرفةُ بالضَّمِّ: اسمٌ لما يحصل في كفِّ الغارفِ، وبالفتح: الاغترافُ. تلخيصُه: الغرفةُ مباحةٌ لكم دونَ الشربِ منها، وكانت الغرفةُ تكفي الرجلَ لشربه ودوابِّهُ.

﴿فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ استثناء مِنْ (فَشَرِبوا)، والقليلُ الذين لم يشربوا كانوا ثلاثَ مئةٍ وبضعةَ عشرَ على الصحيح، فمن اغترف غرفة كما أمرَ اللهُ قوي قلبه، وصحَّ إيمانُه، وعبر النهرَ سالماً، والذين شربوا وخالفوا أمر الله، اسودَّتْ شفاهُهم، وغلبَهم العطشُ، وجَبُنوا عن لقاء العدو، فلم يجاوزوا، ولم يشهدوا الفتح.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ﴾ يعني: النهرَ.

﴿هُوَ﴾ يعني: طالوتَ.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ يعني: القليل.

﴿قَالُواْ﴾ يعني: الذين شربوا، وخالفوا أمر الله، وكانوا أهل شك ونفاق:

﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ فانحرفوا ولم يجاوزوا.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يستيقنون.

﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ وهم مَنْ ثبت مع طالوت.

﴿كَم مِّن فِئَةٍ﴾ طائفةٍ.

= و«التيسير» للداني (ص: ٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٩٢).

﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بقضاء الله[1] وإرادته.

﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بالنصر والمعونة[2].

* * *

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾.

[٢٥٠] ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟﴾ يعني: طالوتَ وجنودَه المؤمنين.

﴿لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ المشركين، ومعنى برزوا: أي: صاروا في بَرازٍ من الأرض، وهو الفضاء.

﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ﴾ أنزلْ.

﴿عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ قلوبنا.

﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ كانَ جالوتُ من جبابرةِ[3] الكنعانيينَ من العماليقِ من ولدِ عمليقِ بنِ عادٍ، وكان ملكه[4] بجهاتِ فلسطينَ، وكان من الشدةِ وطولِ القامةِ بمكانٍ عظيمٍ، فلما تصافُّوا، قال جالوتُ لطالوتَ: إما أن تَبرزَ إليَّ، أو تُبرِز إليَّ أحداً، فإن قتلني، استحوذْتَ على ملكي، وإن قتلتُهُ، استحوذتُ على ملكِكَ، فخافه طالوتُ؛ لأنه كان يهزمُ الجيوش وحدَهُ، وكان في بيضَتِهِ ثلاثُ مئةِ رطلِ حديدٍ.

---

(١) في «ش»: «بقضائه».

(٢) في «ن»: «والعون».

(٣) في «ن»: «جبارة».

(٤) في «ش»: «ملكهم».

﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾.

[٢٥١] ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ وكانَ من خبرِهم أنهم لما برزوا للقتال، طلبَ طالوتُ داودَ ـ عليه السلام ـ، وكان أصغرَ بني أبيه، وكان عمره ثلاثين سنة، وأمرهُ بمبارزةِ جالوتَ بعد أن رأى فيه العلائمَ التي يستدلُّ بها على أنه هو الذي يقتل جالوتَ، وهي دهنٌ كان يستديرُ على رأسِ مَنْ يكون فيه السرُّ، وأحضر أيضاً تنُّوراً حديداً، وقال: الشخصُ الذي يقتلُ جالوتَ يكون ملءَ هذا التنور، فلما اعتبر داود ملأ التنورَ، واستدارَ الدهنُ على رأسه، فلما تحقق ذلك منه بالعلامة، أمرَهُ طالوتُ بمبارزةِ جالوتَ، فبارزه.

﴿ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ ﴾ بثلاثةِ أحجارٍ كانتْ في مِخْلاةٍ، وهو متقلِّدٌ بها، وأخذ مِقْلاعاً بيدِه، وكان جالوتُ على فرسٍ أبلقَ عليهِ السلاحُ التامُّ، فلما نظرَ إلى داودَ، أُلقي في قلبِه الرعبُ، فقال له: أنتَ تبرزُ إلي؟ قال: نعم، قالَ: فأتيتَني بالمقلاعِ والحجرِ كما يُؤْتى الكلب؟ قال: نعم، أنت شرٌّ من الكلب، قال: لا جرمَ لأقسمنَّ لحمَكَ بينَ سِباعِ الأرضِ وطيرِ السماء، قال داودُ: أو يقسمُ اللهُ لحمَك، فقال داود: باسم اللهِ إلهِ إبراهيمَ، وأخرجَ حجراً، ثم أخرج الثاني، فقال: باسم الله إلهِ إسحقَ، ووضعَهُ في مقلاعه، ثم أخرجَ الثالثَ وقال: باسمِ اللهِ إلهِ يعقوبَ، ووضعَهُ في مِقْلاعه، فصارت كلُّها حجراً واحداً، ودَوَّرَ المقلاعَ ورمى به، فسخَّرَ اللهُ لهُ الريحَ حتى أصابَ

الحجرُ أنفَ البيضةِ، فخالط دماغَه، وخرجَ من قفاه، وقتل من ورائِه ثلاثين رجلاً، وهزمَ الله الجيشَ، وخرَّ جالوتُ قتيلاً، فأخذه يجرُّهُ[1] حتى ألقاه بين يَدَيْ طالوتَ، ففرحَ المسلمون فرحاً شديداً، وانصرفوا إلى المدينةِ سالمين، ثم بعد ذلك ماتَ أَشموئيل وله اثنتان وخمسون سنةً، فدفنه بنو إسرائيلَ في الليل، وناحوا عليه، وقبرُه بقريةٍ ظاهر بيتِ المقدسِ من جهةِ الشَّمالِ على الطريقِ السالكِ إلى رملةِ فلسطينَ على رأسِ جبلٍ، وهو مشهورٌ، واسمُ القرية عند اليهود رامةُ، وأهل الإسلام يسمونها باسم النبيِّ المشارِ إليه، وتزوج داودُ ابنةَ طالوتَ، وأحبَّهُ الناسُ، ومالوا إليه، فحسدَه طالوتُ، وقصدَ قتلَه مرةً بعد أخرى، فهرب داودُ منه، وبقي داودُ متحرِّزاً على نفسِه، ثم ندمَ طالوتُ على ما كان منه من قصدِ قتلِ داودَ، وتابَ إلى الله، ثم إن طالوتَ قصدَ الفلسطين للغزاة، وقاتلَهم حتى قُتل هو وأولادُه، وانتقل الملكُ إلى داودَ ـ عليه السلام ـ.

﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ يعني: النبوةَ، ولم تجتمع السلطنةُ والنبوةُ لأحدٍ قبلَ داودَ، بل كانَ المُلْكُ في سبط، والنبوةُ في سبط.

﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ من صنعةِ الدروع، فكان يصنعُها ويبيعها، ولا يأكلُ إلا من عمل يده، ومنطقِ الطيرِ والصوتِ الطيبِ والألحانِ، فلم يُعْطِ اللهُ أحداً من خلقِه مثلَ صوتِه، كان إذا قرأ الزبورَ، تدنو الوحوشُ حتى يؤخذَ بأعناقها، وتُظِلُّه الطير، ويركدُ الماءُ الجاري، ويسكنُ الريح، وسيأتي ذكرُ داود ـ عليه السلام ـ ووفاتُه في أواخر سورة النساء ـ إن شاء الله

(١) في «ن»: «وجرَّه».

تعالى ـ. قرأ أبو عمرو: (وَقَتَلَ دَاوُد جَّالُوتَ) بإدغام الدال في الجيم[1].

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ﴾ أصلُ الدفعِ: صرفُ الشيء، والمعنى: لولا أن يصرف الله.

﴿ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم﴾ أي: المفسدين.

﴿بِبَعْضٍ﴾ بالمؤمنين. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ: (دِفَاعُ) بألف، والباقون: بغير ألف[2]؛ لأن الله تعالى لا يُغالبه أحدٌ، وهو الدافعُ وحدَه، ومن قرأ بالألف قال: قد يكونُ الدفاعُ من واحد، مثل قولِ العربِ: أحسنَ الله عنكَ الدفاع.

﴿لَفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ بقتل المسلمين، وظهورِ الفسادِ، قال ﷺ: «إِنَّ اللهَ ـ عز وجل ـ لَيَدْفَعُ بِالمسْلِمِ الصَّالِحِ عَنْ مِئَةِ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِهِ»[3].

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

---

(١) انظر: «الإتقان» للسيوطي (١/ ١١٢)، النوع الحادي والثلاثون.

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٧٩)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٩)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٠٤ـ٣٠٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٦٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٩٣).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٣٣)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٤٠٣)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٢/ ٣٨٢)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٠٨٠)، وغيرهم عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ بإسناد ضعيف.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾.

[٢٥٢] ﴿تِلْكَ﴾ أي: الأخبارُ المذكورةُ.

﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

* * *

﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾.

[٢٥٣] ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ﴾ المذكورةُ قِصَصُها.

﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ﴾ يعني: موسى ـ عليه السلام ـ.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾ يعني: محمداً ﷺ، ولم يصرِّحْ باسمِه تفخيماً له. المعنى: إنه ساوى الأنبياءَ في فضلِهم، وفضل عليهم بأشياءَ كثيرةٍ، منها: أنه بُعث إلى الأحمرِ والأسود، وأُحِلَّت له الغنائمُ، وغيرُ ذلك ـ صلواتُ اللهِ عليهِ وعليهم أجمعين ـ.

﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ: (القدْس) بإسكانِ الدال[1].

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٩٤).

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم ﴾ أي: من بعدِ الرسلِ.

﴿ مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ في دينِهم.

﴿ فَمِنْهُم ﴾ أي: الذين بقُوا بعدَ الرسل.

﴿ مَّنْ ءَامَنَ ﴾ ثبَتَ على إيمانِه.

﴿ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ﴾ ارتدَّ.

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ ﴾ كرَّرَهُ تأكيداً.

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ يوفِّقُ مَنْ يشاءُ فَضْلاً، ويخذُلُ من يشاء عَدْلاً.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾.

[٢٥٤] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم ﴾ هي الزكاةُ المفروضةُ.

﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ ﴾ أي: لا فداءٌ فيه؛ لأن الفداءَ شراءُ نفسه. قرأ أبو عمرٍو: (أَنْ يَأْتِي يَّوْمٌ) بإدغام الياء في الياء[1].

﴿ وَلَا خُلَّةٌ ﴾ لا صَداقةٌ.

﴿ وَلَا شَفَٰعَةٌ ﴾ إلاَّ بإذن الله. قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ، وعاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (لاَ بَيْعٌ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ) بالرَّفْع والتنوين، والباقونَ: كلّها بالنصب[2]. تلخيصُه: تأهَّبوا للحسابِ قبلَ الموتِ.

---

(١) انظر: «الإتقان» للسيوطي (١/ ١١١)، النوع الحادي والثلاثون.

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٨٢)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: =

﴿ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ بوضعِهِمُ العبادةَ في غيرِ محلها.

* * *

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾.

[٢٥٥] ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ هي أعظمُ آيةٍ في كتاب الله، قال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِنَّ لَها لِلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ تُقَدِّسُ المَلِكَ عِنْدَ سَاقِ الْعَرْشِ»(١) وَ«مَنْ قَرَأَهَا حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ، وَكَّلَ اللهُ بِهِ حَافِظاً، وَلاَ يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّى يُصْبِحَ»(٢).

﴿ ٱلْحَىُّ ﴾ الذي لا يلحقُه الفناءُ ولا يموتُ.

﴿ ٱلْقَيُّومُ ﴾ القائمُ بتدبيرِ خلقِه.

= ٩٩)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٠٥-٣٠٦)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٦٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٩٤).

(١) رواه مسلم (٨١٠)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل سورة الكهف وآية الكرسي، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٤١)، عن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ، وهذا لفظ أحمد.

(٢) رواه البخاري (٤٧٢٣)، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل سورة البقرة، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ﴾ هي النعاسُ، وهي أولُ النوم. قرأ الكسائيُّ (سِنَةٌ) بإمالة النون حيثُ وقفَ على هاء التأنيث.

﴿وَلَا نَوْمٌ﴾ هو غَشْيَةٌ ثقيلةٌ تقع على القلب، فتمنعُهُ معرفةَ الأشياء. تلخيصُه: هو منزَّهٌ عن جميع التغييرات.

﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لأنه خلقَها بما فيهما.

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ﴾ لأن أحداً لا يقدرُ على الكلامِ يومَ القيامة. قرأ أبو عمرٍو (يَشْفَع عِّنْدَهُ) بإدغام العين الأولى في الثانية، و(يَعْلَم مّا) بإدغامِ الميمِ في الميم[1].

﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ بأن يأذن في الكلام والشفاعة لمن شاء فيمن شاء.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بينَ أيدي ما فيهما، والمرادُ: ما وُجِدَ قبلَ خلقِ ما فيهما؛ كالملائكة.

﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما يوجَدُ بعد ما فيهما. قرأ يعقوبُ: (أَيْدِيهُمْ) بضم الهاء، وقرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ: (أَيْدِيهِمُو) واختُلِفَ عن قالون (وَمَا خَلْفَهُمْ) كذلك[2].

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ أي: من معلوماتِه.

﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ مِمَّا[3] أخبرَ بهِ الرسلَ.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ قال ابنُ عباس: كرسِيُّهُ: علمُه[4]، وقالَ الحسنُ: هو

---

(١) انظر: تفسير الآية (٤) من سورة الفاتحة، والقراءة ثمة.

(٢) انظر: الآية (٧) من سورة الفاتحة.

(٣) في «ن»: «فيما».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٩).

العرشُ نفسُه[1]، وقالَ ابنُ عطيةَ[2]: والذي تقتضيهِ الأحاديثُ أن الكرسيَّ مخلوقٌ عظيم بينَ يَدَي العرشِ، والعرشُ أعظمُ منهُ، قال أبو ذَرٍّ ـ رضي الله عنه ـ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلاَّ كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ فِي فَلاَةٍ مِنَ الأَرْضِ»[3] ومعنى قولِه: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أي: سَعَةً مثلَ سَعَةِ السمواتِ والأرضِ في العظم.

﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾ لا يُثْقِلُهُ، ولا يَشُقُّ عليه.

﴿حِفْظُهُمَا﴾ أي: حفظُ السماواتِ والأرضِ.

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ المتعالي عن الأشباهِ والأندادِ.

﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ الذي ليسَ شيءٌ أعظمَ منه.

* * *

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾.

[٢٥٦] ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ نزلَتْ في أهلِ الكتابِ إذا قَبلوا الجزيةَ، وذلكَ أن العربَ كانت أمةً واحدةً[4] أُميةً، فلم يكن لهم كتابٌ، فلم يُقبل منهم إلا الإسلامُ، فأسلموا طوعاً أو كرهاً، فلما أُنزل: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٠).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٣٤٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٨٧).

(٤) «واحدة» زيادة من «ن».

أُمِرَ بقتالِ أهلِ الكتابِ إلا أَنْ يُسْلِموا، أو يُقِرُّوا بالجزية، فمن أعطى منهم الجزيةَ، لم يُكْرَهْ على الإسلامِ[1]، ويأتي ذكرُ حكمِ الجزيةِ في سورةِ التوبة ـ إن شاء الله تعالى ـ.

﴿ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ﴾ الحقُّ.

﴿مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ الضلال. المعنى: ظهرَ الإيمانُ من الكفرِ بالدلائلِ الواضحةِ.

﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ وهو ما عُبِدَ من دونِ الله.

﴿ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ﴾ أي: تمسَّكَ واعتصَم.

﴿ بِٱلْعُرْوَةِ﴾ بالعَقْدِ الثابتِ والحُجَّةِ.

﴿ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ المحكَمَةِ الموصلةِ إلى رِضا اللهِ تعالى.

﴿ لَا ٱنفِصَامَ﴾ لا انقطاعَ.

﴿ لَهَا﴾ وأصل الفَصْمُ: انصداعٌ من غيرِ فصلٍ.

﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لدعائِكَ إياهم إلى الإسلام.

﴿ عَلِيمٌ﴾ بحرصِكَ على إيمانهم.

* * *

﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٤٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٧٢)، و«العجاب» لابن حجر (١/ ٦١٤).

[٢٥٧] ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ﴾ أي: ناصرُ.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ومُغيثُهم.

﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي: الكفرِ.

﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الإيمانِ.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ يعني: اليهودَ.

﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ كعبُ بنُ الأشرفِ وأصحابُه.

﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ﴾ الإيمان بمحمدٍ ﷺ.

﴿إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الكفرِ به؛ بأن أنكروهُ، ومنعوا من اتِّباعه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ وعيد وتحذيرٌ.

* * *

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾.

[٢٥٨] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ﴾ المعنى: هل انتهى إليكَ خبرُ الذي خاصمَ وجادلَ.

﴿إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ وهو نمرودُ بنُ كنعانَ بنِ كوش بنِ سامِ بنِ نوحٍ، وهو أولُ من وضعَ التاجَ على رأسه، وتجبَّرَ في الأرض، وادَّعى رُبوبيَّةً.

﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ والعاملُ في (أن) حاجَّ، تقديره: حاجَّ لأنْ أعطاه الله الملكَ، فطغى، فكانت المحاجَّةُ من بطرِ الملكِ وطغيانِه، قال

مجاهد: ملكَ الأرضَ مؤمنانِ: سليمانُ بن داود[1]، وذو القرنينِ، وكافران: نمرودُ وبُخْتَ نَصَّر.

﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾ ظرفٌ لـ«حاجَّ»، وهذا جوابُ سؤالٍ غيرِ مذكورٍ، قال له: من ربُّكَ؟ قال:

﴿رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ قرأ حمزةُ: (رَبِّي الَّذِي) بإسكانِ الياء، والباقون: بفتحها[2].

﴿قَالَ﴾ نمرود:

﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ فعمدَ إلى رجلينِ، فقتلَ أحدَهما، وتركَ الآخرَ، فجعلَ تركَ القتلِ إحياءً. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (أَنَا أُحْيِي) بالمدِّ في هذا الحرف وشبهِه حيثُ وقَع[3]. فانتقلَ إبراهيمُ إلى حجَّةٍ أخرى، لا عجزاً؛ فإن حُجَّتَه كانت لازمةً؛ لأنه أرادَ بالإحياءِ إحياءَ الميتِ، فكان له أن يقولَ: فَأَحْيِ مَنْ أَمَتَّ إنْ كنتَ صادقاً، فانتقلَ إلى حجَّةٍ أوضحَ من الأولى.

﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ﴾ أي: تَحَيَّرَ ودُهِشَ.

---

(1) «بن داود» زيادة من «ن».

(2) انظر: «الكشف» لمكي (1/ 330)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: 169)، و«تفسير البغوي» (1/ 274)، و«التيسير» للداني (ص: 86)، و«معجم القراءات القرآنية» (1/ 197).

(3) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (1/ 284)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: 142)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: 188)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: 169)، و«تفسير البغوي» (1/ 274)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (2/ 213)، و«معجم القراءات القرآنية» (1/ 197).

﴿ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ وانقطعتْ حُجَّتُهُ.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أنفسَهُمْ بعدمِ قبولِ الهداية، وفي انتقالِ إبراهيمَ دليلٌ على جوازِ الانتقالِ من دليلٍ إلى دليل.

***

﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾.

[٢٥٩] ﴿أَوْ كَٱلَّذِى﴾ هذهِ الآيةُ منسوقةٌ[١] على الآية الأولى، تقديره: ألم ترَ إلى الذي حاجَّ إبراهيمَ، أو إلى الذي.

﴿مَرَّ﴾ هو أرميا النبيُّ ـ عليه السلام ـ على الأصحِّ، وقيلَ: هو عُزير ـ عليه السلام ـ.

﴿عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ هي بيتُ المقدسِ حينَ خرَّبَهُ بُخْتَ نَصَّر ملكُ بابلَ بالعراقِ[٢].

﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطةٌ.

﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ سقوفِها، معناه: أن السقوفَ سقطَتْ، ثم وقعتِ الحيطانُ عليها. وملخَّصُ القصةِ على اختلافٍ فيها أنَّ أَرْميا ـ عليه السلام ـ

---

(١) في «ن»: «مسبوقة».

(٢) في «ن»: «العراق».

كان في أيام صدقيا آخرِ ملوكِ بني إسرائيل، وكانوا قد أحدثوا المعاصيَ والطغيان، ونقضوا التوبةَ، فبقي أرميا يعظُهم ويهدِّدهم ببخت نَصَّرَ عاملِ لهراسفَ على بابلَ، ولهراسفُ هو ملكُ فارسَ، وهم لا يلتفتون إلى وَعْظه، وكان أرميا قد رأى بخت نَصَّرَ قديماً وهو[1] صبيٌّ أقرعُ، ورآه يأكلُ ويتغوَّطُ ويقتلُ القملَ، فقال له: ما هذا؟ فقال: أذًى يخرجُ، ومنفعةٌ تدخلُ، وعدوٌّ يُقتل، فقال له: سيكونُ لكَ شأنٌ، فأخذ أرميا من بُخْتَ نَصَّر أماناً لبيتِ المقدسِ ومَنْ فيه، وكتبَ لهُ الأمانَ في جلدٍ، فلما صارَ الملكُ إلى بختَ نَصَّرَ، عصى عليه صدقيا، فقصد بُخْتَ نَصَّرُ بيتَ المقدسِ، فلما بلغَ سهولَ الرملة، وأُعلم أرميا بذلك، سار إليه، وأعطاهُ الأمان، فنظره وقالَ: هو أماني، ولكني مبعوثٌ، وقد أُمرت أن أَرميَ بسهمي، فحيثُ وقعَ سهمي، طلبتُ الموضعَ، فرمى بسهمٍ فوقعَ في قبةِ بيتِ المقدس، فرجع أرميا إلى أهل القدس، وأخبرهم بذلك، وفارقهم، واختفى، ثم سار[2] بخت نَصَّرُ بالجيوشِ، وكان معه ستُّ مئةِ ألفِ رايةٍ، ودخل بيتَ المقدسِ بجنوده، ووطىء الشامَ، وقتل بني إسرائيلَ، وأَسَرَ منهم، وسَبى ذَراريَّهُمْ، وخَرَّبَ بيتَ المقدسِ، وأمرَ جنوده أن يملأ كلُّ رجلٍ منهم ترسَهُ تراباً، ثم يقذفَه في بيتِ المقدس، ففعلوا حتى ملؤوه، وبينَ تخريبِ بيتِ المقدسِ على يدِ بختَ نَصَّرَ والهجرةِ النبويةِ الشريفة ألفٌ وثلاثُ مئةٍ وخمسونَ سنةً، فكانت هذه الواقعةُ الأولى التي أنزلها الله ببني إسرائيل بظلمِهم بعدَ أن لبثَ

(١) في «ت»: «وهي».
(٢) في «ن»: «وسار».

بيتُ المقدسِ على العِمارةِ السُّلَيمانية أربعَ مئةٍ وثلاثاً وخمسينَ سنةً، ثم إن الله أوحى إلى أَرميا أني عامرٌ بيتَ المقدسِ، فاخرج إليها، فخرج أرميا، وقدم إلى القدس وهي خرابٌ، فلما رآها.

﴿قَالَ أَنَّىٰ﴾ أي: كيف.

﴿يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ﴾ قالَهُ تعجُّباً لا شَكّاً بالبعثِ، ثم وضعَ رأسه فنام.

﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ﴾ ألبثَهُ ميتاً.

﴿مِاْئَةَ عَامٖ﴾ فلما مضى من موته سبعون سنةً، وهي مدةُ لبثِ بيتِ المقدس على التخريب، أرسل الله مَلَكاً إلى مَلِكٍ من ملوك الفرسِ اسمُهُ كُورَشُ، وكان مؤمناً، وأمره بعمارةِ بيتِ المقدس، فعمَره، وعاد إليه بنو إسرائيل، وعمروها ثلاثين سنة، وكثروا حتى كانوا على أحسنِ ما كانوا عليه، وأهلكَ الله بختَ نَصَّرَ ببعوضةٍ دخلتْ في دماغِه، ولما أماتَ الله أرميا، كان معه حمارُه وسَلَّةٌ فيها طعامٌ، وهو تينٌ وركوةٌ فيها عصيرُ عنبٍ.

﴿ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ﴾ أي: أحياه، وعمَّرَ اللهُ أرميا، فهو الذي يُرى في الفَلَوات، وبعثه الله على السنِّ الذي توفَّاه عليه بعدَ مئةِ سنة، وهو أربعون سنةً، ولابنِه عشرٌ ومئةٌ، ولابنِ ابنِه تسعونَ، وأنشدَ في ذلك:

وَأَسْوَدَ رَأْسٍ شَابَ مِنْ قَبْلِهِ ابْنُهُ ... وَمِـنْ قَبْلِـهِ ابْـنُ ابْنِـهِ فَهْـوَ أَكْبَـرُ
تَرَى ابْنَ ابْنِهِ شَيْخاً يَأُبُّ عَلَى عَصاً ... وَلِحْيَتُـهُ سَـوْدَاءُ وَالـرَّأْسُ أَشْقَـرُ
وَمَـا لِابْنِـهِ حَيْـلٌ وَلاَ فَضْـلُ قُـوَّةٍ ... يَقُـومُ كَمَـا يَمْشِـي الصَّبِـيُّ فَيَعْثُـرُ
يَعُــدُّ ابْنُــهُ فِــي النَّـاسِ تِسْعِيــنَ ... حِجَّةً وَعِشْرِينَ لا يَجْرِي وَلا يَتَحَيَّرُ

وَعُمْـرُ أَبِيـهِ أَرْبَعُـونَ أَمـرَّهَـا وَلِابْنِ ابْنِهِ في النَّاسِ تِسْعُونَ غُبَّرُ
فَمَا هُوَ فِي المَعْقُولِ إِنْ كُنْتَ دَارِياً وَإِنْ كُنْتَ لا تَدْرِي فَبِالجَهْلِ تُعْذَرُ[1]

فلما بعثه الله ﴿قَالَ﴾ له ملكٌ:

﴿كَمۡ لَبِثۡتَۖ﴾ ميتاً.

﴿قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا﴾ لأنه كانَ قدْ ماتَ أولَ النهارِ، وأحياه اللهُ بعدَ مئةِ عامٍ آخِرَ النهارِ قبلَ غيبوبةِ الشمس، فلما رأى بقيةً من الشمس قال:

﴿أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ﴾ له الملَكُ:

﴿بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، ويعقوبُ، وخلفٌ، (لَبِثْتَ لَبِثْتُمْ) حيثُ وقعَ بالإظهار، والباقون بالإدغام[2]، وقرأ أبو جعفرٍ (مِئَةً، ومِئَتَيْنِ، وفِئَةً، وفِئَتَيْنِ) حيث وقع بغير همز[3] بخلاف عنه.

﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ﴾ التينِ.

﴿وَشَرَابِكَ﴾ العصيرِ.

﴿لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ﴾ يتغيرْ، كأنه لم يأتِ عليه السنون. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، ويعقوبُ، وخلفٌ: (يَتَسَنَّ) بغير هاءٍ في الوصل، فمن أسقط الهاء جعلها صلةً زائدةً، وقال: أصلُه (لم يَتَسَنَّي)، فحذفَ الياء للجزم،

---

(1) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٠/ ٣٢٥).

(2) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٨٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٨)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٩٨).

(3) «همز» ساقطة من «ش».

وأبدل منه هاءً في الوقف، ومن أثبتَ الهاءَ، جعلها أصليةً للامِ الفعل[1].

﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ فنظرَ، فإذا عظامٌ بِيضٌ، فركَّبَ اللهُ العظامَ بعضَها على بعض، وكساهُ اللحمَ والجلد، وأحياه وهو ينظر. تقديره: أريناكَ ذلكَ لتعلمَ قدرتَنا. قرأ أبو عمرٍو، وورشٌ، والدوريُّ عن الكسائيِّ، وابنُ ذكوانَ عن ابنِ عامرٍ: (حِمَارِكَ) و(الحمار) بالإمالة حيثُ وقع[2].

﴿وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ﴾ أي: عبرةً ودلالةً على البعثِ بعدَ الموت.

﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا﴾ قرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وابنُ عامرٍ: (نُنْشِزُهَا) بالزاي المعجمة؛ أي: نرفعُها من الأرض ونردُّها إلى مكانها من الجسد، يقال: نشزتُه فنشزَ؛ أي: رفعتُه فارتفع، والباقون: بالراء المهملة، معناه: نُحييها، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾[3] [عبس: ٢٢].

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٩)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٠)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٠٧-٣٠٨)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٧٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٩٩).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٩٩).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٩)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣١٠-٣١١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٧٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٠٠).

﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ فعادت العظامُ كهيئتها حيةً. اختُلف في معنى الآية، فقال الأكثرون: المرادُ عظامُ الحمار، وقال قوم: أرادَ به عظامَ الميتِ نفسِه، وفي الآية تقديمٌ وتأخيرٌ، وتقديرها: وانظرْ إلى حمارك، وانظرْ إلى العظام كيف ننشرها، ولنجعلك آية للناس.

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ﴾ ذلك عياناً.

﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ (قَالَ اعْلَمْ) موصولاً مجزوماً على الأمر، معناه: قالَ اللهُ لهُ: اعلم، وقرأ الباقون: (أَعْلَمُ) بقطع الألفِ ورفعِ الميم على الخبر أنه لما رأى ذلك، قالَ: أعلمُ[1].

***

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾.

[٢٦٠] ﴿وَإِذْ﴾ أي: واذكرْ إذ.

﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ لأزداد بصيرةً، وإذا سئلتُ

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٩)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٠)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣١٢-٣١٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٠١).

هل رأيتَ إحياءَ الموتى؟ فأقولُ: نعم. قرأ ابنُ كثيرٍ، ويعقوبُ والسوسيُّ عن أبي عمرٍو: (أَرْنِي) بسكون الراء[١].

﴿قَالَ﴾ الله:

﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ مع علمِه بإيمانه ليظهر إيمانه لكلِّ سامعٍ.

﴿قَالَ بَلَىٰ﴾ يا ربِّ قد علمتُ فآمنتُ.

﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ﴾ أي: ليسكن[٢].

﴿قَلْبِي﴾ ويصيرَ علمُ اليقينِ بالاستدلال عينَ اليقينِ بالمشاهدةِ. تلخيصُه: آمنتُ وأريدُ مشاهدةَ ذلك لإيمانِ غيري، وفي معنى قولِه: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ من الأمثال الدائرة على ألسنِ[٣] الناس: ليسَ المُخْبَرُ كالمعاينِ، وقد رُوي الحديثِ الشريفِ: «لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ» رواه الإمام أحمدُ وغيرُه[٤].

﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾ نسراً وطاوساً وغراباً وديكاً.

﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أي: قَطِّعْهُنَّ. قرأ أبو جعفرٍ، وحمزةُ، وخلفٌ، ورُويسٌ: (فَصِرْهُنَّ) بكسر الصاد؛ أي: أَمِلْهُنَّ، والباقون: بضمِّها على

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٠٢).

(٢) في «ن»: «يسكن».

(٣) في «ت»: «ألسنة».

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢١٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢١٣)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٥٠)، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

المعنى الأول[1]، والمعنى: أملهنَّ إليك واعتبرهُنَّ، ثم قَطِّعْهُنَّ، ثم اخلِطْ لحمَهُنَّ بعضَه ببعض، ثم أمسكْ رؤوسهن، ثم جَزِّئْهُنَّ أجزاءً.

﴿ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ﴾ من جبال أرضِك، وكانت سبعة.

﴿مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا﴾ قرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ (جُزُؤاً) بضم الزاي والهمز حيثُ وقعَ، وقرأ أبو جعفرٍ: بتشديدِ الزاي بغير همز، والباقون: بالجزم والهمز[2].

﴿ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ﴾ قلْ لَهُنَّ تعالَيْنَ بإذنِ الله.

﴿يَأۡتِينَكَ﴾ ففعل، فعاد كلُّ جزء إلى جسده، ثم أتينَ إلى رؤوسهن.

﴿سَعۡيٗاۚ﴾ سريعاً.

﴿وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزُ عما يريدُ[3].

﴿حَكِيمٞ﴾ في كلِّ ما يفعله.

* * *

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠١)، و«الكشف» لمكي (١/ ١٥٨)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٢٠٢).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٤٧)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٠٣).

(٣) في «ش»: «يريده».

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾.

[٢٦١] ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي: مثلُ نفقاتِ المنفقين في الجهادِ، أو جميعِ أبوابِ الخير.

﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ ﴾ أي: نفقاتُهم تشبهُ حبةً.

﴿ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ، وقالونُ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ: (أَنْبَتَتْ سَبْعَ) وشبهَه حيثُ وقعَ بإظهار التاءِ عندَ السين، والباقون: بالإدغام[١]، المعنى: يتشعَّبُ من أصلِها سبعُ شعبٍ، في كل شعبةٍ سنبلةٌ.

﴿ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ ﴾ يزيدُ الثوابَ. قرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ: (يُضَعِّفُ) بتشديد العين بغير ألف[٢].

﴿ لِمَن يَشَآءُ ﴾ من المنفقين إلى ما يشاء.

﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ ﴾ غنيٌّ يعطي من سَعَةٍ.

﴿ عَلِيمٌ ﴾ بنيةِ مَنْ ينفقُ.

* * *

---

(١) انظر: «المحتسب» لابن جني (١/ ١٣٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٨٢)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ١٥٩)، «إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/ ٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٠٤).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير القرطبي» (٣/ ٣٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٠٤).

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ﴾.

[٢٦٢] ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ نزلتْ في عثمانَ بنِ عفانَ، وعبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ - رضي الله عنهما - حين أنفقا أموالَهما في طاعةِ الله(١).

﴿ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى ﴾ لا يَمُنُّ على المنفَقِ عليه، ولا يُعَيِّرُهُ.

﴿ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ ﴾ أي: ثوابُهم.

﴿ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ فلهم الأَمْنُ مع الفرحِ(٢).

* * *

﴿ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ ﴾.

[٢٦٣] ﴿ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾ ردٌّ جميلٌ.

﴿ وَمَغْفِرَةٌ ﴾ أن تسترَ عليه.

﴿ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ﴾ مَنٌّ وتعييرٌ.

﴿ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ ﴾ عن صدقةِ من يَمُنُّ.

﴿ حَلِيمٌ ﴾ عن معاجلتِه بالعقوبة.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٢٨٣)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/ ٦٢١).

(٢) في «ظ» و«ن»: «الفرج».

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾ .

[٢٦٤] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم ﴾ أي : أُجورَها .

﴿ بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ ﴾ أي : كإبطال الذي ينفقُ .

﴿ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ ليقال : كريم . قرأ أبو جعفرٍ : (رِيَا النَّاسِ) بغير همز .

﴿ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ ﴾ يريدُ أنَّ النفقةَ مع الرياء لا تكونُ فعلَ المؤمن ، وهذا للمنافق[١] .

﴿ فَمَثَلُهُۥ ﴾ أي : مثلُ نفقةِ المرائي بها .

﴿ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ ﴾ حجرٍ أملسَ .

﴿ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ ﴾ مطرٌ شديدٌ .

﴿ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ ﴾ نَقِياً من التراب الذي كان عليه . المعنى : مثلُ المانِّ والمنافِقِ في[٢] صدقاتِهما يومَ القيامةِ كحجرٍ عليهِ ترابٌ أزالَه عنهُ المطرُ .

﴿ لَّا يَقۡدِرُونَ ﴾ أي : المراؤون .

﴿ عَلَىٰ شَيۡءٖۗ ﴾ أي : على ثوابِ شيءٍ .

---

(١) في «ش» : «المنافقين» .

(٢) «في» ساقطة من «ش» .

﴿مِمَّا كَسَبُوا۟﴾ عملوا في الدنيا.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ إلى الخير.

عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ»، قالوا: يا رسولَ الله! وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرِّيَاءُ يَقُولُ اللهُ لَهُمْ يَوْمَ يُجَازِي الْعِبَادَ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاؤُونَ فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟!»(١).

* * *

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾.

[٢٦٥] ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ أي: طلب رضوانِ الله.

﴿وَتَثْبِيتًا﴾ أي: تصديقاً.

﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: يُخرجون الزكاةَ طَيِّبَةً بها نفوسُهم على يَقينٍ بالثوابِ وتصديقٍ بوعدِ الله، يعلمون أنَّ ما أخرجوا خير لهم مما تركوا. والمعنى: مثلُ نفقةِ هؤلاء ونموِّها عندَ الله.

﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ أي: بستان.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/٤٢٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٣١)، عن محمود بن لبيد ـ رضي الله عنه ـ. ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٣٠١)، عن محمود بن لبيد، عن رافع بن خديج ـ رضي الله عنهما ـ.

﴿ بِرَبْوَةٍ ﴾ هي المرتَفِعُ المستوي من الأرض، لا يعلوه الماء، ولا يعلو عن الماء، فيكون نبتُه حسناً. قرأ ابنُ عامرٍ، وعاصمٌ: بفتح الراء، والباقون: بالضم[1].

﴿ أَصَابَهَا وَابِلٌ ﴾ مطرٌ شديدٌ كثير.

﴿ فَـَٔاتَتْ ﴾ أعطَتْ.

﴿ أُكُلَهَا ﴾ جَناها. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: (أُكْلَهَا) بجزم الكاف، والباقون: بالضم[2].

﴿ ضِعْفَيْنِ ﴾ أي: حملَتْ في سنة ما يحملُ غيرها في سنتينِ.

﴿ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾ هو المطرُ الخفيفُ الدائمُ. المعنى: إن هذه الجنةَ تَريعُ، قلَّ المطرُ أو كَثُرَ، كذلك صدقةُ المؤمنِ المخلصِ تنفعُه، قَلَّتْ أو جَلَّتْ.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٢)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣١٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٨٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٢)، و«معجم القراءات لقرآنية» (١/ ٢٠٦).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٢)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣١٣ـ٣١٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٠٧).

﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ تحذيرٌ عن الرياء.

ويتصلُ بقولِه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ ﴾ قولُه تعالى:

* * *

﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَابٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ (٢٦٦) ﴾.

[٢٦٦] ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ ﴾ جمعُ نخلٍ.

﴿ وَأَعۡنَابٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا ﴾ رزقٌ.

﴿ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ وخُصَّ النخيلُ والأعنابُ بالذِّكرِ تفضيلاً لهما.

﴿ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ﴾ أي: أولادٌ.

﴿ ضُعَفَآءُ ﴾ صغارٌ.

﴿ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ ﴾ ريحٌ عاصفٌ ترتفعُ إلى(١) السماء كالعمودِ.

﴿ فِيهِ نَارٞ ﴾ المعنى: أيحبُّ أحدُكم أن يملكَ جنةً في غايةِ الجَوْدَةِ يدَّخِرُها لفاقَتِه، فأَحْوَجَ ما كانَ إليها(٢) أصابَتْها نار.

﴿ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ ﴾ فبقيَ مُتحيراً مُحتاجاً، لا يجدُ ما يعودُ به عليه، كذلك

---

(١) «إلى» ساقطة من «ش».

(٢) «إليها» ساقطة من «ش».

المرائي بعمله، أحوجَ ما يكونُ إليه لا ينفعُه. تلخيصُه: من عملَ لغيرِ الله، ندمَ حينَ لا ينفعُ[1] الندم.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كهذا البيانِ الذي بُيِّنَ فيما تقدَّمَ.

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي: الدلالاتِ التي تحتاجون إليها.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ فتعتبرون.

* * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾.

[٢٦٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ﴾ حلالاتِ.

﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾ بالتجارةِ والصنعةِ.

قال ﷺ: «إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَإِنَّ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ»[2]، واستدلَّ الإمامُ أحمدُ ـ رضي الله عنه ـ بهذا الحديث، وبقوله ﷺ: «أَنْتَ وَمَالُكَ لأَبِيكَ»[3] على أن للرجلِ أن يأخذَ من مالِ ولدِه ما شاءَ، ويتملَّكَهُ،

---

(١) في «ت»: «لا ينفعه».

(٢) رواه النسائي (٤٤٥٢)، كتاب: البيوع، باب: الحث على الكسب، وابن ماجه (٢١٣٧)، كتاب: التجارات، باب: الحث على المكاسب، والإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٣١)، وغيرهم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٣) رواه أبو داود (٣٥٣٠)، كتاب: الإجارة، باب: في الرجل يأكل من مال ولده، وابن ماجه (٢٢٩٢)، كتاب: التجارات، باب: ما للرجل من مال ولده، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٧٩)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ.

مع حاجتِه وعدِمها، في صغرِ الولدِ وكبرِه، بشرطِ ألاَّ تتعلق حاجةُ الابنِ به، وألا يعطيَه لولدٍ آخر، وهو من مفردَاتِ مذهبِه التي خالفَ فيها الثلاثةَ.

﴿ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ من الحبوبِ والثمرِ.

﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ﴾ تقصِدُوا. قرأ البزيُّ عن ابنِ كثيرٍ: بتشديد التاء في الوصل[1].

﴿ ٱلْخَبِيثَ ﴾ الرديء.

﴿ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ ﴾ يعني: الخبيثَ.

﴿ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ﴾ أي: تتسامحوا في أخذِه، وأصلُ الإغماضِ: غَضُّ البصرِ. المعنى: إنكم لا تأخذونَه إلا في حالِ الإغماض.

﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ ﴾ عن صدقاتِكم.

﴿ حَمِيدٌ ﴾ محمودٌ في أفعاله.

* * *

﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾.

[٢٦٨] ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ﴾ يُخَوِّفُكم.

﴿ ٱلْفَقْرَ ﴾ بأن يقولَ: إنْ تصدَّقْتُم، افتقرتُم، والفقرُ: شرُّ الحالِ، وقِلَّةُ ذاتِ اليد.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣١٤ـ٣١٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٩١)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٠٨).

﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ بالبخلِ ومنعِ الزكاة، وكلُّ فحشاءَ في القرآنِ فهو الزنا إلا هذا.

﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ لذنوبِكم.

﴿وَفَضْلًا﴾ خلَفاً مما أنفقتُم.

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ غنيٌّ.

﴿عَلِيمٌ﴾ بما ينفق.

***

﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾.

[٢٦٩] ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ﴾ أي: العلمَ النافعَ، وقيلَ غيرُه.

﴿مَن يَشَآءُ﴾ وأصلُ الحكمة: المنعُ، ثم استعمِلَتْ للمنع مع إصلاحٍ.

﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ قرأ يعقوبُ: (وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ) بكسرِ التاء[1]؛ أي: من يؤتِه اللهُ الحكمةَ، وإذا وقفَ، أثبتَ الياء. تلخيصُه: من أعطى ما يُدخلُه الجنةَ ﴿فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ يتَّعظ.

---

(١) انظر: «المحتسب» لابن جني (١/ ١٤٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٩٣)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ١٦٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢١٠).

﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ذوو العقول.

***

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾.

[٢٧٠] ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ في طاعةٍ أو معصيةٍ.

﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ أَوْجَبْتُموه على أنفسكم، والنذرُ: هوُ إلزامُ مكلَّفٍ مختارٍ نفسَه للهِ تعالى شيئاً بقولٍ غيرِ لازمٍ بأصلِ الشرعِ، فإذا نذرَ في طاعة، انعقدَ ولزمَه فعلُه بالاتفاق، وإذا نذرَ في معصيةٍ، لم يَجُزِ الوفاءُ به بالاتفاق، ويلزمُه عند أحمدَ كفارةُ يمينٍ؛ خلافاً للثلاثةِ.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ يحفظُه، فيَجْزيكم به.

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ الواضعينَ الصدقةَ في غير محلِّها.

﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾ أعوانٍ يدفعونَ عذابَ الله عنهم.

***

﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾.

[٢٧١] ﴿إِن تُبْدُواْ﴾ أي: تُظْهروا.

﴿ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ﴾ أي: نعمَ الخصلةُ. قرأ أبو عمرٍو، وقالونُ، وأبو بكرٍ: بكسر النون، واختلاسِ كسرة العين، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: بفتح النون، وكسر العين، وأبو جعفرٍ، بكسر النون،

وسكون العين، وتخفيف الميم، والباقون: بكسر النون والعين، وكلها لغاتٌ صحيحة[١].

﴿وَإِن تُخْفُوهَا﴾ تستُروها.

﴿وَتُؤْتُوهَا﴾ أي: تعطوها.

﴿ٱلْفُقَرَآءَ﴾ سِرّاً.

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وأفضلُ، في الحديث: «صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِىءُ غَضَبَ الرَّبِّ»[٢] قيل: هذا في صدقة[٣] التطوع، وأما الزكاةُ، فإظهارُها أفضلُ؛ ليقتدَى به.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٩٠)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٦ـ١٤٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٢)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣١٦)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٥ـ٢٣٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢١٠ـ٢١١).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٤٢١)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٠٢)، عن معاوية ـ رضي الله عنه ـ. ورواه الحاكم في «المستدرك» (٦٤١٨)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٩٩)، عن جعفر بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ. وروى الترمذي (٦٦٤)، كتاب: الزكاة، باب: ما جاء في فضل الصدقة، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ بلفظ: «إن الصدقة لتطفىء غضب الرب، وتدفع ميتة السوء» وقال: حسن غريب. وفي الباب: عن أبي سعيد الخدري، وأبي أمامة ـ رضي الله عنهما ـ. وأسانيدها ضعاف، انظر: «التلخيص الحبير» لابن حجر (٣/ ١١٤).

(٣) في «ت»: «الصدقة».

﴿وَيُكَفِّرُ﴾ يخففْ.

﴿عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ يعني: الصغائرَ من الذنوب. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ، وأبو بكرٍ: بالنون، ورفعِ الراء؛ أي: ونحنُ نكفرُ، وابنُ عامرٍ، وحفصٌ: بالياءِ والرفع؛ أي: ويكفرُ الله، ونافعٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وأبو جعفرٍ: بالنون وجزم الراءِ نسقاً على الفاء التي في قوله: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾؛ لأن موضعها جزمٌ بالجزاء[1].

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ترغيبٌ في الإسرار.

قال سعيدُ بنُ جُبيرٍ: كانوا يتصدَّقونَ على فقراءِ أهلِ الذمَّةِ، فلما كثرَ فقراءُ المسلمينَ، قالَ رسولُ الله ﷺ: «لا تتصدقوا إلاَّ عَلَى أَهْلِ دينِكُم» فنزلَ قولُه تعالى[2]:

***

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٩١)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٧ـ١٤٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٢)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣١٦ـ٣١٧)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٩٤)، و«تفسير القرطبي» (٣/ ٣٣٥ـ٣٣٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٦)، و«تفسير الرازي» (٢/ ٣٥٢)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٣٢٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢١٢ـ٢١٣).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٢٩٥)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/ ٦٣١)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٨٧).

﴿ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ ﴾.

[٢٧٢] ﴿ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ ﴾ أي: لا يلزمُك.

﴿ هُدَىٰهُمْ ﴾ هُدى التوفيق، وعليك هُدى البيان، فلا تمنعْهُمُ الصدقةَ لِيُسْلِموا.

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ ﴾ فأعطَوْهم بعدَ نزول الآية.

﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ ﴾ أي: مالٍ.

﴿ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ ﴾ ثوابُه لا لغيركم.

﴿ وَمَا تُنفِقُونَ ﴾ (ما) بمعنى النهي؛ أي: لا تنفقوا.

﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ ﴾ في أهل الذمة، (ما) هذه شرط كالأول، ولذلك حذف النون منها.

﴿ يُوَفَّ ﴾ أي: يؤدَّ.

﴿ إِلَيْكُمْ ﴾ ثوابُه.

﴿ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ تُنقَصون من ثواب أعمالكم شيئاً، هذا في صدقة التطوّع توضع في المسلمين وأهلِ الذمّة بالاتفاقِ، أما المفروضةُ فلا توضَعُ إلا في المسلمينَ في الأصنافِ الثمانيةِ، وجوَّزَ أبو حنيفةَ وحدَه وضعَ صدقةِ الفطرِ في أهل الذمَّةِ.

* * *

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾.

[٢٧٣] ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ﴾ أي: صدقاتُكم للفقراءِ.

﴿ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ ﴾ أي: حَبسوا نفوسَهم عن التصرُّف للتعبُّد.

﴿ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ وهم أهل الصُّفَّةِ كانوا زهاءَ أربعِ مئةٍ يسكنونَ المسجدَ، يَرْضَخون النوى نهاراً؛ أي: يكسرونَه ويأخذونَ عليه الأجرةَ، ويصرفونَها في النفقة، ويقرؤون القرآنَ ليلاً، يخرجون في كلِّ سَرِيَّةٍ يبعثُها النبي ﷺ.

﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا ﴾ سيراً.

﴿ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ لكثرةِ أعدائِهم من كثرةِ ما جاهدوا.

﴿ يَحْسَبُهُمُ ﴾ قرأ أبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، وعاصمٌ، وحمزةُ: بفتح السين، والباقون: بالكسر(١).

﴿ ٱلْجَاهِلُ ﴾ بحالهم.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣١٧-٣١٨)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢١٤).

﴿ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴾ عن السؤالِ وقناعتِهم، والعِفَّةُ: هي حصولُ حالةٍ للنفس تمتنعُ بها عن غلبةِ الشهوةِ.

﴿ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ ﴾ بعلامتهم التواضُعِ.

﴿ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ ﴾ أي: إلحاحاً.

﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ وعليه مُجازٍ.

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾.

[٢٧٤] ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ ﴾ نزلَتْ في عليٍّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ، كانت عندَه أربعةُ دراهمَ لا يملكُ غيرَها، فتصدَّقَ بدرهم ليلاً، وبدرهمٍ نهاراً، وبدرهمٍ سراً، وبدرهمٍ علانيةً(١).

﴿ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ تلخيصُه: من أنفقَ للهِ يُثَبْ مع الأمنِ والفرحِ.

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٤٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٩٨)، و«العجاب» لابن حجر (١/ ٦٣٤).

وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾.

[٢٧٥] ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ أي: يعامِلُون به، وخُصَّ بالأكل؛ لأنه معظمُ المقصود، والربا لغةً: الزيادةُ. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (الرِّبَا) بالإمالةِ حيثُ وقع(١).

﴿لَا يَقُومُونَ﴾ من قبورِهم.

﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ﴾ أي: إلا قياماً مثلَ قيامِ.

﴿ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ﴾ أي: يضربُهُ ويصرعُهُ.

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ والخبطُ: الضربُ على غيرِ استواء.

﴿مِنَ ٱلْمَسِّۚ﴾ أي: الجنون. ومعناه: أن آكلَ الربا يُبْعَثُ يومَ القيامةِ وهو كمثلِ المصروعِ.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: العذابُ النازلُ بهم.

﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ﴾ أي: بسببِ قولِهم:

﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ﴾ لأنه كانَ إذا حَلَّ على رجلٍ مالٌ، يقولُ لغريمه: زِدْني في الأَجَل، وأَزيدُك في الربحِ، فيفعلانِ ذلكَ، ويقولان: سواءٌ علينا الزيادةُ في أولِ البيعِ وعندَ المحلِّ لأجلِ التأخير، فكذَّبهم الله تعالى بقوله:

﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾ هذا تصريحٌ أن القياسَ يبطلُه النصُّ؛ لأنه

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٠)، و«تفسير الرازي» (١/ ٣٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢١٥).

جعلَ الدليلَ على بطلانِ قياسِهم تحليلَ الله وتحريمَه.

﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ﴾ أي: بَلَغَهُ موعظةُ تذكيرٍ وتخويفٍ.

﴿مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ﴾ عن أكلِ الربا.

﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ أي: مضى من ذنبه قبلَ النهي مَعْفُوٌّ عنه.

﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ فيما يأمره وينهاه، وليس له شيء من أمر نفسه.

﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إلى الربا بعدَ النهي.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ عن جابر قالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ، وَقَالَ: هُمْ سَوَاءٌ»[(١)]، وقد اتفقَ الأئمةُ على تحريم الربا، وجوازِ البيع؛ لنصِّ الكتابِ والسنةِ فيهما، والبيعُ مصدرُ بعتُ، يقال: باعَ يبيعُ بمعنى: ملكَ، واشتقاقُهُ من الباع؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ من المتعاقِدَين يمدُّ باعَه للأخذِ والعطاء، ومعناهُ لغةً: إعطاءُ شيءٍ، وأخذُ شيء، وشَرْعاً: مبادَلَةُ المالِ بالمالِ لغرضِ التملُّكِ، ويصحُّ بالإيجابِ والقَبُول بالاتفاق، فيقولُ البائعُ: بعتُكَ، أو مَلَّكْتُكَ، ويقولُ المشتري: ابْتَعْتُ، أو قَبِلْتُ ونحوهما، واختلفوا في المعاطاة مثلَ أن يقول: أَعْطِني بهذا الدينار خُبْزاً[(٢)]، فيعطيه ما يُرضيه، أو يقولُ البائعُ: خذْ هذا بدرهم، فيأخذهُ، فقال الشافعيُّ: لا يصحُّ، وقال الثلاثة: يصحُّ؛ لأنه يدلُّ على الرضا المقصودِ من الإيجابِ والقبول.

***

---

(١) رواه مسلم (١٥٩٨)، كتاب: المساقاة، باب: لعن آكل الربا ومؤكله، عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) «خبزاً» ساقطة من «ش».

﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ ﴾.

[٢٧٦] ﴿ يَمْحَقُ ﴾ أي: ينقصُ.

﴿ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾ ويُذْهِبُ بَرَكَته.

﴿ وَيُرْبِى ﴾ أي: يزيدُ.

﴿ ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ ويُبارِكُ فيها. في الحديثِ: «ما نَقَصَتْ زَكَاةٌ مِنْ مَالٍ قَطُّ»[١].

﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ ﴾ بتحريمِ الربا.

﴿ أَثِيمٍ ﴾ مُصِرٍّ على الإثمِ[٢]، فاجرٍ بأكلِه.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ ﴾.

[٢٧٧] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ من آتٍ.

﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ على فائتٍ.

* * *

ونزلَ في المنعِ من المطالبةِ ببقايا الربا قولُه تعالى:

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨٨)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: استحباب العفو والتواضع، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بلفظ: «ما نقصت صدقة من مال».

(٢) في «ن»: «الربا».

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ ﴾.

[٢٧٨] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ أي كاملي الإيمان.

* * *

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾.

[٢٧٩] ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ ﴾ تذروا ما بقيَ من الربا.

﴿ فَأْذَنُواْ ﴾. قرأ حمزةُ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (فَآذِنُوا) بالمدِّ على وزنِ آمِنوا؛ أي: فأَعْلِموا غيرَكم أنكم حربُ اللهِ ورسولِه، وقرأ الباقون: مقصوراً بفتح الذال؛ أي: فاعلموا أنتم وأيقنوا[١].

﴿ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ عن ابن عباس: «يُقَالُ لِآكِلِ الرِّبَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: خُذْ سِلاَحَكَ لِلْحَرْبِ»[٢]، وَحَرْبُ اللهِ النَّارُ، وَحَرْبُ رَسُولِهِ السَّيْفُ.

﴿ وَإِن تُبْتُمْ ﴾ عن الربا.

﴿ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ ﴾ التي أَرْبَيْتُمْ بها.

﴿ لَا تَظْلِمُونَ ﴾ بطلبِ الزيادة.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٢)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣١٨)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٠٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢١٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٠٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٥٠).

﴿ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ بأن تنقصوا عن رأسِ المالِ، وهذا خبرٌ بمعنى النهي.

فلمّا نزلت هذه الآية، قال المُرْبونَ: لا طاقةَ لنا بحربِ اللهِ ورسولِه، ورَضُوا برأسِ المال، فشكا بنو المغيرةِ العسرةَ، وقالوا: أَخِّرونا إلى أن تدركَ الغلالُ، فأَبَوا، فأنزل الله[1]:

* * *

﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾.

[٢٨٠] ﴿ وَإِن كَانَ ﴾ أي: الذي عليه الدينُ.

﴿ ذُو عُسْرَةٍ ﴾ يعني: معسراً، والعسرُ: ضدُّ اليُسر. قرأ أبو جعفرٍ: بضم السين، والباقون: بالجزم[2].

﴿ فَنَظِرَةٌ ﴾ أي: إمهال.

﴿ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ إلى وقتِ يُسْرٍ. قرأ نافعٌ: بضم السين، والباقون: بالفتح[3].

﴿ وَأَن تَصَدَّقُوا ﴾ بتركِ رؤوسِ الأموالِ، أو بعضِها للمعسرِ.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٤٩).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٣٠٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢١٨).

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٩٥)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣١٩)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٠٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢١٩).

﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أنه خيرٌ لكم، فتعملون به، فجعلَ من علمَ ولم يعملْ كمن لم يعلمْ. قرأ عاصمٌ: (تَصَدَّقُوا) بتخفيفِ الصاد، والباقون: بتشديدها[1]، قال ﷺ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً، أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَنْجَاهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[2]، فإذا أقامَ المفلسُ البيِّنَةَ بإعسارِه، فقال أبو حنيفة: لا يحولُ القاضي بينَهُ وبينَ غُرمائه بعدَ خروجه من الحبس، ويلازمونه، ولا يمنعونه من التصرُّفِ والسفر، ويأخذونَ فضلَ كسبه بينهم بالحِصَص، وقال صاحباه: إذا فَلَّسَهُ القاضي، حالَ بينَهُ وبينَ الغرماء، وهذا بناءً على صحةِ القضاءِ بالإفلاس[3]، فيصحُّ عندَهما؛ خلافاً لأبي حنيفة؛ لأن الإفلاسَ عندَه لا يتحقَّقُ، وقال الأئمةُ الثلاثةُ كقولِ الصاحبين، ولا تُقبل بينةُ الإعسار عندَ أبي حنيفة إلا بعدَ الحبس، وعند الثلاثة: تُقبل قبلَه.

***

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾.

[٢٨١] ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ قرأ أبو عمرٍو، ويعقوبُ:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣١٩)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٠٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٢٠).

(٢) رواه مسلم (١٥٦٣)، كتاب: المساقاة، باب: فضل إنظار المعسر، عن أبي قتادة ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) في «ش»: «بالفلاس».

(تَرْجِعُونَ) بفتح التاء؛ أي: تَصيرون إلى الله، وقرأ الباقونَ بالضم وفتحِ الجيم؛ أي: تُرَدُّون إلى الله[1].

﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقصِ ثوابٍ، وتضعيفِ عقاب. قال ابنُ عباس: «هَذِهِ آخرُ آيةٍ نزلَتْ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ»[2]، فَقَالَ جِبْرِيلُ: ضَعْهَا عَلَى رَأْسِ مِئَتَيْنِ وَثَمانِينَ آيةً مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ[3]، وعاشَ بعدَها رسولُ الله ﷺ أحداً وعشرين يوماً، وماتَ يوم الإثنين لاثنتي عَشْرَةَ ليلةً خَلَتْ من ربيعِ الأولِ حينَ زاغتِ الشمسُ سنةَ إحدى عَشْرَةَ من الهجرة، وله ثلاثٌ وستون سنةً.

***

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣١٩-٣٢٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٠٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٢٠).

(٢) رواه البخاري (٤٢٧٠)، كتاب: التفسير، باب: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٣٠٦).

إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ
كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْۖ
إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا
تَكْتُبُوهَاۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌۚ وَإِن تَفْعَلُواْ
فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمْۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾.

[٢٨٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم﴾ تعاملْتُم.

﴿بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ مدةٍ معلومةٍ، قال ابنُ عبَّاسٍ: «لَمَّا حَرَّمَ اللهُ الرِّبَا، أَبَاحَ السَّلَمَ، وقالَ: أَشْهَدُ أَنَّ السَّلَفَ المضمونَ إلى أجلٍ مسمًّى قد أحلَّه اللهُ في كتابِهِ وأذِنَ فيه»[1]، واختلفَ الأئمةُ في السلم على حكم الحلول، فقال الشافعي: يصحُّ، وقالَ الثلاثةُ: لا يصحُّ إلا مؤجَّلاً، فعندَ أبي حنيفةَ وأحمدَ يكونُ الأجلُ له وقعٌ في الثمن؛ كالشهرِ ونحوِهِ، وعندَ مالكٍ إلى مدَّةٍ تختلفُ فيها الأسواقُ عُرْفاً؛ كخمسةَ عَشَرَ يوماً.

﴿فَٱكْتُبُوهُۚ﴾ دَيْناً كانَ أو قَرْضاً، وهذا أمرُ استِحْباب عندَ الأكثر.

﴿وَلْيَكْتُب﴾ كاتبُ الدَّينِ.

﴿بَّيْنَكُمْ﴾ أي: بينَ الخصمَيْن.

﴿كَاتِبُۢ بِٱلْعَدْلِۚ﴾ أي: بالحقِّ.

---

(١) رواه الإمام الشافعي في «مسنده» (ص: ١٣٨)، وعبد الرزاق في «المصنف» (١٤٠٦٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣١٣٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٨/٦).

﴿ وَلَا يَأْبَ﴾ لا يمتنعْ .

﴿ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ هذا نهيٌ عن الامتناع من الكتابة .

﴿ فَلْيَكْتُبْ﴾ تلكَ الكتابةَ .

﴿ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾ بأن يُقرَّ بلسانِه ليعلمَ ما عليه .

﴿ وَلْيَتَّقِ﴾ المُمْلي .

﴿ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ﴾ أي : لا ينقِصْ .

﴿ مِنْهُ﴾ أي : من الحق .

﴿ شَيْـًٔا فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا﴾ أي : جاهلاً بالإملاء .

﴿ أَوْ ضَعِيفًا﴾ عن الإملاء لصغرٍ أو كبرٍ .

﴿ أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ لخرسٍ أو عُجْمة ونحوِ ذلك، المعنى : إذا عجزَ مَنْ عليه الحقُّ عن الإملاءِ. قرأ أبو جعفرٍ : (أَنْ يُمِلَّ هْوَ) بسكون الهاء[1] .

﴿ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ﴾ أي : قَيِّمُهُ أو ترْجُمانُه .

﴿ بِٱلْعَدْلِ ﴾ بالصدقِ، والحقّ، وقيل : وليُّه : صاحبُ الحقِّ؛ لأنه أعلمُ[2] بحقِّهِ .

﴿ وَٱسْتَشْهِدُوا۟﴾ اطلبوا .

---

(١) انظر : «إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/ ٦٩)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٣٤٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ١٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٢٢).

(٢) «أعلم» ساقطة من «ش».

﴿ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ﴾ الأحرارِ البالغينَ العقلاءِ المسلمينَ يَشْهدان على الدَّينِ، وجَوَّزَ أحمدُ شهادةَ العبدِ حَتَّى في حَدٍّ وقَوَدٍ، وشهادةَ الذمِّيِّ على المسلمِ، والذميِّ في الوصيةِ في السفرِ، وسيأتي في سورة المائدة ـ إن شاء الله تعالى ـ، وجوز أبو حنيفةَ شهادةَ الكفارِ بعضِهم على بعضٍ على اختلافِ مِلَلِهم، وخالفهما مالكٌ والشافعيُّ.

﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا ﴾ أي: الشاهدان.

﴿ رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ ﴾ أي: فليشهدْ رجلٌ.

﴿ وَامْرَأَتَانِ ﴾ وشهادةُ النساءِ مع الرجالِ في الأموالِ جائزةٌ بالاتفاقِ، وعند الثلاثةِ يثبتُ المال بالشاهدِ واليمين؛ خلافاً لأبي حنيفةَ، وعند مالكٍ يثبتُ المالُ بشهادةِ امرأتينِ ويمينِ المدَّعي؛ خلافاً للثلاثة، ومئةُ امرأةٍ عندَه كامرأتين، وتقبلُ شهادة أحدِ الزوجين للآخر عندَ الشافعي؛ خلافاً للثلاثة، وأما في غير الأموال، فتجوز شهادةُ النساءِ مع الرجال في غيرِ العقوبات؛ كالنكاح ونحوه عند أبي حنيفة فقط، وما لا يطَّلعُ عليه الرجالُ غالباً؛ كعيوبِ النساء تحتَ الثياب، والرَّضاع، والاستهلالِ، والبكارةِ، والثيوبة، ونحوِها يثبتُ عند الشافعيِّ بشهادةِ رجلٍ وامرأتين، وشهادةِ أربعِ نسوةٍ، وعند مالكٍ بشهادةِ امرأتين، ويثبت ما عدا الرضاعَ عندَ أبي حنيفة بشهادةِ امرأةٍ واحدةٍ، وأما الرضاعُ، فلا يُقبل فيه شهادةُ النساءِ منفرداتٍ، ويثبتُ الجميعُ حتى الرضاعُ عندَ أحمدَ بشهادةِ امرأةٍ واحدةٍ، ولو كانت هي المرضعةَ، واتفقوا على عدم جواز شهادةِ النساءِ في العقوباتِ.

﴿ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾ أي: من كان مَرْضِياً في ديانته وأمانته.

﴿ أَن تَضِلَّ ﴾ أي: لأن تَضِلَّ، أي: تنسى.

﴿ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ المعنى: إذا نسيت إحداهما، ذَكَّرَتْها الأخرى. **قرأ** عاصمٌ، وابن عامرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وروحٌ عن يعقوبَ (الشُّهَدَاءِ أَنْ) بتحقيقِ الهمزتين، **وقرأ** نافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ، ورُويسٌ عن يعقوبَ: بتحقيقِ الأولى وتسهيلِ الثانية بأن تبدلَ ياءً محضةً، **وقرأ** حمزةُ: (إِنْ) بكسرِ الألف، (فَتُذَكِّرُ) برفع الراءِ مشدداً، ويعقوبُ: (فَتَذْكُرَ) بالتخفيف وفتح الراء، **وقرأ** نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ، وعاصمٌ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (فَتُذَكِّرَ) بفتح الذال والتشديد وفتح الراء، مع اتفاقهم على فتح الألف في: (أَنْ تَضِلَّ) سوى حمزةَ كما تقدَّم[1].

﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ﴾ لتحمُّلِ الشهادة. **قرأ** عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وابنُ عامرٍ، ورَوْحٌ عن يعقوبَ: (الشُّهَدَاءُ إِذَا) بتحقيق الهمزتين، والباقون: بالتسهيل، وهو إبدال الثانية واواً خالصة مكسورة[2]، فتحمُّلُ الشهادةِ فرضُ كفايةٍ، وأداؤها إذا تعينت فرضُ عينٍ، ولا يحلُّ أخذُ أجرةٍ عليها بالاتفاق.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٤)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٢٠ـ٣٢١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٠ـ١٧١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٠٩ـ٣١٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٢٢ـ٢٢٤). وضبط في «معجم القراءات» قراءة يعقوب: فَتُذْكِرَ، بضم التاء.

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٢٤).

فعند أبي حنيفة إذا طلبَه المدَّعي، وكان قريباً من القاضي، لزمه المشيُ إليه، وإن كان بعيداً أكثرَ من نصفِ يوم لا يأثمُ بتخلُّفه؛ لأنه يلحقُه الضررُ، وإن كان الشاهدُ يقدر على المشي، فأركبه المدَّعي من عنده، لا تُقبل شهادتُه؛ وإن كان لا يقدر، فأركبه، لا بأس به.

وعند مالكٍ يلزمُه الأداء من نحوِ البريدين، وإن كانا اثنين، ولا تحلُّ إحالتهُ على اليمين، وإن لم يجتزِ الحاكمُ باثنين، فعلى الثالث، ولا يلزمُ مِنْ أبعدَ، ولا يجوز أن ينتفع منه فيما يلزمه إلا في ركوبٍ إن لم يكن له دابةٌ، وعسرَ مشيُه، ويجوزُ فيما لا يلزمُه(١) أن يقامَ بما يتكلفه من دابةٍ ونفقةٍ، عجزَ أو لم يعجز.

وعند الشافعيِّ إن كان القاضي معه في البلد، لزمه المشيُ إليه، وإن كان يأتيه من مسافة العَدْوى فما فوقها، فله طلبُ نفقةِ المركوب.

قال البغويُّ من أصحابه: وكذا نفقةُ الطريق.

وعند أحمدَ إذا دُعي إليها وقدرَ بلا ضررٍ يلحقُه، لزمَهُ الأداءُ، فعليه أن يقومَ بها على القريب والبعيد، و(٢)لا يسعهُ التخلفُ عن إقامتها، ويحرمُ أخذُ أُجرة وجُعْلٍ عليها مطلَقاً، ولكن إن عجزَ عن المشي، وتأذَّى به، فله أَخذُ أجرةِ مركوبٍ(٣).

وتشترطُ عدالةُ الشاهدِ(٤) عندَ الثلاثة.

---

(١) في «ش»: «ويجوز فيما يلزمه».

(٢) الواو زيادة من «ت».

(٣) في «ت»: «مركب».

(٤) في «ن»: «العدالة للشاهدين».

وقال أبو حنيفة: يقتصرُ في المسلم على ظاهرِ عدالتِه إلا في الحدودِ والقصاص، فإن طعنَ الخصمُ فيه، سأل عنه.

وقال صاحباه: يُسْأَلُ عنهم في جميع الحقوق سِرَاً وعلانيةً، وعليه الفتوى.

﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ﴾ أي: تملُّوا.

﴿أَن تَكْتُبُوهُ﴾ أي: الحقَّ.

﴿صَغِيرًا﴾ كانَ الحقُّ.

﴿أَوْ كَبِيرًا﴾ قليلاً كانَ أو كثيراً.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾ المعلومِ.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الكتابُ.

﴿أَقْسَطُ﴾ أعدلُ.

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ لأنه أمرَ بهِ.

﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: أَعْوَنُ؛ لأن الكتابةَ تُذَكِّرُ الشهودَ.

﴿وَأَدْنَىٰٓ﴾ أقربُ.

﴿أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾ تشُكُّوا في الشهادةِ.

﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً﴾ **قرأ عاصمٌ**: بالنصب فيهما على خبر كان؛ أي: إلا أن تكونَ التجارةُ تجارةً.

وقرأ الباقون: بالرفع، وله وجهان: أحدهما: أن يُجْعَلَ الكونُ بمعنى الوقوع، معناه: ألاَّ تقعَ تجارةٌ، والثاني: أن يُجعلَ الاسمُ في التجارة،

والخبرُ في الفعل[1]، وهو قوله:

﴿ حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا ﴾ المعنى: إلا أن تكونَ التجارةُ حاضرةً حاضرةً يداً بيدٍ تُديرونها.

﴿ بَيْنَكُمْ ﴾ ليسَ فيها أَجَلٌ.

﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ﴾ يعني: التجارةَ.

﴿ وَأَشْهِدُوٓاْ ﴾ على التبايُع.

﴿ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ فإنَّه أدفعُ للاختلاف، وهذا أمرُ ندبٍ عندَ الأكثر.

﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ نهيٌ عن مُضارَّةِ الكاتبِ[2] والشَّهيدِ، المعنى: إذا كانا مشغولينِ ويوجَدُ غيرُهما، فلا يُضارَّانِ بإبطالِ شُغْلِهما. قرأ أبو جعفرٍ (يُضَارْ) بإسكان الراء، والباقون: بالنصبِ والتشديد[3].

﴿ وَإِن تَفْعَلُواْ ﴾ الضِّرارَ.

﴿ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ ﴾ أي: معصيةٌ.

﴿ بِكُمْ ﴾ وخروجٌ عن الأمرِ.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٠٠)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٢١-٣٢٢)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣١٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٢٥).

(٢) في «ت»: «الكتاب».

(٣) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٣٥٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٢٥).

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ المعنى: اجتنبوا معصيةَ الله يُعرِّفْكُمْ طُرَقَ فلاحِكُم. تلخيصُه: من راقبَ اللهَ، أرشدَه.

﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ كرَّرَ لفظَ الله في الجمل الثلاث لاستقلالها؛ فإن الأولى حَثٌّ على التقوى، والثانيةَ وَعْدٌ بإنعامِه، والثالثةَ تعظيمٌ لشأنه.

***

﴿ ۞ وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٢٨٣﴾ ﴾.

[٢٨٣] ﴿ ۞ وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ ﴾ مسافِرين.

﴿ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ ﴾ أي: فالتوثُّقُ رُهُنٌ.

﴿ مَّقۡبُوضَةٞۖ ﴾ مسلَّمَةٌ إلى المرتهن، ولا بدَّ من القبضِ، فلا يتمُّ الرهْنُ بدونه، بالاتفاق، واستدامةُ القبضِ شرطٌ للُّزُومِ عند مالكٍ وأحمدَ، فمتى خرجَ عن يدِ المرتهنِ باختياره، زالَ لزومه، وبطلَ الرهنُ، وعندَ أبي حنيفةَ والشافعيِّ إذا أعادَهُ المرتهنُ مع بقاءِ الرهنِ، فلزومُه باقٍ، والرهنُ صحيحٌ، ونقلَ الزمخشري في «كشَّافه» عن مالكٍ: أنه يصحُّ عندَه الارتهانُ بالإيجاب والقَبول بدونِ القبضِ[1]، وهو وهم. قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو: (فَرُهُنٌ) بضم الراء والهاء من غير ألف، والباقون: (فَرِهانٌ) بكسرِ الراءِ وفتحِ الهاءِ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣١١)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٢٧).

وألفٍ بعدَها، وهو جمعُ رَهْنٍ؛ كبَغْلٍ وبِغالٍ[(١)].

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي: وَثِقَ إليه لأمانتِهِ.

﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ أي: فليقضِ المديونُ ما عليهِ من الدَّينِ، وسُمِّيَ أمانةً؛ لتعلُّقه بالذمَّة؛ كتعلُّقِ الأمانةِ.

﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ في أداءِ الحقِّ، ثم التفتَ مخاطباً للشهود فقال:

﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ﴾ إذا دُعيتم إلى إقامتِها، ثم تهدَّدَهم فقال:

﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ﴾ أي: يأثمُ.

﴿قَلْبُهُۥ﴾ لأنَّ الكتمانَ يُقَرُّ فيهِ، ولأنَّ القلبَ هو رئيسُ الأعضاءِ، والمضغةُ التي إن صلحَتْ صلحَ الجسدُ كلُّه، وإن فسدَتْ، فسدَ الجسدُ كلُّه، فكأنه قيل: قد تمكَّنَ الإثمُ في أصلِ نفسه، ومَلَكَ أشرفَ مكان فيه، والقلبُ هو محلُّ تحمُّلِ الشهادةِ والعقائدِ والنياتِ.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ قال ابن عباس: «أَكْبَرُ الكبائرِ الإشْراكُ باللهِ، وشَهادةُ الزورِ، وكَتْمُ الشَّهادَةِ»[(٢)] والشهادةُ حجَّةٌ شرعيةٌ تُظْهِرُ الحقَّ ولا تُوجِبُهُ، فهيَ الإخبارُ بما عَلِمَهُ بلفظٍ خاصٍّ.

***

﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٠٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٤١).

[٢٨٤] ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ مُلْكاً وخَلْقاً.

﴿وَإِن تُبْدُوا۟﴾ تُعْلِنوا.

﴿مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ تُسِرُّوهُ.

﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ والصحيحُ أنَّ هذهِ الآيةَ عامةٌ، تلخيصُه: أن الله تعالى يحاسب بِكُلِّ عُبيدِهُ.

﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ الذنبَ العظيمَ.

﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ على الذنبِ الحقيرِ، وكلُّ ما يفعلُه عدلٌ -سبحانه-. قرأ أبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، وعاصمٌ، ويعقوبُ: (فَيَغْفِرُ) و(يُعَذِّبُ) برفع الراء والباء على الابتداء؛ أي: فهو يغفرُ ويعذبُ، والباقون: بالجزم عطفاً على جواب الشرط[١]، وأدغمَ الراءَ في اللام أبو عمرٍو، وأظهر الباءَ عندَ الميم بعدَ سكونها ورشٌ، وابنُ كثيرٍ، بخلافٍ عن الثاني، وأدغَمَها الباقون من أصحابِ الإسكان في الميم[٢].

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدِرُ على الإحياءِ والمحاسبة.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٠٤)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٢٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٢٩).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٤)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٣٦١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٣٠).

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾.

[٢٨٥] ﴿ ءَامَنَ ﴾ صدق.

﴿ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾ فهو جازمٌ في أمرِه غيرُ شاكٍّ فيه.

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ﴾ أي: كلُّ واحدٍ منهم.

﴿ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ ولذلكَ وَحَّدَ الفعلَ.

﴿ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ ﴾ لتحقيقِ كمالِ العظمة في خلقِهم وانقيادِهم ودخولِهم في الملك، وتقديمُ الملائكةِ لا إشعارَ[1] فيه بأفضليَّتِهم على الرُّسُلِ بواسطةِ تأخيرِهم ذِكْراً؛ لأن الغرضَ المسوقَ له الكلامُ مدحُ من صَدَّقَ بالغيب، فما كانَ أدخلَ في الغيبِ كانَ تقديمُه أهمَّ، والمدحُ عليه أَتَمَّ، رعايةً للمقام باعتبارِ ما سِيقَ له المقالُ، فتقديمُ ما اشتدَّ فيه الغيبُ حَقُّ السياق، وصرَّحَ بالرسلِ دونَ الأنبياء، مع أن الإيمانَ بالأنبياءِ مستلزمٌ الإيمانَ بالرسل، ولا عكسَ، لأنَّ بالتبليغِ قامتِ الحجَّةُ، واستقامَتِ المحَجَّةُ، وهم المخبرونَ عن المستترِ علمُه بأمر الله لهم، فالتنصيصُ عليهم أنسبُ بالحال.

﴿ وَكُتُبِهِۦ ﴾ لما اشتملَتْ عليه من إرشادِ العبيد إلى معبودهم. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَكِتَابِهِ) بالألف على التوحيد، يعني: القرآن، والباقون: بغير ألف على الجمع؛ لقوله: ﴿ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ ﴾[2].

---

(١) في «ت»: «لا شعار».

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٦)، =

﴿ وَرُسُلِهِۦ ﴾ أي: بما جاءتْ به عن الله، فبانَ أن المصيرَ إليه سبحانَهُ في سائرِ الأشياءِ، وجميعِ الأحوالِ، فالرسولُ والمؤمنونَ يقولون:

﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ فنؤمنُ ببعضٍ ونكفرُ ببعضٍ؛ كاليهودِ والنصارى. قرأ يعقوبُ: (لا يُفرِّقُ) بالياء، فيكونُ خبراً عن الرسول، ومعناه: لا يفرقُ الكُلُّ، وقرأ الباقون: بالنون على المعنى الأول[1].

﴿ وَقَالُواْ سَمِعْنَا ﴾ أَجَبْنا.

﴿ وَأَطَعْنَا ﴾ دَخَلْنا في الطاعة، وهذا تمامُ المدحِ لهم؛ حيث ضَمُّوا إلى الاعتقاد بالجَنان النُّطْقَ باللسان، روُي أنه لما نزلَتْ هذه الآيةُ، قالَ جبريلُ للنبيِّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ قَدْ أَثْنَى عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّتِكَ فَسَلْ تُعْطَهْ، فَقَالَ بِتَلْقِينِ جِبْرِيلَ إِيَّاهُ: غُفْرَانَكَ»[2]؛ أي: اغفر.

= و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ١٧١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٣١).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٣١٥)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ١٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٣٢).

(٢) روى ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٥٣)، عن حكيم بن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: لما أنزلت على رسول الله ﷺ: «آمن الرسول. . .» قال جبريل: «إن الله عز وجل قد أحسن الثناء عليك وعلى أمتك، فسل تعطه، فسأل: «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها». انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان عند تفسير الآية (١٣١) من سورة البقرة، و«روح البيان» للآلوسي عند تفسير الآية (٢٨٤) من السورة، وذكر الآلوسي قول الزمخشري بأنه طعن ـ على عادته ـ في القراءات =

﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجعُ بعدَ الموتِ، وهي عبارةٌ عامةٌ شاملةٌ لمآلِ العبدِ في كلِّ أمرٍ وكلِّ نازلةٍ.

* * *

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾.

[٢٨٦] ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: طاقتَها، والوُسْعُ: خِلافُ الضِّيقِ، وهو ما يسعُ الشيءَ ولا يضيقُ عليه، قال ابنُ عباسٍ: «هُمُ المؤمنونَ خاصَّةً، وَسَّعَ عليهم أَمْرَ دينهم، ولم يُكلِّفْهم إلا ما يستطيعون»(١)، والتكليفُ: إلزامُ الكُلْفَةِ على المخاطَب، فلا يكلَّفُ معدومٌ حالَ عدمِهِ بالاتفاق، ونكَّرَ نَفْساً؛ لأنه أوفى بالشيوع، وأولى بالشُّمول. قرأ أبو عمرٍو: (المَصِير لاَّ يُكَلِّفُ) بإدغام الراء في اللام.

﴿لَهَا﴾ أي: للنفسِ.

﴿مَا كَسَبَتْ﴾ من أعمالِ البرِّ.

﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ من اقترافِ ما يُوقِعُها في الحرجِ، وكان بنو

= السبع إذا لم تكن على قواعد العربية، ومن قواعدهم أن الراء لا تدغم إلا في الراء؛ لما فيها من التكرار الفائت بالإدغام في اللام. ثم قال الألوسي: وقد يجاب بأن القراءات السبع متواترة، والنقل بالمتواتر إثبات علمي، وقول النحاة نفي ظني. وقد أجاب أبو حيان بأن قول الزمخشري الذي ذكره ليس مجمعاً عليه عند النجاة. والله أعلم.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٣١٦).

إسرائيل إذا نَسُوا شيئاً مما أُمروا به، أو أخطؤوا، عُجِّلَتْ لهم العقوبةُ، فأُمر المسلمون بالدُّعاءِ برفعِ ذلكَ عنهم بقولِهم:

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ﴾ تعاقِبْنا.

﴿إِن نَّسِينَآ﴾ غَفَلْنا.

﴿أَوْ أَخْطَأْنَاۚ﴾ جهِلْنا.

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾ ثِقلاً، وأصلُ الإِصْرِ: العَقْدُ والإحكامُ.

﴿كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ﴾ يعني: اليهودَ، فلم يقوموا به، فعذبتَهُمْ.

﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا﴾ تُكَلِّفْنا.

﴿مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ من الأعمالِ الشاقَّة، وهو كلُّ ما نضعُفُ عن حملِهِ.

﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾ بمحوِ ذنوبِنا، فلا يبقى لها أثرٌ.

﴿وَٱغْفِرْ لَنَاۖ﴾ تَفْضَحْنا. قرأ أبو عمرٍو: (وَاغْفِر لَّنا) بإدغام الراء في اللام[1].

﴿وَٱرْحَمْنَاۚ﴾ بإيصالِ فضلِك، واتِّصالِ كرمك، وعن ابنِ عباسٍ: «أنَّ النبيَّ ﷺ لما دَعا بهذِهِ الدَّعَواتِ قِيلَ لَهُ عِنْدَ كُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهَا: قَدْ فَعَلْتُ»[2].

﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ سيدُنا ووليُّنا.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٣٣).

(٢) رواه مسلم (١٢٦)، كتاب: الإيمان، باب: بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق.

﴿ فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ فما النصرُ إلاَّ من عندِكَ؛ لأنك سيدٌ، والسيدُ ينصرُ عبيدَه، وصرَّحَ بوصفهم بالكفر؛ لأنه الحاملُ على المبايَنَةِ، والداعي إلى المقاتَلَة، ولا يخفى ما في طلبِ ذلكَ من إرشادِ المؤمنِ إلى تركِ الكافرِ وموادَّته والإبعادِ عن مصادقتِه، وفي الآية إشعارٌ بأن المعاداةَ في الدين مطلوبةٌ، وأن الهجرانَ في الله ليسَ من التقاطُعِ المذمومِ، بل وردَ في الحديث: عَدُّ البُغْضِ في اللهِ من الإيمانِ.

قال ﷺ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ كِتَاباً قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِأَلفَيْ عَامٍ، فَأَنْزَلَ مِنْهُ آيَتَيْنِ خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ البَقَرَةِ، فَلا تُقْرَأَانِ في دارٍ ثَلاثَ لَيَالٍ فَيَقْرَبَهَا شَيْطَانٌ»(1).

وقال ﷺ: «مَنْ قَرَأَ الآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ في لَيْلَةٍ، كَفَتَاهُ»(2).

وكانَ مُعاذٌ إذا ختمَ البقرةَ يقولُ: آمين(3)، قالَ ابنُ عطيةَ: هذا يُظَنُّ به أنه رواهُ عن النبيِّ ﷺ، وإنْ كانَ ذلكَ، فكمالٌ، وإن كانَ بقياسٍ على سورةِ الحمدِ من حيثُ هناكَ دعاءً، وهنا دعاءٌ، فَحَسَنٌ، والله أعلم(4).

* * *

---

(1) رواه الترمذي (٢٨٨٢)، كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء في آخر سورة البقرة، وقال: حسن غريب، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٨٠٣)، وغيرهما عن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ.

(2) رواه البخاري (٤٧٢٢)، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل سورة البقرة، ومسلم (٨٠٧)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، عن أبي مسعود البدري ـ رضي الله عنه ـ.

(3) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧٩٧٦).

(4) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ٣٩٥).



مدنيةٌ آيها مئتا آيةٍ، وحروفُها أربعةَ عشرَ ألفاً، وخمسُ مئةٍ، وخمسةٌ وعشرون حرفاً، وكَلِمُها ثلاثةُ آلافٍ وأربعُ مئةٍ وثمانون كلمةً، وحكى النقاشُ أنَّ اسمَ هذهِ السورةِ في التوراة: طَيِّبَةٌ[1].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قدمَ وفدُ نجرانَ[2] من النصارى على رسولِ ﷺ، وزعموا أن عيسى ابنُ الله، فكذَّبَهم رسولُ الله ﷺ، فخاصموا جميعاً في أمره، فقطعَ حُجَّتهم بالأدلَّةِ الواضحةِ، فأنزل الله صدرَ سورةِ آل عمران إلى بضعٍ وثمانين آيةً منها[3]، فقال ـ عز وجل ـ:

﴿الٓمٓ ۝١﴾.

[١] ﴿الٓمٓ﴾ تقدَّم تفسيرُه، ومذهبُ أبي جعفرٍ في تقطيعِ الحروف أولَ سورةِ البقرةِ.

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ١٤٠).

(٢) جاء على هامش «ظ»: «نجران» مدينة بالحجاز.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٣٢٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤).

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ .

[٢] ﴿ ٱللَّهُ ﴾ ابتداء .

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ خبرٌ. قرأ أبو جعفرٍ، وأبو بكرٍ، بخلافٍ عن الثاني : بسكون الميم، أَللهُ : بقطع الألف للابتداء على لغةِ من يقطعُ ألفَ الوصل[١]، وإذا قرىء (المالله) بالوصل على مذهب العامة، جاز لكلٍّ من القراء في الياء من (ميم) المدُّ والقصرُ، وفتح الميم وصلاً لالتقاء الساكِنين تخفيفاً[٢] .

﴿ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ نعتٌ له، وتقدَّم تفسيرُهما في آية الكرسي .

* * *

﴿ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ ﴾ .

[٣] ﴿ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ أي : القرآنَ .

﴿ بِٱلۡحَقِّ ﴾ بالصدقِ . قرأ أبو عمرٍو : (الْكِتَاب بِّالْحَقِّ) بإدغام الباء، في الباء واخْتُلِف عن رُويس .

﴿ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ ﴾ لما قبلَه من الكتب .

---

(١) انظر : «تفسير البغوي» (١/ ٣٢٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ١٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤) .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢٠٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص : ١٠٥)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ١٧٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ١٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤) .

﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ الضياءَ والنورَ. قرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وابنُ ذكوانَ: (التَّوْرَاةَ) بالإمالة كيفَ أتتْ في جميع القرآن، بخلافٍ عن قالون[1].

﴿وَٱلْإِنجِيلَ﴾ إفْعيل من النَّجْل: الأصل، فهو أصلُ العلوم والحكم، وإنما قالَ في القرآن: (نزَّلَ) لأنه نزلَ مفصَّلاً، والتنزيلُ للتكثير، وقال في التوراة والإنجيل: (أَنزَلَ)؛ لأنهما أُنزلا جملةً واحدة[2].

***

﴿مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾.

[٤] ﴿مِن قَبْلُ﴾ متعلق بـ«أنزلَ».

﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ أي: هادٍ لمن تبعه، والمرادُ بالناسِ: موسى وعيسى وأتباعُهما.

﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ القرآنَ المفرِّقَ بينَ الحقِّ والباطلِ، وكرَّرَه تفخيماً له.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ من كتبِه المنزلةِ.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ بسببِ كفرهم.

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالبٌ ذَلَّ له كلُّ شيء.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ١٨٣ـ١٨٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٥).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٣٢٠).

﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ عقوبةٍ شديدةٍ.

***

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥﴾.

[٥] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ من الأشياءِ.

﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ عَبَّرَ عن إدراك جميعِ الأشياءِ بذكر الأرضِ والسماء؛ لأنهما محلٌّ لها.

***

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾.

[٦] ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ من الصُّورِ المختلفةِ من الذُّكورةِ والأُنوثة.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ وهذا ردٌّ على وفدِ نجرانَ من النصارى حيثُ قالوا: عيسى ولدُ الله، أو الله؛ لأنَّ من صُوِّرَ في الرحم يمتنعُ أن يكون إلهاً أو ولداً للهِ؛ لكونه مُركَّباً وحالاً في مركَّبٍ، ولتعاقُبِ الفناءِ عليه، قال ﷺ: «يَدْخُلُ المَلَكُ عَلَى النُّطْفَةِ بَعْدَمَا تَسْتَقِرُّ في الرَّحِم بِأَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فيقولُ: يَا رَبِّ! أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَيُكْتَبَانِ، أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيُكْتَبَانِ، ويَكْتُبُ عَمَلَهُ وَأَثَرَهُ وَأَجَلَهُ وَرِزْقَهُ، ثُمَّ يَطْوِي الصُّحُفَ، فَلاَ يُزَادُ فِيهَا وَلاَ يُنْقَصُ»(١).

---

(١) رواه مسلم (٢٦٤٤)، كتاب: القدر، باب: كيفية خلق الآدمي، عن حذيفة بن أسيد ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ﴾ متقَناتٌ[١] مفصَّلاتٌ، من الإحكام، فلم يدخلْ فيها شيءٌ من الاشتباه، والمُحْكَمُ: ما ازدادَ وُضوحاً على المفسَّرِ.

﴿ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي: أصلُه الذي تُعْمَلُ عليه الأحكام، وقولُه: ﴿ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ولم يقلْ: أُمَّهات جمعاً؛ لأن الآياتِ في الحكمِ بها بمنزلةِ آيةٍ واحدةٍ.

﴿ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ المتشابِهُ: ضدُّ المحكَمِ، وهو ما استأثر الله بعلمه؛ لأنه اشتبهَ مرادُ المتكلمِ على السامعِ؛ لاحتمالِ وجوهِ، وحكمُهُ التوقُّفُ فيه أبداً، فإن قيل: كيف فرقَ هاهنا بين المحكمِ والمتشابهِ وقد جعلَ كلَّ القرآنِ محكَماً في قوله: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ [هود:١] وجعلَ كلَّه متشابهاً في قوله: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا ﴾ [الزمر:٢٣]؟ فالجواب عن الأول: إن المرادَ أنه كلَّه حقٌّ ليس فيه عيبٌ، وعن الثاني: أنه يشبهُ بعضُه بعضاً في الحسنِ والصدقِ، وجعلَ بعضَه هنا محكَماً وبعضَه متشابهاً أراد بالمحكَمِ: الذي يُعْمَلُ به، ولا يدخلُه تغيير كالناسخِ والمتشابهِ المنسوخِ.

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ أي: ميلٌ عن الحق.

---

(١) في «ن»: «منقاة».

﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ المعنى: الزائغون يتعلقونَ من المتشابهِ بما يوافقُ هواهم ظاهراً، وهم وَفْدُ نجرانَ، خاصموا النبيَّ ﷺ في عيسى، وقالوا: ألستَ تزعُم أنه كلمةُ اللهِ وروحٌ منه؟ قال: «بلى» قالوا: حَسْبُنا، فأنزل الله هذه الآيةَ[1].

﴿ٱبْتِغَآءَ﴾ طلبَ.

﴿ٱلْفِتْنَةِ﴾ الشِّرْكِ.

﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ أي: تفسيرِه بما يشتهون.

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ﴾ أي: المتشابهَ.

﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ والخلقُ متعبَّدُونَ في المتشابهِ بالإيمانِ به، وفي المحكَمِ بالإيمانِ به والعملِ، ويحرُمُ تفسيرُهُ برأيٍ واجتهادٍ بلا أصلٍ. والوقفُ التامُّ على قولِه: (إلا الله) عندَ الأكثرِ[2].

﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ المتمَكِّنون.

﴿فِى ٱلْعِلْمِ﴾ همُ الذين ثبتوا فيه، وتمكَّنوا منه؛ لأن أصلَ الرسوخِ الثبوتُ.

﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ معناه: الراسخون لا يعلمونَ تأويلَه، بل يؤمنون به.

﴿كُلٌّ مِّنْ﴾ المحكمِ والمتشابهِ من.

---

(1) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٧٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٩٦)، عن الربيع.

(2) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٣٢٤).

﴿ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ ﴾ يَتَّعِظُ بما في القرآنِ.

﴿ إِلَّآ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ ذوو العقول.

* * *

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ رَبَّنَآ ﴾ أي: ويقول الراسخوان: ربنا.

﴿ لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾ أي: ثبِّتْها على الإيمان، ولا تُمِلْنا عن الحقِّ.

﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ وَفَّقْتَنا.

﴿ وَهَبْ لَنَا ﴾ أَعْطِنا.

﴿ مِن لَّدُنكَ ﴾ من عندِكَ.

﴿ رَحْمَةً ﴾ توفيقاً.

﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ لكلِّ سُؤْل.

* * *

﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ ﴾ أي: في يوم.

﴿ لَّا رَيْبَ ﴾ أي: لا شكَّ.

﴿ فِيهِ ۚ ﴾ وهو يومُ القيامة.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ الموعدَ، وحكى البغويُّ قولاً أن الراسخَ

في العلم مَنْ وُجِدَ فيه أربعةُ أشياء: التقوى بينَهُ وبينَ الله، والتواضُعُ بينَهُ وبين الخَلْق، والزهدُ في الدنيا، والمجاهدةُ بينَهُ وبينَ نفسِه[1].

* * *

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ﴾ تنفعَ.

﴿عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: لن تدفعَ عنهم الأموالُ شيئاً من الله. يسكتُ حمزةُ في: (شَيْءٌ وشَيْءٍ وشَيْئاً) حيثُ وقعَ.

﴿وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ اسمٌ لما يُوقَدُ، والمرادُ: من كفرَ بالنبيِّ ﷺ. تلخيصُه: لا مخلصَ للكفارِ منَ النار.

* * *

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿كَدَأْبِ﴾ كعادة.

﴿آلِ فِرْعَوْنَ﴾ والدَّأْبُ مصدرُ دَأَبَ في العمل: جَدَّ فيه، وأصلُه الملازمةُ والدوامُ. تلخيصُه: عادةُ أولاءِ كعادةِ أولئك.

﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من كفارِ الأممِ الماضية.

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: كلُّهم كفروا.

﴿فَأَخَذَهُمُ﴾ أي: فعاقبَهم.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٣٢٥).

﴿ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ تهويلٌ للمخالفةِ.

* * *

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني: كفارَ مكةَ.

﴿ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: بالياء فيهما؛ أي: إنهم يُغلبون ويُحشرون، والباقونَ بالتاءِ على الخطاب؛ أي: قل لهم: إنكم ستُغلبون وتُحشرون(١)، والغَلَبَةُ: القهرُ، والحَشْرُ: السَّوْقُ. المعنى: إنهم يُقهرون في الدنيا يومَ بدرٍ، ويُساقون في الأخرىٰ.

﴿ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ من الجَهَنَّامِ، وهي البئرُ العميقةُ.

﴿ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ الفراشُ.

فلما نزلت هذه الآيةُ، قال لهم النبيُّ ﷺ يومَ بدرٍ: «إِنَّ اللهَ غَالِبُكُمْ وَحَاشِرُكُمْ إِلَى جَهَنَّمَ»(٢).

ثم خاطبَ كفارَ قريشٍ مشيراً إلى وقعةِ بدرٍ فقالَ:

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٢٥-٣٢٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٢٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٩).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٥١)، و«تفسير الطبري» (٣/ ١٩٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٢٧).

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ ﴾ ولم يقل: كانتْ، والآيةُ مؤنثةٌ؛ لأنه ردَّها إلى البيان؛ أي: قد كان لكم بيانٌ، فذهبَ إلى المعنى؛ أي: قد ظهرَ لكمْ دلالةٌ على صدقِ قولي[1]: أنَّكم تُغْلبون.

﴿ فِي فِئَتَيْنِ ﴾ فِرْقَتين. قرأ أبو جعفرٍ: (فِيَتَيْنِ) و(فِيَةٌ) بفتح الياء بغير همز[2].

﴿ ٱلْتَقَتَا ﴾ يومَ بدرٍ، إحداهُما.

﴿ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي: في طاعته، وهم النبيُّ ﷺ وأصحابُه، وكانوا ثلاثَ مئةٍ وثلاثةَ عشرَ رجلاً، معهم فرسٌ للمقدادِ ابنِ عمرٍو، وفرسٌ لمرثدِ بنِ أبي مرثدٍ، وسبعون بعيراً، وستةُ أدرع، وثمانيةُ سيوف، وأكثرهم رَجَّالَةٌ.

﴿ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾ وهم كفارُ قريش، كانوا تسع مئةٍ وخمسين رجلاً من المقاتلة، وكانَ حربُ بدرٍ أولَ مشهدٍ شهدَه رسولُ الله ﷺ.

﴿ يَرَوْنَهُم ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ: بالتاء خطاباً لليهود؛ لأن منهم من حضرَ الوقعةَ ينظرُ لِمَنِ الكَرَّةُ، وقرأ الباقون: بالغيب؛ أي: يرونهم المسلمون[3].

---

(١) «قولي»: ساقطة من «ن».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٩).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٢)، =

﴿ مِّثْلَيْهِمْ ﴾ كان المسلمون يرون المشركين مثلَي عددِ أنفسهم، قَلَّلَهم اللهُ في أعينهم حتى رأوهم [سِتَّ مئةٍ وستةً وعشرين رجلاً، ثم قَلَّلهم في أعينِهم في حالةٍ أخرى حتى رأوهم مثلَ عددِ أنفِسهم، ثم قَلَّلهم أيضاً في أعينِهم حتى رأوهم][1] عدداً يسيراً أقلَّ من أنفسهم، وقيل غير ذلك، وهذا التأويل هو الأصح.

﴿ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ ﴾ بارزاً ظاهراً.

﴿ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ ﴾ يُقوِّي.

﴿ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ قرأ أبو جعفرٍ، وورشٌ: (يُوَيِّدُ) بفتح الواو وبغير همز، واختُلِف عن عيسى صاحبِ أبي جعفرٍ[2].

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾ الذي ذكرتُ.

﴿ لَعِبْرَةً ﴾ لاعتباراً.

﴿ لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ لذوي العقول والنظر، وتقدَّمَ اختلافُ القراء في حكم[3] الهمزتين في سورة البقرة عندَ تفسيرِ قوله تعالى: ﴿ مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢١٣] وكذلك اختلافهم في قوله: ﴿ مَن يَشَآءُ إِنَّ ﴾.

= و«تفسير البغوي» (١/ ٣٢٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٠).

(١) ما بين معكوفتين ساقط من «ت».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٣)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/ ٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١١).

(٣) «حكم»: ساقطة من «ن».

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ جمع شهوة، وأصل الشهوة: نزوع النفس إلى ما تريده.

﴿ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ بدأ بهنَّ؛ لأنهنَّ حَبائلُ الشيطانِ.

﴿ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ﴾ جمعُ القنطار[١]، وهو المالُ الكثيرُ، وسُمِّيَ قِنْطاراً مِنَ الإحْكامِ، يقال: قَنْطَرْتُ الشيءَ: إذا أَحْكَمْتُهُ، ومنهُ سُمِّيت القَنْطَرَةُ.

﴿ ٱلْمُقَنطَرَةِ ﴾ المضعَّفةُ.

﴿ مِنَ ٱلذَّهَبِ ﴾ سمي ذهباً؛ لأنه يذهبُ ولا يبقى.

﴿ وَٱلْفِضَّةِ ﴾ لأنها تنفضُّ؛ أي: تتفرَّقُ.

﴿ وَٱلْخَيْلِ ﴾ من الخُيَلاءِ، لا واحد له من لفظه، وواحدُها فَرَسٌ.

﴿ ٱلْمُسَوَّمَةِ ﴾ المعلَّمةِ، والسِّيما: العلامةُ.

﴿ وَٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ جمعُ النَّعَم؛ أي: الإبلِ والبقرِ والغنمِ.

﴿ وَٱلْحَرْثِ ﴾ الزرعِ.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: المذكورُ.

﴿ مَتَٰعُ ﴾ يتمتع به يسيراً في.

﴿ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ ثم يزولُ.

---

(١) في «ن»: «القناطر».

﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾ المرجعُ، وهذا تزهيدٌ في الدنيا، وترغيبٌ في الأخرى[1]. قرأ أبو عمرٍو: (وَالْحَرْث ذَّلِكَ) بإدغام الثاء في الذال، وأدغم النون في اللام من: (زُيِّن لِّلنَّاسِ)[2].

* * *

﴿۞ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥﴾.

[١٥] ﴿۞ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم﴾ أخبرُكم. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ، ورُويسٌ: بتحقيق الهمزة الأولى، وتسهيل الثانية، وقرأ الباقون: بتحقيق الهمزتين، وفصل بينهما بألف أبو جعفرٍ، واختُلِف عن أبي عمرٍو وقالونَ، وهشامٍ[3].

﴿بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ﴾ من الأقذارِ.

﴿وَرِضۡوَٰنٞ﴾ أي: رِضًا.

﴿مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ قرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ: (وَرُضْوانٌ وَرُضْواناً) بضمِّ الراءِ

---

(١) في «ش»: «الآخرة».

(٢) انظر: «الإتقان» للسيوطي (١/ ١١٣)، في النوع الحادي والثلاثين.

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٧)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٤)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/ ٧٥)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٣٩٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٢).

حيثُ وقع، إلا قوله: ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَانَهُۥ﴾ ثاني المائدة، والباقون: بالكسر، وهما لغتان؛ كالعِدْوان والعُدْوان[1].

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ فيثيبُ المحسنَ، ويعاقبُ المسيءَ.

* * *

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾﴾.

[١٦] ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾ صدَّقنا.

﴿فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ اسْتُرْها علينا، وتجاوزْ عنَّا.

﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ صفةٌ للمتقين

* * *

﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾.

[١٧] ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ عن ارتكابِ المعاصي والشهواتِ.

﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في السرِّ والعلانيةِ.

﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾ المطيعينَ.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٣٧)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٣).

﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾ أموالَهم في طاعةِ الله.

﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ أي: المصلِّين.

﴿بِٱلْأَسْحَارِ﴾ جمعُ سَحَرٍ، وهو من ثُلُثِ الليلِ الآخِرِ إلى الفَجْرِ، وأصلُه: الخفاءُ؛ للطفِهِ. المراد: الإعلامُ أن الجنة أُعِدَّت لجميعِ المذكورين.

* * *

ونزل في نصارى نجران:

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ أي: بَيَّنَ وأَعْلَمَ.

﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: وشهدَتِ الملائكةُ.

﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ هم الأنبياءُ والمؤمنونَ المثبتونَ التوحيدَ، شهدوا بذلك، وأَقَرُّوا به اعتقاداً، والعلمُ: هو إدراكُ الشيءِ على ما هوَ بِهِ.

﴿قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ﴾ أي: مُقيماً بالعدلِ وتدبيرِ الخلق، ونصبُه حالٌ مؤكدةٌ من الله، ونظمُ الآيةِ: شهدَ اللهُ قائماً بالقسطِ، وتقدَّم الكلامُ على تغليظِ اللامِ مِنِ اسمِ الله في (شَهِدَ الله) وشبهِه في أول سورة الفاتحة[١].

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ فهو الموصوفُ بهما.

* * *

(١) في «ن»: «البقرة».

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ يعني: الدينَ المرضيَّ الصحيحَ، والإسلامُ هو الدخولُ في السِّلْمِ، والانقيادُ والطاعةُ. المعنى: الإسلامُ: العدلُ والتوحيدُ، وهما الدينُ عندَ الله لا غيرُ. قرأ الكسائيُّ: (أَنَّ الدِّينَ) بفتح الألف رَدّاً على أَنَّ الأولى، تقديرُه: شهدَ اللهُ أَنَّه لا إلهَ إلاَّ هُوَ، وشهدَ أَنَّ الدينَ عندَ اللهِ الإسلامُ، وقرأ الباقون: بكسر الألف على الابتداء[١]. ونزلَ[٢] في اليهودِ والنصارى حينَ تركوا الإسلامَ:

﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ في نبوةِ محمدٍ ﷺ.

﴿ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ﴾ في التوراة أنه نبيٌّ حَقٌّ، فكذَّبوا، وأشركوا؛ بأن ثَلَّثَتِ[٣] النصارى، وقالتِ اليهودُ: عزيرٌ ابنُ اللهِ.

﴿ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾ أي: طلباً للمُلْكِ والرياسةِ، فسلَّط اللهُ عليهِمُ الجبابرةَ.

﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ وعيدٌ لمن كفرَ بسرعةِ

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٣٨)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٣٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٥).

(٢) في «ت»: «ونزلت».

(٣) في «ن»: «وثلث».

مجيءِ[1] يومِ القيامةِ والحسابِ؛ إذ هي متيقَّنةُ الوقوعِ، وكُلُّ آتٍ قريبٌ.

***

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾.

[٢٠] ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ﴾ أي: خاصمَكَ يا محمدُ أهلُ الكتابِ في الدين.

﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ﴾ أي: أَخْلَصْتُ عبادتي.

﴿لِلَّهِ﴾ وانقدْتُ إليه بجميع جوارحي، وخُصَّ الوجهُ بالذكرِ؛ لأنه أكرمُ جوارحِ الإنسانِ، وفيه بَهاؤه، وإذا خضعَ وجهُه، خضعَ سائرُ جوارحه. قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ، وحفصٌ: (وَجْهِيَ) بفتح الياء، والباقون: بالإسكان[2].

﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ﴾ أي: أسلمَ كما أسلمتُ. أثبتَ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ الياءَ في قوله: (اتَّبَعَنِي) حالةَ الوصل، وأثبتها يعقوبُ وَصْلاً ووقفاً، وحذفَها الباقون في الحالين؛ لأن رسمَها في المصحفِ بغير ياء[3].

---

(١) «مجيء» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٢)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٦).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٧٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«النشر في القراءات =

﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ اليهودِ والنصارى.

﴿ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ﴾ مشركي العربِ.

﴿ ءَأَسْلَمْتُمْ ﴾ استفهامٌ، ومعناه أَمْرٌ؛ أي: أَسْلِموا؛ كقوله: ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١]، وتقدمَ اختلافُ القراء في حكم الهمزتين من كلمة في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ [البقرة: ٦]، وكذلك اختلافُهم في قوله: ﴿ ءَأَسْلَمْتُمْ ﴾.

﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ﴾ لخروجِهم من الضَّلالِ إلى الهدى.

﴿ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ ﴾ عن الإيمانِ.

﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ﴾ بتبليغ الرسالةِ دونَ الهداية.

﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ بِمَنْ يؤمنُ ومَنْ لا يؤمن، ثم نُسِخَتْ بآيةِ السيفِ.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١) ﴾.

[٢١] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ ﴾ يَجْحَدون.

﴿ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ يعني: القرآنَ، وهم اليهود والنصارى.

= العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٦).

﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ قرأ حمزةُ: (وَيُقَاتِلُونَ الَّذِينَ) بألفٍ[1] مع ضمِّ[2] الياءِ وكسرِ التاءِ من القتالِ، وقرأ الباقون: بغير ألفٍ مع فتح الياء وضمِّ التاء، من القتل[3]، معناه: إن كفارَ بني إسرائيل قَتَلوا أنبياءهم وأتباعَهُم عِناداً.

﴿فَبَشِّرْهُم﴾ أخبِرْهُمْ.

﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وَجيعٍ.

***

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ﴾ بطلت.

﴿أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ بدفعِ العذابِ عنهم، فبطلانُ العملِ في الدنيا عدمُ القبولِ، وفي الآخرةِ عدمُ المجازاةِ عليه. ونزلتْ في اليهودِ لما دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام، فأبوا:

***

---

(١) «بألف» ساقطة من «ش».

(٢) «ضم» ساقطة من «ش».

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣١٧)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٣٨ـ٣٣٩)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٨ـ٢٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٨).

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ (٢٣) ﴾.

[٢٣] ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا ﴾ حظّاً.

﴿ مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ أي: التوراةِ.

﴿ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ قرأ أبو جعفرٍ: (لِيُحْكَمَ بَيْنَهُمْ) بضمِّ الياء وفتحِ الكاف، والباقون: بفتح الياء وضمِّ الكاف[1]، وتقدم توجيهُ قراءتهم في سورة البقرة عندَ تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ [الآية: ٢١٣].

﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ عن قَبولِ الحقِّ.

***

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤) ﴾.

[٢٤] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: التولِّي والإعراضُ.

﴿ بِأَنَّهُمْ قَالُوا ﴾ أي: بسببِ قولِهم:

﴿ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ فَسَهَّلوا أمرَ العذابِ باعتقادِهِمُ الزائغِ[2].

---

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (١/ ١٨٢)، و«تفسير القرطبي» (٤/ ٥٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٩) و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٨).

(٢) «فسهلوا... الزائغ» ساقط من «ش».

﴿وَغَرَّهُم﴾ والغرّ: الطمعُ فيما لا يحصُلُ منه شيءٌ.

﴿فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ والافتراءُ: اختلاقُ الكذبِ.

* * *

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ﴿فَكَيْفَ﴾ يصنعونَ.

﴿إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ وهو يومُ القيامةِ.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من أهلِ الكتابِ وغيرِهم(١).

﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ من خيرٍ أو شرٍّ.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ لا يُزادُ في سيئاتِهم، ولا يُنْقَص من حسناتِهم. قال ابنُ عباسٍ وأنسُ بنُ مالكٍ: «لما افتتحَ رسولُ الله ﷺ مكةَ، وعدَ أُمَّتَهُ مُلْكَ فارسَ والرومِ، فقالَ المنافقونَ واليهود: هَيْهاتَ هيهاتَ، منْ أينَ لمحمدٍ ملكٌ؟! فارسُ والرومُ أعزُّ وأمنعُ من ذلك، ألم يكفِ محمداً مكةُ والمدينةُ حتى طمعَ في ملكِ فارسَ والرومِ؟! فأنزلَ الله(٢):

* * *

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾.

---

(١) «وغيرهم» ساقطة من «ن».

(٢) انظر: «أسباب النزول «للواحدي» (ص: ٥٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٣٧).

[٢٦] ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ ﴾ الميمُ عِوَضٌ من حرفِ النداء، وشدِّدَتْ لقيامِها مقامَ حرفين. معناه: يا أَللهُ.

﴿ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ أي: مِالكَ العبادِ وما مَلَكوا.

﴿ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ ﴾ أي: النبوَّةَ.

﴿ مَن تَشَآءُ ﴾ من خلقِكَ.

﴿ وَتَنزِعُ ﴾ أي: تُزيلُ وتقلَعُ.

﴿ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾ منهم.

﴿ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ ﴾ بالملكِ.

﴿ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ﴾ بنزعِهِ منهُ.

﴿ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ﴾ أي: والشرُّ، فاكتفى بذكرِ أحدِهما، ولأن الآيةَ في ذكرِ ما أعدَّ للمؤمنين.

﴿ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ثم أومأ إلى قدرته الباهرة بقوله:

* * *

﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧) ﴾.

[٢٧] ﴿ تُولِجُ ﴾ تُدْخِلُ.

﴿ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ ﴾ حتى يصيرَ خمسَ عَشْرَةَ ساعةً، والليلُ تسعَ ساعاتٍ.

﴿ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ﴾ حتى يصيرَ خَمْسَ عَشْرَةَ ساعةً، والنهارُ تسعَ ساعاتٍ، فما نقصَ من هذا، زِيدَ في هذا.

﴿ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ أي: الحيوانَ من النُّطْفةِ.

﴿ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾ عكسُ الأول، وقيلَ: المؤمنُ من الكافرِ، وعكسُه، وقيل غير ذلك. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ، وخلفٌ: (مِنَ المَيِّتِ) (وتخرج الميت) بتشديدِ الياء حيثُ وقع[1].

﴿ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ من غير تضييقٍ ولا تقتير.

***

﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ ﴾ نزلَتْ نهياً عن مباطَنَةِ من يُبْطِنُ الكفرَ ويُظْهِرُ الإيمانَ، وعن مُوالاتِهم. المعنى: اجتنبوا موالاةَ الكفارِ، فلكم غُنْيَةٌ عن موالاتهم بموالاةِ المؤمنين؛ لأنهم أعداءُ الله، ومن والاهم فقد دخلَ في عداوة الله، ثم تَهَدَّدَهم فقال:

﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: ولاءَ[2] الكفار.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٣٩ـ٣٤٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٣٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٨).

(٢) في «ن»: «موالاة».

﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: من دينِه.

﴿فِى شَىْءٍ﴾ لأنه منسلخٌ عن ولايةِ اللهِ تعالى ودينِه. قرأ الليثُ عن الكسائيِّ: (يَفْعَل ذَّلِكَ) بإدغام اللام في الذال[1]، ثم استثنى فقال:

﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ المعنى: إلا لأجلِ خوفِكم منهم أمراً يجبُ الاحترازُ منه، فيداريهم المؤمنُ بلسانِهِ وقلبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمان. قرأ يعقوبُ: (تَقِيَّةً) بفتح التاءِ وكسر القافِ وتشديد الياء بعدَها، والباقون: بضم التاء وفتح القاف وألف بعدها، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ يُميلون الألفَ على أصلهم[2].

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ أي: يُخَوِّفُكم عقوبتَهُ بأن يغضبَ عليكم بموالاةِ الكفارِ.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ تحذير أيضاً.

* * *

﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٩).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٧)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٤٠)، و«تفسير القرطبي» (١/ ٥٧)، و«تفسير الرازي» (٢/ ٤٣٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٩-٢٠).

[٢٩] ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ ﴾ قلوبكم من مَوَدَّةِ الكفار.

﴿ أَوْ تُبْدُوهُ ﴾ من موالاتِهم.

﴿ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾ ويجازيكم بهِ.

﴿ وَيَعْلَمُ ﴾ رَفْعٌ على الاستئناف.

﴿ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ فكيف يَخْفَى عليه موالاتُكم الكفارَ؟

﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فيقدِرُ على عقوبتكم.

* * *

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ يَوْمَ تَجِدُ ﴾ أي: اذكروا واتَّقوا يومَ تجدُ.

﴿ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ﴾ لم تُبْخَسْ منه شيئاً.

﴿ وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ ﴾ أي: وَدَّتْ.

﴿ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ ﴾ يعني: وبين السوء.

﴿ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾ مسافةً واسعةً.

﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ إشارةٌ إلى أنه تعالى إنَّما نهاهُم وحَذَّرَهُمْ رأفةً بهم، ومراعاةً لصلاحهم.

* * *

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ونزلَ في اليهودِ والنصارى حيثُ قالوا: ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ [المائدة: ١٨]: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمدُ:

﴿ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ فأنا رسولُه إليكم، فحبُّ المؤمنين للهِ اتِّباعُهم أمرَهُ، وابتغاء مرضاتَهُ، وحُبُّ اللهِ المؤمنينَ ثوابُهُ لهم، وعفوهُ عنهم، فذلكَ قولُه تعالى:

﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ لمن تَحَبَّبَ إليه بطاعته.

فلما نزلت هذه الآيةُ، قال عبدُ الله بنُ أُبَيٍّ لأصحابه: إنَّ محمداً يجعلُ طاعتَهُ كطاعةِ الله، يأمرُنا أن نحبَّهُ كما أَحَبَّتِ النصارى المسيحَ، فنزل[١]:

* * *

﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ ﴾ أعرضوا عن طاعتِهما.

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ لا يَرْضى فِعْلَهم، ولا يَغْفِرُ لهم.

* * *

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٥٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٤١).

[٣٣] قالَ ابنُ عباسٍ: قالتِ اليهودُ[١]: نحنُ أبناءُ إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ، ونحنُ على دينه، فأنزل الله:

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ اختارَ.

﴿ ءَادَمَ ﴾ وهو أبو البشر.

﴿ وَنُوحًا ﴾ واسمُهُ عبدُ الغَفَّارِ بنُ لامخ بنِ متوشلح بنِ حنوخ - وهو إدريسُ - وُلد بعدَ مضيِّ ألفٍ وستِّ مئةٍ واثنتينِ وأربعينَ سنةً من هُبوط آدمَ - عليه السلام -، وسُمِّيَ نوحاً؛ لكثرةِ نَوْحِهِ على نفسه، وهو أولُ نبيٍّ بُعث إلى كفارٍ، وهو أبونا الأصغرُ، عاشَ ألفاً وأربعَ مئةٍ وخمسينَ سنةً، وقبرُه بكركِ نوحٍ من أرضِ الشام.

﴿ وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ ﴾ أي: إبراهيمَ وعمرانَ أنفسَهُما؛ كقوله: ﴿ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، وقيل: آلُ إبراهيمَ: إسماعيلُ وإسحاقُ وأولادُهما، ومحمدٌ ﷺ من أولادِهما، وآلُ عمرانَ: موسى وهارونُ؛ لأنَّ موسى بنَ عمرانَ بنِ يصهرَ بنِ لاوي بنِ يعقوبَ، والآلُ في اللغة: الأهلُ والقرابةُ. المعنى: اختصَّ اللهُ آدمَ والأنبياءَ المذكورين والأنبياءَ من أولادِهم - عليهم الصلاة والسلام أجمعين - بالنبوَّةِ.

﴿ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ قرأ ابنُ ذكوانَ بخلافٍ عنه (عِمْرَانَ) بالإمالةِ حيثُ وقعَ[٢].

---

(١) «اليهود» ساقطة من «ن».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٢).

﴿ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

[٣٤] ﴿ ذُرِّيَّةًۢ ﴾ اشتقاقها من ذَرَأ بمعنى : خَلَقَ .

﴿ بَعْضُهَا مِنۢ ﴾ ولد .

﴿ بَعْضٍۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ بأقوالِ الناسِ وأعمالِهم .

* * *

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

[٣٥] ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ ﴾ العاملُ فعلٌ مُضْمَرٌ تقديره : اذكرْ إذ قالت ، وامرأةُ عمران هي حَنَّةُ بنتُ فاقودَ ، وعمرانُ بنُ ماثانَ ، وكان زمنَ زكريا ، فتزوَّجَ زكريا إيساعَ أختَ حَنَّةَ ، فكان يحيى وعيسى ابني خالةٍ . و(امرأت) رُسِمَتْ بالتاء في سبعةِ مواضعَ ، ووَقَفَ عليها بالهاء ابنُ كثيرٍ ، وأبو عمرٍو ويعقوب ، والكسائيُّ[١] ، وليس هذا بعمرانَ أبي موسى ، كان بينهما ألفٌ وثمانُ مئةِ سنةٍ ، فأحبَّتْ حَنَّةُ[٢] الولدَ بعدَما أَسَنَّتْ[٣] ، فدعَتْ بذلك ، فلما حملَتْ ، قالت :

﴿ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا ﴾ أي : غلاماً محرَّراً ، ولم تقلْ : محرَّرَةً ؛ لأنهم إنما كانوا يُحَرِّرونَ الغِلْمانَ ، فنذرتْ إنْ رزقَها اللهُ ولداً ،

---

(١) انظر : «البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٤٣٧) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ١٧٣) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٢) .

(٢) «حنة» سقطت من «ن» .

(٣) في «ن» : «أيست» .

جعلَتْهُ من سَدَنَةِ بيتِ المقدِسِ، والنذرُ: ما يوجِبُهُ الإنسانُ على نفسِه، وتقدَّم الكلامُ عليه، والخلافُ فيه في سورة البقرة، والمحرَّرُ: المُعْتَقُ؛ من الحُرِّ، والحرُّ في الحقيقةِ الذي لم يُمْلَكْ، فأرادتْ أن تجعلَه حُرّاً من كلِّ شيءٍ عبداً مخلِصاً لله. تلخيصُه: أَوْجَبْتُ عَلَيَّ أن الذي في بطني عتيقٌ مفرَّغٌ لعبادةِ اللهِ تعالى، لا أشغلُه بشيءٍ من الدنيا.

﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِدُعائي[1].

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بنِيَّتي، فماتَ عمرانُ وهي حاملٌ بمريمَ، وكانَ من رؤوسِ بني إسرائيل وأحبارهم. قرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وابنُ عامرٍ، وابنُ كثيرٍ، ويعقوبُ (مِنِّي إِنَّكَ) (لِي آيَةً) بسكون الياء، والباقون: بفتحها[2].

* * *

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾.

[٣٦] ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ﴾ معتذرةً وظناً أن نذرَها لا يُقبل؛ لأنوثتِهِ.

﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن

---

(١) في «ن»: «﴿فتقبل﴾ لدعائي ﴿مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٢)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٧٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٢).

عاصمٍ، ويعقوبُ: (وَضَعْتُ) بضم التاء، جعلوها من كلامِ أمِّ مريمَ، وقرأ الباقون: بجزم التاء إخباراً عن الله[1].

﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ لخدمةِ بيتِ المقدسِ؛ لضعفِها ولِما يعتريها من الحيضِ والنِّفاسِ وغيرِهما مما يلحقُ النساءَ.

﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ ومعناهُ: العابدةُ، وكانت مريمُ أجملَ النساءِ في وقتِها، ولم يُذْكَرْ في القرآنِ امرأةٌ باسمِها سوى مريمَ، وبقيةُ النساءِ أُشير إليهنَّ؛ كأزواجِ النبيِّ ﷺ، وامرأةِ إبراهيمَ، وأُمِّ موسى وأختِه، وامرأةِ نوحٍ ولوطٍ وفرعونَ، وغيرِهنَّ من نساءِ الأنبياءِ وغيرِهم.

﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا﴾ أُجيرها. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (وإِنِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[2].

﴿بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا﴾ أولادَها.

﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ وتقدَّمَ تفسيرُهُ في الاستعاذة، قال ﷺ: «كُلُّ

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٢٥)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٤٠ـ٣٤١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٢)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٧٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٢).

بَنِي آدَمَ يَطْعُنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبَيْهِ بِأُصْبُعَيْهِ حِينَ يُولَدُ غَيْرَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، ذَهَبَ يَطْعُنُ، فَطَعَنَ فِي الحِجابِ»[١].

* * *

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾.

[٣٧] ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ أي: قبلَ مريمَ من حَنَّةَ.

﴿بِقَبُولٍ﴾ أي: بأمرٍ ذي قبولٍ.

﴿حَسَنٍ﴾ وأَصْلُ القَبول: الرِّضا؛ أي: سلكَ بها سبيلَ السُّعداء.

﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ سَوَّى خَلْقَها، فكانت تنبُتُ في اليوم ما ينبتُ المولود في عامٍ، ولما وضعَتْها أُمُّها حملَتْها وأَتَتْ بها إلى المسجدِ، ووضعَتها عندَ الأحبارِ وهُمْ يَلُونَ من بيتِ المقدس ما يلي الحَجَبَةُ من الكعبةِ، وقالَتْ: دونَكُم هذهِ المنذورةَ، فتنافَسوا فيها؛ لأن أباها كانَ من أَئِمَّتِهم، فقال زكريا: أنا أحقُّ بها؛ لأن خالتَها زوجتي، فقالوا: لا حتى نقترعَ، فَقَرَعَهم زكريَّا، وأخذها[٢]، فذلك قولُه تعالى:

﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ أي: ضَمَّها إليه. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (وَكَفَلَهَا) بتخفيف الفاء (زَكَرِيَّاءُ) بالرفعُ

---

(١) رواه البخاري (٣١١٢)، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٣٤٥).

على أنه فاعلُ (وكَفَلَها)، وقرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَكَفَّلَهَا) بتشديدِ الفاء؛ أي: جعلَهُ اللهُ كافِلاً لها، فأبو بكرٍ عن عاصمٍ ينصبُ الهمزةَ مع التشديدِ على أنه مفعولٌ به، وبقيةُ الكوفيين يقرؤون (زَكَرِيَّا) مقصوراً بغيرِ همزٍ حيثُ وقع[1]. فلما ضَمَّها زكريّا، بَنَى لها غرفةً في المسجد، وانقطعت في تلكَ الغرفةِ للعبادةِ، وكان لا يدخلُ على مريم غيرُ زكريا فقط، وكان ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا﴾ وهو ابنُ آدن بنِ مسلمِ بنِ صدوق من أولادِ سليمانَ بنِ داود عليه السلام، عاشَ أكثرَ من مئةِ سنةٍ، وقتلَهُ اليهودُ لعنةُ الله عليهم؛ لأنه لما وَلدتْ مريمُ المسيحَ من غيرِ بعلٍ، وقعَ اليهودُ في حَقِّهِ بما لا يليقُ ذكرُه، وطلبوه، فهربَ واختفى في شجرةٍ عظيمةٍ، فقطعوا الشجرةَ، وقطعوا زكريّا مَعها، وكان ذلكَ بعدَ ولادةِ المسيحِ بقليلٍ وقبره بذيلِ جبلِ طور زيتا بمقابرِ الأنبياءِ ببيتِ المقدس، وقيل: بقرية سبسطية من أرض نابلس، وقيلَ: بجامعِ دمشقَ، وبينَ وفاتِه والهجرةِ الشريفةِ الإسلاميةِ سِتُّ مئةٍ ونحو ثلاثينَ سنةً.

﴿ٱلْمِحْرَابَ﴾ أي: الغرفةَ، والمحرابُ: أشرفُ المجالسِ، فكأنها وُضِعَتْ في أشرفِ مكانٍ من المسجدِ، وكان زكريا إذا خرجَ يغلِقُ عليها سبعةَ أبوابٍ، فإذا دخل عليها.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٢٦)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٤١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٤٥-٣٤٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٤-٢٥).

﴿ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾ فاكهةَ الصيفِ في الشتاءِ، وعكْسه.

﴿ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ ﴾ أي: من أين.

﴿ لَكِ هَٰذَا ﴾ الرزقُ، والأبوابُ مغلقةٌ عليكِ.

﴿ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ أي: من الجنة، تكلمت وهي صغيرةٌ.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ أي: بغير محاسبة.

* * *

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ هُنَالِكَ ﴾ أي: عندَ ذلك.

﴿ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ﴾ وكان قد شاخَ وأَيِسَ من الولد، فلما رأى قدرةَ الله، طمعَ في الولد، و﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى ﴾ أي: أَعْطِني.

﴿ مِن لَّدُنكَ ﴾ أي: من عندِك.

﴿ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ ولداً صالحاً، والذريةُ تقعُ على الواحدِ والجمعِ.

﴿ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ سامعُه.

* * *

﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ أجابَتْهُ، والمرادُ جبريلُ وحدَه، جُمعَ تعظيماً له. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (فَنَادَاهُ) بألفٍ مُمالة إرادةَ

الجمع، وقرأ الباقونَ: بالتاء؛ لتأنيث لفظ الملائكة[1].

﴿وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ﴾ أي: في المسجد. قرأ ابنُ ذكوانَ عن ابنِ عامرٍ: (المِحْرَابَ) بالإمالةِ حيثُ وقعَ بالخفضِ، وعنهُ خلافٌ في غيرِ المخفوض[2].

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ: (إِنَّ الله) بكسرِ الهمزة (يُبَشِّرُكَ): بضمِّ أولِه وكسرِ الشين مشدَّداً، وقرأ حمزةُ: (إِنَّ الله) كابنِ عامرٍ (يَبْشُرُكَ) بفتح الياء وضم الشين مخففاً، وقرأ الكسائي: (أَنَّ الله) بفتح الهمزة (يَبْشُرُكَ) كقراءة [حمزة، وقرأ الباقون: (أَنَّ الله) بفتحِ الهمزةِ (يُبَشِّرُكَ) كقراءةِ][3] ابنِ عامر، فالقراءةُ بكسر الألف على إضمار القول، تقديرُه: فنادته الملائكة فقالت: إن، وبالفتح بإيقاع النداء عليه، كأنه قال: فنادته الملائكة بأنَّ، والقراءةُ بضمِّ الياءِ وفتحِ الباءِ وكسر الشين مشدداً من بَشَّرَ، وهو الأفصحُ، وبفتح الياء وضَمِّ الشين مُخَفَّفاً من بَشَرَ، وهي لغةُ تهامةَ[4].

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٥)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٤٢ـ٣٤٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٥ـ١٧٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٤٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٣٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٦).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٦)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٤٤٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٦ـ٢٧).

(٣) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٤) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٢٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: =

﴿ يَحْيَىٰ ﴾ سُمِّيَ به؛ لأنه حَيِيَ به الرحمُ العاقرُ. قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (يَحْيى) بالإمالة حيثُ وقع[1].

﴿ مُصَدِّقًا ﴾ نصبٌ على الحال؛ أي: مؤمناً.

﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ يعني: عيسى عليه السلام؛ أي: بكلمةٍ كائنةٍ منَ الله بأنْ قالَ له: كُنْ من غيرِ أبٍ، فكانَ، فوقعَ عليه اسمُ الكلمة، وكان يحيى أولَ مَنْ آمن بعيسى وصَدَّقه، وكان أَسَنَّ من عيسى بستةِ أشهرٍ، وقيلَ: صدَّقَهُ وهو في بطنِ أُمِّه، فكانَتْ أُمُّ يحيى تقولُ لمريمَ: إني أجد ما في بطني يسجُد لما في بطنِك تحيةً له، وكانا ابنا الخالة كما تقدَّم، ثم قُتل يحيى قبلَ رفعِ عيسى عليهما السلام بسنةٍ ونصفٍ، وله نيفٌ وثلاثون سنةً، ونُبِّىء صغيراً، وكان عيسى قد حَرَّمَ نكاحَ بنتِ الأخ، وكان لهرودوس وهو الحاكمُ على بني إسرائيل بنتُ أخٍ، وأرادَ أن يتزوَّجَها كما هو جائزٌ في ملة اليهود، فنهاه يحيى عن ذلك، فأمر بذبحِ يحيى، فَذُبح ووُضع رأسُه بين يديه، فكان الرأسُ يتكلَّمُ ويقول: لا تَحِلُّ لكَ، واستمرَّ غَلَيانُ دمِه حتى بعثَ الله عليهم مَلِكاً من جهة المشرق يُقال له: حردوس، فقتلَ منهم على دمِ يحيى سبعينَ

= ٢٠٥)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٤٣ـ٣٤٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٤٧ـ٣٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٧ـ٢٨)، ولم يذكر البغوي القراءة عن الكسائي، وذكرتها جميع المصادر عنه بكسر الهمزة (إنَّ الله).

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٦)، و«تفسير الرازي» (١/ ٤٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨٢).

ألفاً إلى أن سكنَ دمُه، وقبرُه عندَ قبرِ والدِه، على الخلافِ المتقدِّم، وبينَ وفاتِه والهجرةِ الشريفةِ الإسلاميةِ خمسُ مئةٍ ونحوُ ستٍّ وتسعين سنةً.

﴿وَسَيِّدًا﴾ هو مَنْ سادَ قومَهُ، ويحيى سادَ قومَهُ والناسَ في أنَّه لم يرتكبْ سيئةً قطُّ.

﴿وَحَصُورًا﴾ ممتنِعاً من الوَطْءِ معَ القدرةِ عليه، وليسَ كما قالَ بعضهم: إنه كان هَيُوباً، أو لا ذَكَرَ له؛ لأن هذه نقيصةٌ وعيبٌ لا تليقُ بالأنبياء، وإنما معناه: إنه معصومٌ من الذنوب لا يأتيها؛ كأنه حُصِر عنها.

﴿وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.

***

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (٤٠)﴾.

[٤٠] فلما بُشِّرَ بهِ ﴿قَالَ﴾ زكريّا:

﴿رَبِّ أَنَّىٰ﴾ أي: كيفَ.

﴿يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ﴾ أي: نالني، وأثَّرَ فيَّ.

﴿الْكِبَرُ﴾ وكانَ ابنَ عشرينَ ومئةِ سنةٍ، وقيلَ غيرُ ذلك.

﴿وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ عقيمٌ لا تَلِدُ، وكانت بنتَ ثمانٍ وتسعينَ سنةً، وقولُ زكريا لم يكنْ شَكّاً في وعِد الله، إنما شَكَّ في كيفيته؛ أي: كيف ذلك؟ يجعلُني أنا وامرأتي شابَّيْنِ، أم يرزقُنا ولداً على الكِبَرِ منَّا، أم يرزقُني من امرأةٍ أخرى؟ فقال مستفهِماً لا شَكّاً.

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الفعل، وهو خلق الولد بين الفاني والعاقر.

﴿ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ من خلقِ الولدِ بين هَرِمَيْنِ وغيره.

* * *

﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (٤١) ﴾.

[٤١] ﴿ قَالَ ﴾ زكريا:

﴿ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً ﴾ علامةً على وجودِ الحملِ؛ لأزيدَ في الشكر والعبادةِ، وتقدمَ اختلافُ[١] القراء في (لِي آيَةً).

﴿ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ﴾ أي: تمتنعُ عن كلامِهم.

﴿ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ إشارةً، اعتُقِلَ لسانُه عمَّا سوى ذكرِ الله، وكانَتْ إشارتُه بالإصبعِ المُسَبِّحَةِ، وأصلُ الرمزِ: التَّحَرُّكُ.

﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ ﴾ وهو من زَوالِ الشمسِ إلى غُروبها.

﴿ وَالْإِبْكَارِ ﴾ وهو من طلوعِ الفجرِ الثاني إلى الضُّحى؛ أي: في وَقْتَيْهما.

* * *

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) ﴾.

[٤٢] ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ ﴾ يعني: جبريلَ عليه السلام.

﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ ﴾ اختارَكِ.

---

(١) في «ت»: «خلاف».

﴿ وَطَهَّرَكِ ﴾ من مَسيسِ الرِّجالِ والحَيْضِ والنِّفاسِ، وكانت لا تَحيضُ.

﴿ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ عالَمِي زمانِها؛ لولادتها[1] بلا مَسٍّ.

* * *

﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى ﴾ أطيعي وأطيلي القيامَ ﴿ لِرَبِّكِ ﴾ في الصلاةِ، فقامَتْ حتى وَرِمَتْ قَدَماها وسالت قيحاً.

﴿ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى ﴾ إنما قدَّمَ السجودَ على الركوعِ؛ لأن الواوَ ليست للترتيب.

﴿ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ أي: صَلِّي جماعةً، ولم يقل: الراكعات، لعمومِ الراكعينَ الرجالَ والنساءَ.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: المذكورُ من أمرِ زكريا ويحيى ومريمَ وعيسى.

﴿ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ نلقيه إليك.

﴿ وَمَا كُنتَ ﴾ يا محمدُ.

﴿ لَدَيْهِمْ ﴾ أي: عندَهم. قرأ حمزةُ، ويعقوبُ: بضم الهاء، وقرأ ابنُ

---

(١) في «ت»: «لولادها».

كثيرٍ، وأبو جعفرٍ، وورْشٌ: (لَدَيْهِمُ إِذْ) بضمِّ الميمِ وصلتِها بواو، وكذا شبهُه حيثُ وقعَ، واختُلِفَ عن قالون.

﴿إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ﴾ أي: سهامهم في الماء للاقتراع، وسُمِّي القلمَ؛ لأنه يُقْلَمُ كالظُّفْرِ.

﴿أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ﴾ يَحْضنُها ويُربِّيها.

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾ في كَفالَتِها.

* * *

﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

[٤٥] ﴿إِذۡ﴾ أي: واذكرْ إذ.

﴿قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ: (يَبْشُرُكِ) بفتح الياء وضمِّ الشين مخففاً، والباقون: بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين مشدَّداً[1].

﴿بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ وقولُه: ابنُ مريمَ إعلامٌ لها أنها تلدُ من غير أبٍ، فلا يُنْسَبُ إلا لأمه، والمسيحُ لقبٌ لعيسى، معناه: الصِّدِّيق، وقيل: معناه بالعبرانية: المبارَكُ، وقيلَ غيرُ ذلك.

﴿وَجِيهٗا﴾ ذا جاهٍ وقَدْرٍ.

---

(١) كما تقدم قريباً. انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٠).

﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾ بالنبوَّةِ والتقديمِ على الناسِ.

﴿وَٱلْآخِرَةِ﴾ بالشفاعةِ وارتفاعِ درجتِه في الجنةِ.

﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ بارتفاعِه إلى السَّماء، وصحبتِه الملائكةَ.

* * *

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

[٤٦] ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ﴾ صغيراً قبلَ وقتِ الكلامِ معجزةً.

﴿وَكَهْلًا﴾ بعدَ نزولِهِ من السماءِ بالوحي للرسالةِ كما سيأتي عندَ ذكرِ رفعِهِ إلى السماء، فالطفلُ: مَنْ لم يُمَيِّزْ، والمميِّزُ: مَنْ بلغَ[1] سبعاً، والصبيُّ والغلامُ واليافعُ واليتيمُ: من لم يبلُغْ، والمراهِق: من قاربَ البلوغَ، والشابُّ والفتى: منه إلى الثلاثين، والكَهْلُ من تجاوزَ الثلاثين إلى الخمسين، وقاربَ الشيبَ، من اكتهلَ النبتُ: قاربَ اليبسَ، وحالُ الكهولة التي يستحكم فيها العقلُ، ويستنبأ فيها الأنبياء، والشيخُ: من الخمسين إلى السبعين، ثم هَرِمٌ.

﴿وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: هو من العباد الصالحين.

* * *

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾.

[٤٧] ﴿قَالَتْ رَبِّ﴾ سيدي، تقوله لجبريل عليه السلام.

---

(١) «من بلغ» ساقطة من «ن».

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ زوجٌ قالتْ تعجُّباً؛ إذْ لم تكن جرَتِ العادة بأن يولَد ولدٌ لا أبَ له.

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أرادَ كونَ شيءٍ.

﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ كما يريد. قرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وابنُ عامرٍ، وروْحٌ عن يعقوبَ: (يَشَاءُ إِذَا) بتحقيق الهمزتين، والباقون: بتحقيق الأولى، وتسهيل الثانية، وهي أن تبدلَ واواً خالصةً مكسورةً[1]، وقرأ ابنُ عامرٍ: (فَيَكُونَ) بنصب النون، والباقون: بالرفع[2]، وتقدَّمَ توجيهُ قراءتهم في سورة البقرة عندَ قولِه تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

* * *

﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ (٤٨)﴾.

[٤٨] ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ﴾ أي: الخطَّ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وعاصمٌ، ويعقوبُ (وَيُعَلِّمُهُ) بالياء؛ لقولِه تعالى: ﴿كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٤٧] وقرأ الباقون: بالنون على التعظيم[3]؛ لقوله تعالى:

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣١).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣١).

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٣٤)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٩)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٤٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٦)، =

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ [آل عمران: ٤٤].

﴿ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ العلمَ والفِقْهَ.

﴿ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ علَّمَهُ اللهُ التوراةَ والإنجيلَ.

***

﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ وكان أولُ أنبياءِ بني إسرائيل يوسفَ، وآخرُهم عيسى عليهما السلام ـ، فلما بُعِثَ قال: ﴿ أَنِّىٓ ﴾ أي: بأني.

﴿ قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ ﴾ علامةٍ.

﴿ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ على صِدْقي، فلما قال ذلك لبني إسرائيلَ، قالوا: وما هي؟ قال:

﴿ أَنِّىٓ ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: بكسر الألف على الاستئناف؛ أي: قال: (إِنِّي أَخْلُقُ)، وقرأ الباقون: بالفتح على معنى بـ(أَنِّي أَخْلُقُ)(١)،

= و«تفسير البغوي» (١/ ٣٥٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٢).

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٩)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٤٤-٣٤٥)، =

وقراءةُ الكوفيينَ، وابنِ عامرٍ: بإسكان الياء، والمدنيينَ، والبصريينَ، وابنِ كثيرٍ: بفتحِها[1].

﴿أَخْلُقُ لَكُم﴾ أي: أشكِّلُ شيئاً.

﴿مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ﴾ كصورةٍ.

﴿ٱلطَّيْرِ﴾ قرأ أبو جعفرٍ بخلافٍ عنه (كَهَيَةِ) بتسهيل الهمزة؛ وعنه وجهٌ آخرُ (كَهَيَّةِ) بتشديدِ الياء بغيرِ همزٍ[2]، وقرأ أيضاً الطايرِ بألفٍ بعدَ الطاء.

﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ أي: في الشيء المُشَكَّلِ.

﴿فَيَكُونُ﴾ أي: فيصيرُ.

﴿طَيْرًا﴾ قرأ أبو جعفرٍ، ونافعٌ، ويعقوبُ (طَايِراً) بالألف، وسَهَّلَ أبو جعفرٍ همزةَ الطايرِ و(طَايِراً) بخلافٍ عنه[3]، فمَنْ قرأ: (طَيْراً) على

= و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٥٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٣٤).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٢)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٣٤).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٣٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٥٣)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/ ٧٩)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٤٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٤).

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٣٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٤٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٥٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٨)، و«النشر في =

الجمع؛ أي: طيراً كثيرةً، ومَنْ قرأ طايراً على الإفراد؛ لأنه لم يخلُقْ سِوَى الخفَّاشِ، وإنما خَصَّ الخفَّاشَ؛ لأنه أكملُ الطيرِ خَلْقاً؛ لأنَّ لها ثَدْياً وأَسْناناً، وتحيضُ وتضحكُ، وتُرْضِعُ ولدَها، وتبولُ كما تبولُ ذواتُ الأربعِ[1].

﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ﴾ أي: أشفي.

﴿ٱلۡأَكۡمَهَ﴾ هو الذي يولَدُ أعمى.

﴿وَٱلۡأَبۡرَصَ﴾ هو الذي بِهِ وَضَحٌ، وخُصَّ بالذكرِ؛ لأنهما داءُ أَعْياءٍ؛ لأنه بُعث زمنَ الطبِّ، وكان يداويهم بالدعاء بشرطِ بالإيمان، قالوا: أبرأ في يوم واحدٍ خمسينَ ألفاً.

﴿وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ أحيا أربعةَ أنفسٍ عازَرَ، وابنَ العجوزِ، وابنةَ العَشَّارِ، وسامَ بنَ نوحٍ، فأَمَّا عازَرُ، فكان صَدِيقاً له، فانطلقَ إلى قبره، فدعا اللهَ، فخرجَ من قبرِه، وبقيَ، ووُلِدَ له، وأَمَّا ابنُ العجوزِ مَرَّتْ به مَيْتاً على عيسى على سريرٍ يُحْمَلُ، فدعا اللهَ، فجلسَ على سريره، ونزلَ عن أعناقِ الرجالِ، ولبسَ ثيابَهُ، وحملَ سريرَهُ على عنقِه، ورجعَ إلى أهله، وبقيَ، ووُلِدَ له، وأما ابنةُ العَشَّارِ، كانَ رجلاً يأخذ العُشورَ، ماتت له بنتٌ بالأمس، فدعا الله عز وجل، فأحياها، فبقيت وولد لها، وأما سامُ بنُ نوحٍ، فإنَّ عيسى أتى قبرَهُ، فدعا باسمِ اللهِ الأعظمِ، فخرجَ من قبره وقد شابَ نصفُ رأسِه خوفاً

= القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٥).

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٣٦).

من قيامِ الساعةِ، ولم يكونوا يَشيبونَ في ذلكَ الزمان، فقال: قد قامتِ القيامةُ؟ قال: لا، ولكنْ دعوتُكَ باسمِ اللهِ الأعظمِ، ثم قال له: مُتْ، قال: بشرطِ أن يُعيذَني اللهُ من سكراتِ الموتِ، فدعا الله، ففعل.

﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ كرَّرَها لنفيِ توهُّمِ الألوهيَّةِ فيه.

﴿ وَأُنَبِّئُكُم ﴾ أخبرُكم.

﴿ بِمَا تَأْكُلُونَ ﴾ مِمّا لم أُعايِنْهُ.

﴿ وَمَا تَدَّخِرُونَ ﴾ أي: تُخَبئون.

﴿ فِى بُيُوتِكُمْ ﴾ كان يخبرُ الشخصَ بما أكلَ قبلُ، وبما يأكلُ بعدُ، ويخبرُ الصبيانَ وهو في المكتبِ بما يصنعُ أهلُهم، وبما يأكلون.

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾ الذي ذكرتُ.

﴿ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ مُوَفَّقين للإيمان.

***

﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ ﴾.

[٥٠] ﴿ وَمُصَدِّقًا ﴾ حالٌ معطوفٌ على ﴿ بِـَٔايَةٍ ﴾ أي: جئتكم بآية، وجئتُكم مصدِّقاً.

﴿ لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ ﴾ لما تقدَّمني.

﴿ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ من اللُّحوم والشُّحوم.

﴿ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ كرَّرها تأكيداً.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ لِما جئتُكم به[1].

﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أدعوكم إليه. قرأ يعقوبُ: (وَأَطِيعُونِي) بإثباتِ الياء بعد النون[2].

* * *

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٥١)﴾.

[٥١] ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ هذهِ الجملةُ هي الآيةُ التي جاءهم بها.

﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ أي: هو الطريقُ المشهودُ له بالاستقامة.

* * *

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢)﴾.

[٥٢] ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ﴾ أي: علم.

﴿عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ وأرادوا قتلَه، فاستنصرَ عليهم.

و﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي﴾ جمعُ نصير. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (أَنْصَارِيَ) بفتح الياء، وقرأ الدوريُّ عن الكسائيِّ: (أَنْصَارِي) بإمالةِ فتحةِ الصاد.

---

(١) «لما جئتكم به» سقط من «ن».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٧٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٦ـ١٧٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٣٧).

﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: من أنصاري ذاهباً إلى الله؟ أي: إلى عباده ؛ لأن عيسى مرَّ بالحواريين وهم يَصيدون، فقال: ما تصنعونَ؟ قالوا: نصيدُ السَّمَكَ، قال: أفلا تذهبون نصيدُ الناسَ؟ قالوا: من أنت؟ قال: عيسى.

﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ أي: الراجعونَ إلى الله، وهم صفوةُ الأنبياءِ، وحَواريُّ الرجُلِ: خالِصَتُه[1] وقال ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيّاً، وَحَوَارِيِّ الزُّبَيْرُ»[2]، سُمُّوا بذلك لبياضِ ثيابِهم، وكانوا اثني عشرَ رَجُلاً، وهم: شمعونُ الصفا، وبطرسُ وأخوهُ أندراوسُ، ويعقوبُ بن زَبَدة، وفيلبس، وبرطولوماوس، وأندريوس، ومرقُص، ويوحَنَّا، ولوقا، وتوما، ومَتَّى.

﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ أي: أعوانُ دينِهِ.

﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ﴾ يا عيسى.

﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ لتشهدَ لنا يومَ القيامة.

* * *

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

[٥٣] ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ﴾ من كتابِكَ.

﴿وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ﴾ عيسى.

﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ لأنبيائِكَ بالصِّدْقِ.

---

(١) في «ن»: «خاصته».

(٢) رواه البخاري (٦٨٣٣)، كتاب: التمني، باب: بعث النبي ﷺ الزبير طليعة وحده، ومسلم (٢٤١٥)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل طلحة والزبير ـ رضي الله عنهما ـ، عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ.

﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾.

[٥٤] ﴿وَمَكَرُواْ﴾ أي: كفارُ بني إسرائيل الذين أحسَّ عيسى منهُمُ الكفرَ، والمكرُ: إخفاءُ الكيدِ، ومكرُهم بهِ: إرادةُ قتلِه.

﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ﴾ بهم؛ أي[١]: بأن ألقى شبهَهُ على من أرادَ اغتيالَه وقَتْلَه.

﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ أقدرُهم وأقواهم.

ولمَّا أعلمَ الله المسيحَ أنه خارجٌ من الدنيا، جمعَ الحواريين تلكَ الليلةَ، وأوصاهم، ثم قال: ليكفرَنَّ بي أحدُكم قبلَ أن يصيحَ الديكُ، ويبيعُني بدراهمَ يسيرةٍ، وكان اليهودُ قد جَدُّوا في طلبه، فحضرَ بعضُ الحواريين إلى الحاكمِ على اليهود، واسمُه فيلاطوس، ولقبه هرودوس إلى جماعةٍ من اليهود، وقال: ما تجعلونَ لي إذا دَلَلْتُكم على المسيح؟ فجعلوا له ثلاثينَ درهماً، فأخذها، ودلَّهم عليه، فرفعَ اللهُ المسيحَ إليه، وألقى شبهَهُ على الذي دَلَّهم عليه، فإنَّ اليهودَ لما قصدوه أظلمت الدنيا حتى صارَتْ كالليل، وأظلمتِ الشمسُ، وظهرتِ النجوم[٢] الكواكبُ، وانشقَّتِ الصخورُ، فلذلك لم يحققوا المشبهَ من شدةِ الظلمة، وحصولِ الإرجافِ، فقتلوه وصلبوه على الخشب، وهم يظنون أنه عيسى، وأنزل اللهُ المسيحَ منَ السماءِ إلى أمه مريمَ وهي تبكي عليه، فقال لها: إن الله رفَعني إليه، ولم يُصبني إلا الخيرُ، وأمرَها فجمعَتْ له الحواريين، فَبَثَّهُمْ في الأرض دُعاة،

---

(١) «أي» زيادة من «ن».

(٢) «النجوم» زيادة من «ن».

ثم رَفَعه إليه، وتلكَ الليلةُ التي تدخِّنُ فيها النصارى.

وتفرَّقَ الحواريون حيثُ أمرهم، وكسا اللهُ عيسى الريشَ، وألبسَهُ النورَ، وقطعَ عنه لذةَ المطعمِ والمشربِ، وطارَ مع الملائكة، فهو معهم حولَ العرش.

وكان رفعُ المسيحِ ليلةَ القدرِ من شهرِ رمضانَ بعدَ نبوتِه بثلاثِ سنينَ؛ فإنه[1] نُبِّئَ على رأس ثلاثينَ سنةً، ورفعهُ الله إليه وهو ابنُ ثلاثٍ وثلاثين سنةً، وكان رفعُه لمضيِّ ثلاثِ مئةٍ وستٍّ وثلاثينَ سنةً من غلبةِ الاسكندرِ اليونانيِّ على أرضِ بابلَ، وبينَ رفعِهِ ومولدِ النبيِّ ﷺ خمسُ مئةٍ وخمسٌ وأربعون سنةً، فيكونُ بينَ رفعِه والهجرةِ الشريفةِ النبويةِ المحمديةِ خمسُ مئةٍ وثمانٍ وتسعون سنةً.

أما أمُّه مريمُ عليها السلام فإنها عاشَتْ نحو ثلاثٍ وخمسين سنةً؛ لأنها حملَتْ به لما صار لها من العمر ثلاثَ عَشْرَةَ سنةً، وولدته ببيتِ لحم من أرضِ بيتِ المقدسِ، وعاشتْ مجتمعةً معهُ ثلاثاً وثلاثين سنةً وكسراً، وبقيت بعدَ رفعِه ستَّ سنينَ، وللمؤرخين في ذلك خلافٌ، والله أعلم.

وكان رفعهُ من طور زيتا جبلٍ شرقيَّ بيتِ المقدس.

وروي أنه دعا وقتَ رفعِه اللهَ بهذا الدعاءِ، وهو دعاءٌ مُستجابٌ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ القَرِيبُ في عُلُوِّكَ، المتُعَالي في دُنُوِّكَ، الرَّفِيعُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ أَنْتَ الَّذِي نَفَذَ بَصَرُكَ في خَلْقِكَ، وحُسِرَتِ الأَبْصارُ دُونَ النَّظَرِ إِلَيْكَ، وغُشِّيَتْ دُونَكَ، وسَبَّحَ لَكَ الفَلَقُ في النُّورِ[2]، أَنْتَ الَّذِي جَلَيْتَ الظُّلَمَ

---

(١) في «ت»: «وأنه».

(٢) «في النور» سقطت من «ت».

بِنورِكَ، فتبَارَكْتَ اللَّهُمَّ أَنْتَ خَالِقُ الخَلْقِ بِقُدْرَتِكَ، مُقَدِّرُ الأُمُورِ بِحِكْمَتِكَ، مُبْدِعُ الخَلْقِ بِعَظَمَتِكَ، القَاضِي في كُلِّ شَيْءٍ بِعِلْمِكَ، الَّذي خَلَقْتَ سَبْعاً في الهَوَاءِ بِكَلِمَاتِكَ مُسْتَوِياتِ الطِّبَاقِ، مُذْعِنَاتٍ لِطَاعَتِكَ، سَمَا بِهِنَّ العُلُوُّ بِسُلْطَانِكَ، فَأَجَبْنَ وَهُنَّ دُخَانٌ مِنْ خَوْفِكَ، فَأَتَيْنَ طائِعينَ بِأَمْرِكَ، فِيهِنَّ المَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَكَ ويُقَدِّسُونَكَ، وجَعَلْتَ فِيهِنَّ نُوراً يَجْلُو الظَّلاَمَ، وضِيَاءً أَضْوَأَ مِنَ الشَّمْسِ، وَجَعَلْتَ فِيهِنَّ مَصابِيحَ نَهْتَدِي بِهَا في ظُلُمَاتِ البَرِّ والبَحْرِ ورُجُوماً للشَّياطِينِ، فَتَبَارَكْتَ اللَّهُمَّ في مَفْطُورِ سَمَاواتِكَ، وفيما دَحَوْتَ مِنَ الأَرْضِ، ودَحَوْتَها عَلَى الماءِ، فَأَذْلَلْتَ لَهَا الماءَ الطَّاهِرَ، فَذَلَّ لِطَاعَتِكَ، وأَذْعَنَ لِأَمْرِكَ، وخَضَعَ لِقُوَّتِكَ أَمْوَاجُ البِحَارِ، فَفَجَّرْتَ فِيهَا بَعْدَ البِحارِ الأَنْهارَ وبعدَ الأَنْهارِ العُيُونَ الغِزارَ والينَابيعَ، ثم أَخْرَجْتَ مِنْها الأشجارَ بالثِّمارِ، ثم جَعَلْتَ على ظَهْرِها الجبالَ أَوْتاداً، فَأَطاعَتْكَ أَطْوادُهَا، فَتبارَكْتَ اللَّهُمَّ صفاتُكَ، ومَنْ يَبْلُغُ صِفَةَ قُدْرتِكَ، ومَنْ يَنْعَتُ نَعْتَكَ؟ تُنَزِّلُ الغَيْثَ، وتُنْشِئُ السَّحابَ، وتَفُكُّ الرِّقابَ، وتَقْضِي الحَقَّ وأَنْتَ خَيْرُ الفاصِلِينَ، لا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ، إِنَّما يَخْشَاكَ مِنْ عِبادِكَ العُلَماءُ، وأَشْهَدُ أَنَّكَ لَسْتَ بِإِلهٍ اسْتَحْدَثْنَاكَ، وَلا رَبَّ لَنا سِواكَ نَذْكُرُهُ، ولا كانَ لَكَ شُرَكاءُ يَقْضُونَ مَعَكَ نَدْعُوهُمْ وَنَدَعُكَ، ولا أَعانَكَ أَحَدٌ عَلَى خَلْقِكَ فَنَشُكَّ فِيكَ، أَشْهَدُ أَنَّكَ أَحَدٌ صَمَدٌ، لَمْ يلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ، وَلَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلا وَلَداً، اجْعَلْ لِي مِنْ أَمْرِي فَرَجاً وَمَخْرَجاً»، فلما تمَّ دعاؤه، رفعَهُ الله إليه(١).

* * *

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ٤٧٣ـ٤٧٤)، عن وهب بن منبه.

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

[٥٥] ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ ﴾ ظرفٌ لـ(مَكَرَ اللهُ).

﴿ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ﴾ أي: مُنِيمُكَ، من: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ﴾ [الأنعام: ٦٠]، وكان عيسى قد نامَ، فرفعَهُ اللهُ نائِماً إلى السماء.

﴿ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ إلى سمائي، ومَقَرِّ ملائكتي، قال جماعة: في الآيةِ تقديمٌ وتأخيرٌ، معناه: إني رافعُك إليَّ.

﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ ومتوفِّيكَ بعدَ إنزالِكَ من السماء، وقيل: بل توفاه اللهُ ثلاثَ ساعاتٍ من النهار، ثم رفَعَهُ إليه.

﴿ وَمُطَهِّرُكَ ﴾ مُنجِّيك.

﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ مُخْرِجُكَ من بينِهم.

﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ ﴾ هُمْ أهلُ الإسلامِ الذين صَدَّقوه واتَّبعوا دينَه في التوحيدِ من أمةِ محمدٍ ﷺ، فهم ﴿ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ ظاهرينَ عليهم يغلبونهم بالسيفِ والبرهان ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ لأنه لا شريعةَ بعدَ شريعةِ محمدٍ ﷺ.

﴿ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ ﴾ في الآخرةِ.

﴿ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ في الدنيا منَ الدينِ، وأمرِ عيسى عليه السلام.

* * *

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ بالقتلِ والسبيِ والجزيةِ.

﴿ وَٱلْآخِرَةِ ﴾ بالنارِ ﴿ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾.

***

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾ أي: جزاءَ أجورهم؛ لأنهم عملوا خيراً، فأعطاهم الجنةَ. قرأ حفصٌ عن عاصمٍ، ورُويسٌ عن يعقوبَ: (فَيُوَفِّيهِمْ) بالياء، والباقون: بالنون[1].

﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ لا يرحمُ الكافرين، ولا يُثني عليهم بالجميل.

***

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٣٨)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٠)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٤٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٦١)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٨)، ولم يُذكر «يعقوب» في مطبوعة «تفسير البغوي»، وذكرت القراءة عنه في باقي المصادر: «فنوفيهم» بالنون.

﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْآيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ۝٥٨ ﴾.

[٥٨] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: هذا الذي ذكرتُه لكَ من خبرِ عيسى ومريمَ والحواريينَ.

﴿ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ ﴾ نخبرُكَ بهِ بتلاوةِ جبريلَ عليه السلام.

﴿ مِنَ ٱلْآيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ القرآنِ المحكَمِ الممنوعِ من كُلِّ خَلَلٍ.

* * *

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ﴾.

[٥٩] ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ في كونِه خَلْقاً من غيرِ أبٍ.

﴿ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾ في كونِه خَلْقاً من غيرِ أبٍ وأُمٍّ، وتم الكلامُ على قولِه: ﴿ ءَادَمَ ﴾ ثم قال: ﴿ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ قَدَّرَهُ جَسَداً من طينٍ. نزلَتْ لما قالَ وفدُ نجرانَ للنبيِّ ﷺ: تشتمُ صاحِبَنا تقولُ إنَّه عبدٌ؟! قال: «أَجَلْ إنَّهُ عَبْدُ اللهِ ورَسُولُهُ» قالوا: هل رأيتَ وَلَداً من غيرِ أبٍ؟! فنزلَتِ الآيةُ[١]، فَشُبِّهَ عيسى بآدمَ من حيثُ إن آدمَ خُلقَ بغيرِ أبٍ ولا أمٍّ، وهذا من تشبيهِ الغريبِ بالأغربِ؛ لأن خلقَ آدمَ أغربُ من خَلْق عيسى؛ ليكونَ أقطعَ للخَصْم، وأوقعَ في النفس، والمعنى: خلقَ قالَبَهُ من التراب[٢].

﴿ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ يعني: فكان؛ أي: أنشأه بشراً؛ كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ [المؤمنون: ١٤].

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٥٥).

(٢) في «ت»: «بالتراب»، وفي «ن»: «على التراب».

﴿ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ .

[٦٠] ﴿ ٱلۡحَقُّ ﴾ أي: هو الحقُّ.

﴿ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴾ أي: الشاكِّينَ، الخطابُ مع النبيِّ ﷺ، والمرادُ منه غيرُه.

* * *

﴿ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ .

[٦١] ﴿ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ ﴾ أي: جادَلَكَ من النصارى في عيسى.

﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ ﴾ أي: الدلالات الموجبةِ للعلم.

﴿ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ ﴾ هلُمُّوا.

﴿ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا ﴾ حسناً وحُسَيْناً ﴿ وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا ﴾ فاطمةَ.

﴿ وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا ﴾ النبيَّ ﷺ وعلياً رضي الله عنه.

﴿ وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ ﴾ نتضرَّعْ في الدعاء.

﴿ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ ﴾ تلخيصُه: لنجتمعْ نحن وأنتم جميعاً، ثم نتضرَّعْ في اللعنِ والدعاء.

﴿ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ منَّا ومنكم في شأنِ عيسى، فلما قرأها النبيُّ ﷺ على وفدِ نجرانَ، قالوا: حتى ننظرَ في أمرنا، ونأتيكَ غداً، فقالَ عبدُ المسيحِ منهم، وكان ذا رأيِهم: لقد عرفتُمْ أن محمداً نبيٌّ حَقٌّ، وأنه واللهِ ما لاعَنَ قومٌ قَطُّ نبيَّهُم فعاشَ كبيرُهم، ولا نبتَ صغيرُهم، فوادِعُوا الرجلَ،

وانصرِفوا إلى بلادِكم، فأَتَوا النبيَّ ﷺ من الغدِ، وقد غدا محتَضِناً الحسنَ[1]، آخِذاً بيدِ الحسينِ[2]، وفاطمةُ خلفَهُ، وعليٌّ خلفَها، ويقولُ لهم: «إِذَا دَعَوْت فَأَمِّنُوا»، فقالَ أسقفُ نجرانَ: يا معشرَ النصارى! إني لأرى وجوهاً لو سألوا اللهَ أن يزيلَ جبلاً عن مكانِهِ لأزاله، فلا تَبْتَهِلوا فَتَهْلِكوا ولا يَبْقى على وجهِ الأرض نصرانيٌّ، فأَبَوا المباهلةَ، فصالَحهم ﷺ على مالٍ يؤدُّونه إليه في كلِّ عامٍ، وهو ألفا حُلَّةٍ، ألفٌ في صَفرٍ، وألفٌ في رَجَبٍ، وانصرَفوا إلى بلادِهم، فقال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِنَّ العَذَابَ قَدْ تَدَلَّى عَلَى أَهْلِ نَجْرَانَ، وَلَوْ لاعَنُوا، لَمُسِخُوا قِرَدَةً وخَنازِيرَ، ولاضْطَرَمَ عَلَيْهِمُ الوَادِي ناراً، ولاسْتَأْصَلَ اللهُ نَجْرَانَ، حَتَّى الطَّيْرَ عَلَى رُؤُوسِ الشَّجَرِ، وَلَمَا حَالَ الحَوْلُ عَلَى النَّصَارَى كُلِّهِمْ حَتَّى هَلَكُوا»[3]، وأما رَسْمُ (لعنت) هنا، وفي النور، فإنه بالتاء، وقفَ عليها بالهاء ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، والكسائيُّ، ويعقوبُ.

***

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾.

[٦٢] ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي: المذكورَ من خبرِ عيسى.

﴿لَهُوَ ٱلْقَصَصُ﴾ أي: الخبرُ.

---

(١) في «ش» «الحسين».

(٢) في «ش»: «الحسن».

(٣) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٥٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٦٢-٣٦٣)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (٢/ ٦٨٢).

﴿ ٱلۡحَقُّۚ ﴾ الذي لا شَكَّ فيه.

﴿ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ ﴾ (من) زائدة؛ أي: وما إلهٌ.

﴿ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ لا أحدَ يُساويه في القدرةِ والحِكمة.

* * *

﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ٦٣ ﴾.

[٦٣] ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ ﴾ أي: أعرضوا عن الإيمان.

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ الذينَ يعبدونَ غيرَ الله.

* * *

﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤ ﴾.

[٦٤] ولما قدمَ وفدُ نجرانَ المدينةَ، والتقَوْا معَ اليهودِ، اختصموا في إبراهيمَ عليه السلام، فزعمتِ النصارى أنه كانَ نصرانياً، وهم على دينه، وقالت اليهودُ: بل كانَ يهودياً، ونحن على دينه، فقال لهم رسولُ الله ﷺ: «كِلاَ الفَرِيقَيْنِ مِنْهُ بَرِيءٌ، بَلْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً، وَأَنا عَلَى دِينِهِ» فنزل:

﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾[1] هم أهلُ الكتابيْنِ.

﴿ تَعَالَوۡاْ ﴾ هلُمُّوا.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٣٦٣)، و«العجاب» لابن حجر (٢/ ٦٨٧).

﴿ إِلَىٰ كَلِمَةٍ ﴾ العربُ تسمّي كلَّ قصةٍ لها شرحٌ: كلمةً، ومنه سُمِّيتِ القصيدةُ كلمةً ﴿ سَوَآءٍ ﴾ عدلٍ.

﴿ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ المعنى: هَلُمُّوا إلى كلمةٍ يستوي طرفاها، تنصفُ بيننا وبينكم، ليعطي كُلٌّ النَّصَفَةَ من نفسه، وهي:

﴿ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ أي: لا نسجدُ لغيرِ الله.

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ ﴾ أعرضوا عن التوحيد.

﴿ فَقُولُوا۟ ﴾ أنتم لهم:

﴿ ٱشْهَدُوا۟ ﴾ أي: اعلموا ﴿ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾.

* * *

﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

[٦٥] ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ تزعُمون أنه على دينِكم، وقد حدثَتِ اليهوديةُ بعدَ نزولِ التوراة، والنصرانيةُ بعدَ نزولِ الإنجيل.

﴿ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ ﴾ لأن بين إبراهيمَ وموسى ألفَ سنةٍ، وبين موسى وعيسى ألفي سنةٍ، قاله البغويُّ وغيرُه، وبين المؤرخين في ذلك خلافٌ.

﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ بطلانَ ما تقولون؟!

* * *

﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

[٦٦] ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾. قرأ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ، ونافعٌ: بتسهيل الهمزة بينَ بينَ، وقرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: بتحقيقِ الهمزةِ بعدَ الألف[١]، وروي عن وَرْشٍ (هآنْتُمْ) مَدّاً بلا همزةٍ، وعنهُ وجهٌ ثانٍ: (هَأَنْتُمْ) بهمزةٍ مقصورةٍ بين الهاء والنون، مثل سألتم[٢]، وروي عن قنبلٍ كالوجه الثاني عن ورشٍ، أصلها: (أأنتم) قلبت الهمزةُ الأولى هاءً؛ كقولهم: هَرَقْتَ وأَرَقْتَ[٣].

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أصلهُ: أُولاء، دخلتْ عليه هاءُ التنبيه، وهو في موضعِ النداء، يعني: يا هؤلاء! أنتم.

﴿حَٰجَجْتُمْ﴾ جادَلْتم.

﴿فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أي: فيما علمتموه من التوراة والإنجيل من أمرِ موسى وعيسى.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٠)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٤٦ـ٣٤٧)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٦٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٣٩ـ٤٠).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٦)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٤٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٠).

(٣) انظر: مصادر التعليق رقم (١).

﴿ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ من أمرِ إبراهيمَ، وليسَ[1] في كتابكم ذكرُهُ؛ لأنه قبلَكم؟ أي: أنتم تجادلون فيما علمتُمْ وفيما لم تعلموه.

﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وأنتم جاهلون به.

***

﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (٦٧) ﴾.

[٦٧] ثم برَّأَ تعالى إبراهيمَ فقال: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا ﴾ أي: مائلاً عن الأديان كلِّها إلى الدينِ المستقيم.

﴿ مُّسْلِمًا ﴾ ثم وبَّخَهُم مؤكِّداً براءته فقال: ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.

***

﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٦٨) ﴾.

[٦٨] ثم أومأَ إلى بُعدِهم عنه فقال: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ ﴾ أي: أقربَهم وأحقَّهم.

﴿ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ ﴾ في زمانِه وبعدَه.

﴿ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ يعني: محمداً ﷺ.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ من هذهِ الأمةِ.

﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ينصرُهم.

---

(١) «وليس» ساقطة من «ت».

﴿ وَدَّت طَّآيِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

[٦٩] ونزلَ في معاذِ بنِ جَبَلٍ وحُذيفةَ بنِ اليمَانِ وعَمَّارِ بنِ ياسرٍ حينَ دعاهُمُ اليهودُ إلى دينِهم:

﴿ وَدَّت ﴾[1] تمنَّتْ.

﴿ طَّآيِفَةٌ ﴾ جماعةٌ.

﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ يعني: اليهود.

﴿ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ ﴾ عن دينكم.

﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ أي: وما يضلُّون إلا أمثالهم.

﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ بذلك.

* * *

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

[٧٠] ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ يعني: القرآنَ، وبيانَ نعتِ محمدٍ ﷺ.

﴿ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ أنَّ نعتَه في التوراة والإنجيل.

* * *

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص:٥٨). وقد مضت القصة في سورة البقرة.

﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَـٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾ ﴾.

[٧١] ﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ﴾ تخلطون.

﴿ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَـٰطِلِ ﴾ الإسلامَ باليهوديةِ والنصرانيةِ.

﴿ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ ﴾ أي: نعتَ محمدٍ ﷺ.

﴿ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ أنه حقٌّ؟!

* * *

﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَـٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾.

[٧٢] ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَـٰبِ ﴾ فيما بينهم، وهم اليهود.

﴿ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ هو القرآنُ.

﴿ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ ﴾ أولَهُ.

﴿ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ ﴾ أي: لعلَّ المسلمين يقولون: ما رجعَ هؤلاءِ عن الإسلام وهمْ أهلُ علمٍ ودرايةٍ إلا أنهم علموا بُطلانه، فيشكُّون فيه، ثم ﴿ يَرۡجِعُونَ ﴾ عنه بعدَما دخلوا فيه.

* * *

﴿ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ ﴾.

[٧٣] ﴿ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ ﴾ هذا متَّصِلٌ بالأول؛ أي: وقالت: لا تؤمنوا.

﴿إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ أي: وافقَ ملَّتكم.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ يهدي من يشاءُ إلى الإيمان.

﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ (أَأَنْ يُؤْتى) بهمزتين على الاستفهام، والثانية منهما مسهَّلة[1]؛ أي: ولا تصدِّقوا بأن يؤتى أحدٌ.

﴿مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾ إلاَّ من تبعَ دينَكم.

﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ عطفٌ على ﴿يُؤْتَىٰٓ﴾ أي: يومَ القيامة تكونُ لهم الحجةُ عليكم، والغلبةُ. تلخيصُه: ما يؤتون مثلَه، ولا يحاجونكم، والكلامُ[2] كلُّه من قولِ الطائفةِ لأتباعهم، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ اعتراضٌ بين الكلامين.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ﴾ الهدايةَ والتوفيقَ.

﴿بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ غنيٌّ.

﴿عَلِيمٌ﴾ بالنيَّاتِ.

* * *

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾.

[٧٤] ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ﴾ أي: بنبوَّتِهِ.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٠-١١١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٦٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٣).

(٢) «الكلام» ساقطة من «ش».

﴿مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ رَدٌّ لما زعموا من أن نبوةَ موسى مؤبّدَةٌ، ولن يؤتيَ اللهُ أحداً مثلَ ما آتى بني إسرائيلَ من النبوّة والشرفِ.

* * *

﴿۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٥﴾.

[٧٥] ﴿۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ﴾ هو المالُ الكثيرُ.

﴿يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ﴾ هو عبدُ اللهِ بنُ سلام، استودَعَهُ(١) رجلٌ ألفاً ومئتي أوقيةٍ ذهباً، فأداه إليه.

﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ﴾ هو القليل.

﴿لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ﴾ هو كعبُ بنُ الأشرفِ(٢)، وقيل: فنحاص بن عازوراء، استودعه قرشيٌّ ديناراً، فلم يردَّه إليه، وجحده. قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، وأبو بكر: (يُؤَدِّهْ) (لا يُؤَدِّهْ) بإسكانِ الهاء، وكذلك (نُؤْتِهْ) و(نُوَلِّهْ) و(نُصْلِهْ)، واختلِفَ عن أبي جعفرٍ، وهشامٍ، وقرأ يعقوبُ، وقالونُ، وأبو جعفرٍ بخلافٍ عنه: بالاختلاس كسراً، والباقون: بالإشباع كسراً، فمن سكَّن الهاء، قال: لأنها وُضِعت في موضعِ الجزمِ، وهو الياء الذاهب، ومن اختلسَ، اكتفى بالكسر عن الياء، ومن أشبعَ، فعلى الأصل؛ لأن الأصلَ في الهاء الإشباعُ.

---

(١) في «ت»: «استوعده».

(٢) انظر «العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (٢/ ٦٩٥).

﴿ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾ مُلِحّاً في المطالبة.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: تركُهم أداءَ الحقِّ.

﴿ بِأَنَّهُمْ ﴾ أي: بسببِ أنهم.

﴿ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ ﴾ أي: العرب.

﴿ سَبِيلٌ ﴾ أي: إثم؛ لأن اليهود كانوا يستحلُّون أموالَ العرب ومن خالفَ دينَهم.

﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ لادعائهم أن ذلك في كتابهم.

﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ بكذبهم.

* * *

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾.

[٧٦] ﴿ بَلَىٰ ﴾ إثباتٌ لما نَفَوْهُ من السبيل عليهم في الأميين؛ أي: بلى عليهم سبيلٌ، وتَمَّ الوقفُ هنا.

﴿ مَنْ ﴾ شرطٌ مبتدأٌ، خبرهُ:

﴿ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ ﴾ أي: بعهد الله الذي عُهِدَ إليه في التوراة من الإيمانِ بمحمدٍ ﷺ وأداءِ الأمانة.

﴿ وَٱتَّقَىٰ ﴾ الشركَ والخيانة، وجوابُ الشرطِ.

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ قالَ ﷺ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنهن كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النفاق حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»(١).

---

(١) رواه البخاري (٣٤)، كتاب: الإيمان، باب: علامة المنافق، ومسلم (٥٨)، =

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِي ٱلْأَٰخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾.

[٧٧] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ ﴾ يستبدِلون.

﴿ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ﴾ إليهم في أداءِ الأمانة.

﴿ وَأَيْمَٰنِهِمْ ﴾ الكاذبةِ.

﴿ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ من حُطامِ الدنيا، قيل: نزلتْ لما بدَّلَ اليهودُ نعتَ محمدٍ ﷺ، وعَهْدَ اللهِ الذي عهدَه إليهم في التوراة، وكتبوا غيرهما(١)، وقيل: أرادَ بعضُ الصحابةِ أخذَ مالٍ بيمينٍ كاذبةٍ، أو باع رجلٌ سلعةً في السوق، فحلفَ بالله لقد(٢) أُعْطِيَ ما لم يُعْطَ ليوقعَ فيها مسلماً، فنزلَتْ(٣).

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ ﴾ لا نصيبَ.

﴿ لَهُمْ فِي ٱلْأَٰخِرَةِ ﴾ ونعيمِها.

﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ ﴾ غضباً عليهم.

﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾ لا يطهِّرُهم من الذنوب.

= كتاب: الإيمان، باب، بيان خصال المنافق، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ.

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٦٠).

(٢) في «ن»: «لو».

(٣) رواه البخاري (١٩٨٢)، كتاب: البيوع، باب: ما يكره من الحلف في البيع، عن عبد الله بن أبي أوفى ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ على فعلِهم، قال ﷺ: «ثلاثةٌ لا يُكلِّمُهُمُ الله، ولا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عذابٌ أَليمٌ: رَجُلٌ حلَفَ يَميناً عَلى مَالِ مُسْلِمٍ، فاقْتَطعَ المَالَ، ورَجُلٌ حلَفَ يَميناً بَعْد صَلاةِ العَصْرِ أنَّهُ أُعْطِيَ في سِلْعَتِهِ أَكْثَرَ ممَّا أُعْطِيَ، وَهُوَ كَاذِبٌ، وَرَجُلٌ مَنعَ فَضْلَ مَاءٍ؛ فَإِنَّ الله تَعالى يَقُولُ: اليَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ»(١).

***

﴿ وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقًا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾.

[٧٨] ﴿ وَإِنَّ مِنۡهُمۡ ﴾ أي: اليهودِ.

﴿ لَفَرِيقًا ﴾ أي: طائفةً، منهم: كعبُ بنُ الأشرفِ، وحُيَيُّ بنُ أخطبَ، ومالكُ بنُ الصَّيْفِ، وغيرهم.

﴿ يَلۡوُۥنَ ﴾ أي: يعطِفُون.

﴿ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ ﴾ والمرادُ: تحريفُهم؛ كآيةِ الرجمِ، وصفةِ محمدٍ ﷺ وغيرِهما ﴿ لِتَحۡسَبُوهُ ﴾ أي: لتظنوا ما حرَّفوا.

﴿ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ الذي أنزل الله.

---

(١) رواه البخاري (٧٠٠٨)، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾، ومسلم (١٠٨)، كتاب: الإيمان، باب: بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمن بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف..، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ المنزل.

﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ ثم نَفَى ذلك، فقال:

﴿ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ ثم أكَّد كذبَهم بقوله:

﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أنهم كاذبون، وعنِ ابنِ عباس: «إنَّ الآيةَ نزلَتْ في اليهودِ والنصارى جميعاً، وذلك أنهم حرَّفوا التوراةَ والإنجيلَ، وألحقوا بكتابِ اللهِ ما ليسَ منه»[1].

* * *

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾.

[٧٩] ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ ﴾ يعني: محمداً ﷺ.

﴿ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ يعني: القرآنَ.

﴿ وَٱلْحُكْمَ ﴾ الفهمَ والعلمَ.

﴿ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾ المنزلَةَ الرفيعةَ[2] بالإنباء[3].

﴿ ثُمَّ يَقُولَ ﴾ نصباً عطفاً على ﴿ يُؤْتِيَهُ ﴾.

﴿ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ نزلَتْ لما قال أبو رافعٍ القُرَظِيُّ من اليهود، والرئيسُ من نصارى أهل نجرانَ للنبي ﷺ: يا محمدُ! تريدُ أن

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٣٧٤).

(٢) في «ن»: «المرتفعة».

(٣) في «ت» و«ن»: «بالأنبياء».

نعبدَكَ ونتَّخِذَكَ ربّاً، فقال: «مَعاذَ اللهِ أَنْ نأْمُرَ بِعِبَادَةِ غَيْرِ اللهِ، مَا بِذَلِكَ بَعَثَنِي اللهُ، ومَا بِذَلِكَ أَمَرَنِي»، فأنزل الله الآية[1]، والبشرُ: جميع بني آدم.

﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ علماءَ بالله فقهاءَ.

﴿بِمَا كُنتُمۡ﴾ أي: بما أنتم؛ كقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا﴾ [مريم: ٢٩]؛ أي: مَنْ هو في المهدِ.

﴿تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وعاصِمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (تُعَلِّمُونَ) بضمِّ التاء وفتح العين وكسر اللام مشددة؛ أي: تعلِّمون غيرَكم، وقرأ الباقون: بالتخفيفِ مع فتح التاء واللام وإسكان العين، من العلم؛ لقوله:

﴿وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ تقرؤون[2].

* * *

﴿وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ٨٠﴾.

[٨٠] ﴿وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وعاصمٌ، وحمزةُ، ويعقوبُ:

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٦٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٧٤)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ١٩١).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٤٦)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٢)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٥١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٦).

بنصب الراء عطفاً على قوله: ﴿أَن يُؤْتِيَهُ﴾ والمعنى: ولا له أن يأمرَكم، وقرأ الباقون: بالرفع على الاستئناف[1]، وأبو عمرٍو على أصلِه في إسكان الراء واختلاسها على اختلاف[2] الرواية عنه[3]، معناه: ولا يأمرَكم الله.

﴿أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ كقريشٍ والصابئين حينَ قالوا: الملائكةُ بناتُ الله.

﴿وَالنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًاۗ﴾ كاليهود والنصارى، وقولهم في العُزير والمسيح. المعنى: ما ينبغي لمن أُعطي النبوَّةَ أن يأمرَ بعبادةِ غيرِ الله، بل يأمرُهم بمعرفتِهِ ومعرفةِ أحكامِه وعبادتِه.

﴿أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ تعجُّبٌ وإنكارٌ بمعنى: لا يقولُ هذا.

* * *

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَٰقَ النَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ

---

(1) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٤٧)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٧).

(2) في «ت»: «الاختلاف».

(3) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٧).

﴿وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾.

[٨١] ﴿وَإِذۡ﴾ أي: واذْكُرْ يا محمدُ حين.

﴿أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ وأُمَمِهم بما تقدَّمَ، وبما يأتي.

﴿لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم﴾ قرأ حمزةُ: (لِمَا) بكسر اللام للجرِّ، وهي متعلقة بأخذ؛ أي: أخذنا الميثاق لذلك فتكون (ما) بمعنى الذي، وقرأ الباقون: بفتحها[(١)]، فتكون (ما) بمعنى الذي، واللام للابتداء، ودخلتْ لتؤكِّدَ معنى القسم؛ لأن أخذَ الميثاق قسمٌ في المعنى، والعائد محذوف؛ أي: الذي آتيتكموهُ، وقرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (آتَيْنَاكُمْ) بالنون على التعظيم، وقرأ الباقون: بالتاء؛ لموافقة الخط، ولقوله: ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم﴾، وخبر المبتدأ ﴿مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ﴾، ثم عطف على (آتيتكم):

﴿ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ﴾ من العلم، وجوابُ القسم.

﴿لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ﴾ أي: بالرسولِ.

﴿وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ﴾ عطفٌ على (الرسول)، والمرادُ: محمدٌ ﷺ، والذين

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٣-٢١٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١١)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٥١-٣٥٢)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٤١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٨-٤٩).

أُخذ عليهم الميثاق النبيون عليهم السلام. المعنى: أُخذ الميثاقُ على من تقدَّمَكَ يا محمدُ أن يؤمنوا بكَ، وإن أدركوك، نصروك.

﴿قَالَ﴾ الله تعالى للأنبياء حين استخرجَ الذريَّةَ من صُلْبِ آدَم عليه السلام والأنبياءُ فيه كالمصابيح والسُّرُجِ، وأخذَ عليهم الميثاقَ في أمرِ محمدٍ ﷺ:

﴿ءَأَقۡرَرۡتُمۡ﴾ بذلك؟ وتقدَّم التنبيهُ على اختلاف القراء في الهمزتين من كلمةٍ عند قوله تعالى: ﴿ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ﴾ وكذلك اختلافهم في قوله: (أَأَقْرَرْتُمْ).

﴿وَأَخَذۡتُمۡ﴾ أي: قبلتم. قرأ ابنُ كثيرٍ وحفصٌ ورويسٌ (وَأَخَذْتُمْ) بإظهار الذال عندَ التاء، والباقون: بالإدغام[1].

﴿عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ﴾ عَهْدي.

﴿قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ﴾ اللهُ تعالى:

﴿فَٱشۡهَدُواْ﴾ على أنفسِكم وأتباعِكم.

﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ عليكُم وعليهِم.

قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه ـ: «لم يبعَثِ الله نبيّاً من لَدُنْ آدمَ فَمَنْ بعدَهُ إلا أُخِذَ عليه العهدُ في محمدٍ ﷺ: لَئِنْ بُعِثَ وهو حَيٌّ، ليؤمنَنَّ به ولينصرَنَّهُ، ويأخذ العهدَ بذلكَ على قومِه»[2].

***

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٥٠).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٣/ ٣٣٢).

﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

[٨٢] ﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ الإقرار.

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ العاصونَ الخارجونَ عن الإيمان.

* * *

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

[٨٣] اختلف أهلُ الكتابَيْن، فادعى كلُّ واحد أنه على دين إبراهيم، فاختصموا إلى رسول الله ﷺ، فقال: «كِلاَ الفَرِيقَيْنِ بَرِيءٌ مِنَ دِينِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ»، فغضبوا، وقالوا: لا نرضى بقضائِكَ، ولا نأخذُ بدينِك، فأنزل الله تعالى:

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ ﴾(١) دخلتِ الهمزةُ على الفاء العاطفة على محذوفٍ تقديرُه: أيتولَّونَ فغيرَ دين الله يبغون. قرأ أبو عمرٍو، وحفصٌ عن عاصمٍ، ويعقوبُ (يَبْغُونَ) بالغيب؛ لقوله: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ وقرأ الباقون: بالخطاب؛ لقوله: ﴿ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم ﴾(٢).

﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ ﴾ خضعَ وانقادَ.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص:٦١)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ١٩٢).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٢)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٥٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٧٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٥١).

﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا﴾ بسهولةٍ[1].

﴿وَكَرۡهٗا﴾ بمشقة، فأهلُ السمواتِ يسجدون طَوْعاً، وأهلُ الأرض يسجدُ بعضُهم طَوْعاً، وبعضُهم كَرْهاً؛ كالمنافقين.

﴿وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾ قرأ حفصٌ، ويعقوبُ: بالغيب، فحفصٌ: بضمِّ الياء ونصبِ الجيم، ويعقوبُ على أصلِه في فتح الياءِ وكسر الجيم، والباقون: بالخطاب مع ضمِّ الياء ونصب الجيم[2].

***

﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾.

[٨٤] ﴿قُلۡ﴾ الخطابُ للنبيِّ ﷺ.

﴿ءَامَنَّا﴾ أي: أنا والمؤمنون.

﴿بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ مُنْقادونَ، ذكرَ المللَ والأديانَ، واضطرابَ الناسِ فيها، ثم أمرَ رسولَ الله ﷺ أن يقولَ: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ الآية.

***

---

(١) في «ت» و«ن»: «سهولة».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٣٧٨)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٥١٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٥٢). وانظر تتمة المصادر في التعليق السابق.

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

[٨٥] ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ﴾ أي: التوحيدِ.

﴿دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ نزلتْ في جماعة ارتدُّوا عن الإسلام، وخرجوا من المدينة إلى مكةَ كفاراً، منهم الحارثُ بنُ سُويدٍ الأنصاريُّ.

﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ هذه الآية قطعتْ عمل كلِّ عاملٍ على غيرِ ملَّة الإسلام.

* * *

﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

[٨٦] ﴿كَيْفَ﴾ استفهامُ إنكار.

﴿يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ﴾ أي: كيف يهديهم بعدَ اجتماعِ الأمرين.

﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ على صدقِ محمدٍ ﷺ.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بوضعِ الكفرِ موضعَ الإيمان، فكيفَ بمَنْ عرفَ الحقَّ ثم أعرضَ(١) عنه؟

* * *

(١) في «ن»: «عرض».

﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ٨٧﴾.

[٨٧] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ.

﴿جَزَآؤُهُمۡ﴾ مبتدأ ثانٍ، خبرُه:

﴿أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ﴾ أي: عذابه.

﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ والمرادُ بالناسِ: المؤمنون.

***

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٨٨﴾.

[٨٨] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي: في اللعنة.

﴿لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ أي: يؤخَّرون، ولا راحة إلا في التخفيف أو التأخير، فهما مرتفعان عنهم.

***

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٨٩﴾.

[٨٩] وكان الحارثُ بنُ سويد لما لحقَ بالكفار، ندمَ، فأرسل إلى قومه أن اسألوا رسولَ الله هل لي من توبة؟ ففعلوا ذلك، فأنزل الله:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ لما كان منهم، فحملها إليه رجلٌ من قومه، وقرأها عليه، فقال(١) الحارث: «واللهِ ما علمتُكَ إلا صَدوقاً، وإنَّ رسول اللهِ ﷺ لأصدقُ منكَ، وإنَّ اللهَ لأصدقُ

---

(١) «فقال» ساقطة من «ت».

الثلاثة»، فرجع الحارثُ إلى المدينة، وأسلم وحسن إسلامُه[1].

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ۝٩٠ ﴾.

[٩٠] ونزلَ في اليهود: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ بعيسى.

﴿ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ بموسى.

﴿ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا ﴾ بمحمدٍ ﷺ.

﴿ لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ إذا وقعوا في الحشرجَةِ؛ أي: النَّزْعِ.

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ الثابتون على الضلالِ.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٩١ ﴾.

[٩١] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ﴾ قرأ ورشٌ عن نافعٍ، وأبو جعفرٍ، (مِلْءُ الأَرْضِ) بالنقل[2]؛ أي: ما يملؤها من شرقِها إلى غربها.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٣٤٠)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٦١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٧٩)، و«العجاب» لابن حجر (٢/ ٧٠٨).

(٢) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٢٥٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٥٣).

﴿ذَهَبًا﴾ نصب على التمييز.

﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ المعنى: لن يُقبل من أَحدهم فديةٌ، ولو افتدى بملءِ الأرضِ ذهباً.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ في رفع العذاب، قال ﷺ: «يَقُولُ اللهُ لِأَقَلِّ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ ذَلِكَ وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَلاَّ تُشْرِكْ بِي، فَأَبَيْتَ إِلاَّ أَنْ تُشْرِكَ»(١).

* * *

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾.

[٩٢] ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ﴾ الجنَّةَ.

﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ أي: من أحبِّ أموالِكم إليكُم.

﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ يعلمُه ويجُازي عليه.

* * *

﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُۚ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

---

(١) رواه البخاري (٣١٥٦)، كتاب: الأنبياء، باب: خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، ومسلم (٢٨٠٥)، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

[٩٣] ﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا﴾ أي: حلالاً.

﴿لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ نزلتْ لما قالَ اليهودُ للنبيِّ ﷺ: تزعُم أنك على ملةِ إبراهيمَ، وأنت تأكلُ لحومَ الإبل، وتشربُ ألبانَها، وإبراهيمُ ما كانَ كذلكَ! فنزلَتِ الآية ردّاً عليهم، وتكذيباً لهم(١).

﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ﴾ وهو يعقوبُ عليه السلام.

﴿عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ﴾ وهو لحومُ الإبل وألبانُها؛ فإنهما كانا أحبَّ الطعام إليه، فنذرَ تحريمَهُما إن شفاهُ اللهُ من مرضٍ أصابَهُ، وهو عِرْق النسا، ولم يأكلْهُ ولدهُ اتِّباعاً له.

﴿مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ﴾ المعنى: إن المحرَّمَ عليكم إنما حُرِّمَ بعدَ إبراهيمَ قبلَ نزولِ التوراة، فلمَّا أضافوا تحريمَه إلى الله، كذبهم الله، فقال عز وجل:

﴿قُلۡ﴾ يا محمدُ:

﴿فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ﴾ ليتبين صدقُكُم.

﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ فيما تزعمونَ، فبُهِتوا، ولم يأتوا بها.

* * *

﴿فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾.

[٩٤] فقال الله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ بعدَ لزوم الحجَّةِ.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٦٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٨٢)، و«العجاب» لابن حجر (٢/ ٧١٦).

﴿فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الذين لا يُنْصِفون.

* * *

﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾.

[٩٥] ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ تعريضٌ بكذِبهم.

﴿فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ التي أنا عليها، وهي ملَّةُ الإسلام.

﴿حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ بالله.

* * *

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾.

[٩٦] ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ﴾ أي: مسجدٍ.

﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ سببُ نزولِها أن اليهودَ قالوا للمسلمين: بيتُ المقدسِ قبلَتُنا، وهو أفضلُ من الكعبةِ وأقدمُ، فأنزل الله الآية[1]:

﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ هي مكةَ، والباء والميم يتعاقبان، وسميت بَكَّة؛ لبكِّها؛ أي: دَقِّها أعناقَ الرجال، وسميت مكةَ؛ لقلة مائها؛ لقول العرب: مَكَّ الفَصيلُ ضَرْعَ أُمِّهِ، وامْتَكَّهُ: إذا امتصَّ كلَّ ما فيه من اللبنِ، وأهلُ مكة كانوا يمتكُّون الماءَ فيها؛ أي: يستخرجونه.

﴿مُبَارَكًا﴾ كثيرَ البركةِ.

﴿وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ لأنه قبلتُهم.

* * *

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٦٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٨٤)، و«العجاب» لابن حجر (٢/ ٧١٧).

﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٩٧) ﴾ .

[٩٧] ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ ﴾ ثم بيَّنَ الآياتِ فقالَ:

﴿ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ ﴾ هو الحجرُ الذي يصلَّى خلفَه ركعتا الطواف، وهو الذي قام عليه إبراهيمُ وقتَ رفعهِ القواعدَ من البيت لما طالَ البناءُ، فكان كلما علا الجدارُ، ارتفعَ به الحجرُ في الهواء، فما زال يبني وهو قائم عليه، وإسماعيلُ يناولُه الحجارةَ والطينَ حتى أكملَ الجدارَ، وكان أثرُ قدميه فيه، فاندرسَ من كثرة المسحِ بالأيدي، ومن تلك الآياتِ الحجرُ الأسودُ، والحطيمُ، وزمزمُ، والمشاعرُ كلُّها، ومنها أن الطيرَ يطيرُ فلا يعلو فوقَهُ، وقد شاهدتُ ذلك عياناً.

﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ ﴾ من أن يُهاجَ فيه؛ لدعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، والضميرُ في قوله: ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ ﴾ عائدٌ على البيت في قولِ الجمهور، ويفهم من معناه أن من دخلَ الحرم، فهو في الأمن؛ لأنه جزءٌ من البيت إذ هو لسببه ولحرمته.

واختلفَ الأئمةُ رضي الله عنهم في الجاني الملتجىء للحرم، فقال مالكٌ والشافعيُّ: يُقْتَصُّ منه في الحرم، وقال أبو حنيفةَ وأحمدُ: إن جنى في الحرم، اقْتُصَّ منه، وإن جنى خارجَ الحرم، ثم لجأ إليه، لم يُقْتَصَّ منه، لكن يُضَيَّقُ عليه بتركِ البيعِ والشراءِ حتى يخرجَ إلى الحِلِّ، فيقام حينئذ.

وأما الكلام في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ فقد روى المحدِّثونَ عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه أنه قال: قُلْتُ يا رسولَ الله! أيُّ مسجدٍ وُضِعَ في الأرض أَوَّلُ؟ قَالَ: «المَسْجِدُ الحرامُ»، قالَ: قلتُ: ثم أيٌّ؟ قالَ:

«المسجدَ الأَقْصى»، قلتُ: كَمْ بينَهما؟ قالَ: «أَرْبَعُونَ سَنَةً، ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاةُ بَعْدُ فَصَلِّهْ؛ فَإِنَّ الفَضْل فيهِ»(١).

وقد رُوي أن الملائكةَ بنوا المسجدَ الحرامَ قبلَ خلقِ آدمَ بألفي عامٍ، فكانوا يحجُّونه.

قال الإمامُ أبو العباسِ القرطبيُّ: يجوزُ أن يكونَ بناهُ يعني: مسجدَ بيتِ المقدسِ الملائكةُ بعدَ بنائها البيتَ بإذنِ الله تعالى(٢).

وقد رُوي أن أولَ من بنى مسجدَ بيتِ المقدس وأُريَ موضعَه يعقوبُ بنُ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ عليهم السلام، روي أن أباه إسحاقَ أمرَه ألاَّ ينكحَ امرأةً من الكنعانيين، وأمره أن ينكحَ من بناتِ خاله، وكان مسكنُ يعقوبَ بالقدس، فلما توجَّه إلى خاله لينكحَ ابنتَهُ، أدركه الليلُ في بعض الطريق، فبات متوسِّداً حجراً، فرأى فيما يرى النائمُ أن سُلَّماً منصوباً إلى بابٍ من أبوابِ السماء، والملائكةُ تعرُجُ فيه وتنزلُ، فأُوحى الله تعالى إليه: إني إلهكَ وإلهُ أبيكَ(٣) إبراهيمَ، وقد وَرَّثتكَ هذه الأرضَ المقدسةَ لكَ ولذريَّتِكَ من بعدِك، وباركتُ فيكَ وفيهم، وجعلتُ لكم الكتابَ والحكمَ والنبوةَ، ثم أنا معكَ أحفظُك حتى أردَّكَ إلى هذا المكان، فاجعلْه بيتاً تعبدُني فيه أنتَ وذريتُكَ(٤).

وقد تأولَ بعضُ العلماءِ معنى الحديثِ الشريفِ الواردِ أن بناءَ المسجدِ

---

(١) رواه البخاري (٣١٨٦)، كتاب: الأنبياء، باب: ﴿يَزِفُّونَ﴾، ومسلم (٥٢٠)، في أول كتاب: المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٤/ ١٣٨).

(٣) في جميع النسخ «آبائك»، والمثبت هو الصواب.

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٣٨٤).

الأقصى كانَ بعدَ بناءِ المسجدِ الحرام بأربعين سنةً على أن المرادَ بناءُ يعقوبَ عليه السلام لمسجد بيتِ المقدسِ بعدَ بناءِ إبراهيمَ عليه السلام الكعبةَ الشريفةَ، والله أعلم .

وأما بناءُ داودَ وسليمانَ عليهما السلام لمسجدِ بيتِ المقدس، فإنه بعدَ ذلك بأزمنةٍ متطاولةٍ على أساسٍ قديم، فهما مجدِّدان لا مؤسِّسان .

﴿وَلِلَّهِ﴾ فرضٌ واجب .

﴿عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ قرأ أبو جعفرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ، وخلفٌ: (حِجُّ) بكسر الحاء، والباقون: بالفتح، وهي لغة أهل الحجاز، وهما لغتان فصيحتان معناهما واحد[١] .

والحجُّ أحدُ أركانِ الإسلام، قال ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله، وإقامِ الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاةِ، والحج، وصَوْمِ رَمَضَانَ»[٢] .

﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ والاستطاعةُ: القدرةُ بالمالِ والبدنِ، فمن وجدَ الزادَ والراحلةَ ونفقَةَ العيال قدرَ الذهابِ والرجوع، مع التمكُّن، وجبَ

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٢)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٥٣ـ٣٥٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٨٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٥٥).

(٢) رواه البخاري (٨)، كتاب: الإيمان، باب: الإيمان وقول النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس»، ومسلم (١٦)، كتاب: الإيمان، باب: بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

الحجُّ عليه بالاتفاق، فعندَ أبي حنيفةَ وأحمدَ يجبُ على الفَوْر، وعندَ الشافعيِّ ومالكٍ يجبُ على التراخي، وقيد مالكٌ بما إذا لم يخشَ الفوتَ، وعندَ مالك فقط يجبُ على الفقيرِ القادرِ على المشي، فلو تكلَّف غيرُ القادرِ فحجَّ، سقطَ عنه الفرض بالاتفاق، والمرأةُ كالرجلِ، واختلفوا في شرطٍ آخرَ في حَقِّها، وهو وجودُ المحرِم، فقال أبو حنيفةَ وأحمدُ: يُشترط، وهو زوجُها، أو من تحرُمُ عليه على التأبيد بنسبٍ أو سببٍ مُباحٍ؛ كرضاعٍ[1] ومصاهرة، وقال مالكٌ والشافعيُّ: لا يُشترط إذا وجدَتْ رُفْقَةً مأمونين، قال مالكٌ: رجالٌ أو نساء، وقال الشافعي: نساءٌ ثِقاتٌ.

﴿وَمَن كَفَرَ﴾ جحدَ فرضَ الحجِّ.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ في الحديث[2]: «مَنْ أَمْكَنَهُ الْحَجُّ فَلَمْ يَحُجَّ، فَلْيَمُتْ إِنْ شَاءَ يَهُودِيّاً، وَإِنْ شَاءَ نَصْرَانِيّاً»[3].

***

(١) في «ت»: «الرضاع».
(٢) «الحديث» ساقطة من «ت».
(٣) رواه الترمذي (٨١٢)، كتاب: الحج، باب: ما جاء في التغليظ في ترك الحج، عن علي ـ رضي الله عنه ـ. وقال: حديث غريب، وفي إسناده مقال، وهلال بن عبد الله مجهول، والحارث يضعف في الحديث. ورواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٥/ ٧٢)، والروياني في «مسنده» (١٢٤٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٣٣٤) وضعفه، عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ. وفي الباب عن غيرهما من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، وانظر: «الدراية» لابن حجر (٢/ ٢٩٢).

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾.

[٩٨] ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ الدالَّةِ على صدقِ محمدٍ.

﴿ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ فتجازَوْنَ به؟!

* * *

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾.

[٩٩] ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ عن دينِ الإسلام.

﴿ مَنْ ءَامَنَ ﴾ بتغييركم صفةَ النبيِّ ﷺ ليرتابوا، وذكرِكُم وقائعَ الجاهلية ليقتتلوا.

﴿ تَبْغُونَهَا ﴾ تطلُبونها.

﴿ عِوَجًا ﴾ ميلاً عن الاستقامة.

﴿ وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ﴾ بما في التوراة من صدق محمدٍ ﷺ.

﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ وعيدٌ لهم. يسكتُ حمزةُ قبلَ الهمز إذا كانَ الساكنُ آخرَ كلمةٍ والهمزةُ أولَ كلمةٍ أخرى، نحو (مَنْ آمَنَ) و(قُلْ إِنَّنِي) وشبهِه حيثُ وقعَ، ويسهل بالنقل إذا وقفَ بخلافٍ عنه(١).

* * *

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٨٨١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٥٦).

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾.

[١٠٠] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ الذين يريدون كفركم.

﴿ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴾ نزلتْ في نفرٍ من الأوس والخزرج، وكانوا جلوساً يتحدثون، فمر بهم شاسُ بنُ قيسٍ اليهوديُّ، فغاظَه تألُّفُهم واجتماعُهم بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة، فأمر شاباً من اليهود أن يجلسَ إليهم، ويذكِّرهم يومَ بعاث، وينشدَهم بعضَ ما قيلَ فيه من الأشعار، وكان يوماً اقتتلتْ فيه الأوسُ والخزرج، وكان الظفرُ فيه للأوس، ففعلَ، فتنازعَ القومُ وتغاضبوا، وقالوا: السلاحَ السلاحَ، فبلغَ النبيَّ ﷺ، فخرج إليهم فيمن معهُ من المهاجرينَ والأنصار، فقال: «أَتدَّعُونَ الجاهِلِيَّةَ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ بَعْدَ إِذْ أَكْرَمَكُمُ اللهُ بِالإِسْلامِ وَقَطَعَ بِهِ عَنْكُمْ أَمْرَ الجاهِلِيَّةِ وَأَلَّفَ بَيْنَكُمْ؟!» فعلموا أنها نزغةٌ من الشيطان، وكيدٌ من عدوِّهم فألقَوا السلاحَ، واستغفروا، وعانقَ بعضُهم بعضاً، وانصرفوا مع رسولِ الله ﷺ، فما كان[١] يومٌ أقبحَ أولاً وأحسنَ آخراً من ذلكَ اليوم[٢].

* * *

(١) «كان» ساقطة من «ن».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٤/ ٢٣)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٦٢-٦٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٩٠)، و«العجاب» لابن حجر (٢/ ٧٢١)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٢٧٨).

مُحتوى المجلد الأول

[فتح الرحمن في تفسير القرآن]

* * *